

د. محمد سعيد القشاط

الصحراء تشتعل

دار المُلتَقى للطباعة والنشر

الصحراءُ تَشْتَعِل

1931 - 1899

د. محمد سعيد القشاط

الصحراءُ تَشْتَعِل

1899 - 1931

دار الملتقى للطباعة والنشر

الصحراء تشتعل

الطبعة الأولى
سبتمبر 1998

الناشر:
دار الملتقى للطباعة والنشر

الإهداء

- إلى الأسرة التي أتعبتها بعشقي للصحراء

إلى أسرتي وأولادي أهدي هذا العمل

د. محمد سعيد القشاط

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

صلتي بالصحراء لم تكن وليدة اليوم، أو جرني البحث التاريخي إليها لتتمة فصول الحديث عن جهاد شعبنا ضد الغزو الأجنبي. إن صلتي بهذه المنطقة تجاوزت كل العلاقات، وأصبحت عشقاً سرمدياً بهذه الفيافي وهذه القفار، بكل الحمادات والأودية بكل القرارات وكثبان الرمال المهولة، بكل المعاناة المريرة التي يعانيها الداخل إلى هذه الصحراء المخيفة في كل فصول السنة والتي لا تعرف الاعتدال. فهي إما بساطاً من السندس الأخضر، ومروج من الأزاهير النضرة، ومائدة من الترفاس والصيد والنبق، وإما قطعة من جهنم بوهج قبليها اللافح وجدب أراضيها المخيف القاتل، ونضب مياهها، وتباعد ما بينها ومجاهل طرقها الدارسة.

لا تعرف الاعتدال حتى في اليوم الواحد، حيث ترتفع درجة حرارة النهار حتى تصل الخمسين في الظل. وأين الظل؟! وتصل إلى الصفر في الليل وأين الأغطية؟!

هذه الصحراء الشاسعة الرائعة المخيفة، التي تناغي قمر الصيف بواحاتها الجميلة ذات النخل الباسق والعيون الهرهارة، وتعاند السحب بجبالها الشاهقة الجرداء التي تلوح في الأفق كأسوار بناها العمالقة أو الجن. زرقاء عند الظهيرة، حمراء عند الغروب، غارقة في بحار من السراب الأزرق الرقراق.

هذه الصحراء الذي شق الأجداد طرقها ذات المسارب المتوازية بأقدامهم وأقدام قوافلهم، والتي رسموها بالألم والتعب على أديم الحصحاص وفي زوايا الكثبان، تساقط الشهداء على جنباتها على مدى التاريخ يحملون الزاد والثقافة والعلوم إلى مجاهل إفريقيا.

هذه الصحراء التي لها في كل واد قصة وبكل سرير ملحمة، والتي استقر بها تاريخ أمة كاستقرار غاباتها المتحجرة وعظام حيواناتها المنقرضة، ومجاري أنهارها الجافة،

عرفتها منذ أكثر من أربعين سنة واستمعت إلى شيوخها في خيامهم النائية يحكون بطولات شعبها، ويروون ملاحم جهادها، وقصص بطولات رجال روّوا هذه الصحراء بدمائهم الزكية.

تنقلت بين واحاتها، أستاذاً أعلم الناشئة مناهج دراسية وضعها سكان المدن الذين لم يضعوا بها مكاناً للصحراء، وبطولات شعب الصحراء.

وتنقلت بين خيامها ونجوعها طالباً للمعرفة، وجامعاً لثقافة شعب وروايات بطولاته. لم يكن في حسبانه أن يتحدث المتحدثون عن هذه الروايات، ولا عن هذه البطولات.

لم يبخل شيوخ الصحراء بالحديث إليّ عن تجاربهم، وعن حروبهم مع الطبيعة ومع الاستعمار.

ولم أشأ أن أنفرد بتلك الحكايات وحدي أو أستمتع بها دون غيري، فأفرغت تلك القصص، وتلك الروايات وتلك التجارب في سلسلة من الكتب (التوارق عرب الصحراء الكبرى) و (جهاد الليبيين ضد فرنسا في الصحراء الكبرى) و (صحراء العرب الكبرى) و (أعلام من الصحراء) و (القصص الشعبي في الصحراء) و (الأمثال الشعبية في الصحراء) و (نقائض الشعراء العرب في الصحراء) و (نماذج من الشعر العربي في الصحراء) و (الإبل وحضارة الصحراء).

وشعرت أنني لم أفِ الصحراء حقها بالرغم من سلسلة هذه الكتب. فتاريخ الحروب والجهاد والبطولات التي يعجز الوصف عنها، وتقصر دونها جهود الأقلام لم تسجل بعد، ولم تأخذ من التاريخ حقها ولم يتفرغ المؤرخون لتسجيلها ووصفها حيث يجب أن توضع.

إن ملاحم الجهاد العربي في ليبيا ضد الغزاة الطليان رغم كل الظروف المثبطة للعزائم، من نقص التموين، ونقص الأسلحة، ونقص الذخيرة، وعدم وجود دعم منتظم من الخارج، وعدم وجود مساعدات مستمرة. بالرغم من كل ذلك سطر الليبيون صفحات من المجد يعجز الوصف عن تبيانها.

حاولت جاهداً أن ألحق بركبهم مسجلاً معاركهم الرائعة في كتب (خليفة بن عسكر) و (معارك الدفاع عن الجبل الغربي) و (الشيخ علي كلة). بحيث حاولت تغطية جهاد المنطقة الغربية من ليبيا من سنة 1911 ـ 1925..

وتابعت مراحيل المجاهدين إلى أن أوصلتها إلى أعماق (القبلة) ومجاهل الصحراء.

وبهذا الكتاب أكون قد وضعت ما عندي عن حديث الجهاد الليبي في منطقة

«القبلة» حتى نهاية عام 1931. تلك السنة التي انتهى فيها الجهاد المسلح المنظم، ونزحت آلاف العائلات خارج حدود الوطن، يدفعها إلى ذلك جحافل الطليان وأسلحتهم المتطورة، وطائراتهم التي تلقي القنابل والغاز والدمار، والتي لم تسلك المسلك الإنساني في البطش بالناس والحيوانات وحتى الأرض.

بالرغم من ذلك، لم يُطأطئ الليبيون رؤوسهم للغاصب ولم يحنوا هاماتهم، ولم يحدروا أنوفهم للمستعمر.

دخلوا الصحراء أعزاء كرماء شرفاء، وقاتلوا كما يقاتل الند للند بترفع وإباء وشمم، وعاملوا العدو بشهامة تمليها عليهم جذورهم الراسخة في أعماق المجد والسؤدد، فلم يجهزوا على جريح، ولم يقتلوا مستسلماً ولم يعتدوا على امرأة أو ضعيف أو طفل.

وكان الخصم يرتكب كل نقائص الحرب، في محاولة منه لإبادة الشعب. فلم يرحم امرأة ولا طفلاً، ولا شيخاً، ولم يترفع عن ارتكاب جرائم النهب والسلب والخساسة!

يتحدث كبار ضباطه في معاركهم كيف أنهم قتلوا الإبل والغنم، وكيف سرقوا الحيوانات، وكيف هاجموا الخيام ليسرقوا تموين العائلات، وتمرهم ودقيقهم، ويتركوهم جياعاً في الصحراء. تلك هي مدنية روما التي جاءوا يبشرون بها!!

حاولت أن أوضح كل ذلك في هذا الكتاب. وقد حاولت أيضاً إظهار دور أولئك الذين باعوا ضمائرهم للعدو، واستباحوا وطنهم ومواطنيهم دون شفقة أو رحمة، يعميهم حبهم للذات والثراء الكاذب الغاش فأسقطهم في مستنقع الذل والهوان، والذين لولاهم لما استطاع العدو أن يخبر مجاهل الصحراء، أو يصل إلى الآبار البعيدة في أعماق السرير أو وراء الكثبان القاتلة. ولم يكتفوا بهذا بل فتحوا الطريق للعدو بقتالهم إخوتهم وذويهم وحملهم للسلاح في وجوههم خدمة للمستعمر الآثم.

وحاولت أيضاً أن أتحدث عن الجهاد المنسي وهو جهاد الليبيين ضد فرنسا في ما يسمى اليوم تشاد والنيجر، وسلطت الضوء على معاركه المهمَّة، والرائعة هناك وراء جبال (تيبستي) وجبال (الآير) حيث تنضب المياه وتشح المعيشة.

لقد سطر الليبيون بدمائهم تاريخ تلك المنطقة بالجهاد عندما كانت الحدود غير مرسومة بين هذا الشعب العربي المسلم شمال الصحراء وجنوبها. وعندما كان الناس أمة واحدة وأسرة واحدة، شتت الاستعمار لحمتها وسداها عندما أراد السيطرة على مقدراتها ومواردها.

لقد حاولت أن أبرز أدوار أولئك الرجال الذين قارعوا الاستعمار نداً لند، وجهاً لوجه أكثر من ثلاثين سنة. كل هذا في إطار توضيح دور الليبيين وإخوتهم في الصحراء الكبرى الذين قارعوا الاستعمار الفرنسي قرابة ربع قرن من الجهاد المتواصل، والاستعمار الإيطالي مثل هذه المدة من الزمن متلاحمين تجمعهم العروبة والإسلام.

ولقد أفردت فصلاً عن معاناة الليبيين المجاهدين المهاجرين مع الطبيعة وأسميته (مراحيل العطش) حيث أوضحت ما قاساه هذا الشعب الأبي من تشتت وألم وتمزيق في مراحيل كاملة أفناها العطش والجوع، فدفنت تحت الرمال، تولت الرياح القبليّة هذه المهمة دون تكليف.

لقد قسمت هذا الكتاب إلى عشرة فصول:

الفصل الأول: تحدثت فيه عن القبلة قبل الغزو الإيطالي. وتحدثت عن الأحداث التي كان لها الأثر في القبلة عند الغزو الإيطالي واستغلها الإيطاليون لصالحهم.

الفصل الثاني: تحدثت فيه عن مقاومة الليبيين للغزو الفرنسي في الصحراء، تلك المقاومة التي استمرت من سنة 1899ـ 1914.

الفصل الثالث: وتناولت في هذا الفصل زحف الإيطاليين على القبلة سنة 1913ـ 1914.

الفصل الرابع: وتناول هذا الفصل تطهير القبلة من الإيطاليين في ثورة 1914ـ 1915 العارمة.

الفصل الخامس: وتناول الهجوم الليبي على القواعد الفرنسية في جنوب الجزائر وشمال النيجر واستمرار هذه المعارك السنوات 1916ـ 1920، وحصار (أقدز) الذي استمر ثلاثة أشهر.

الفصل السادس: عودة الترك إلى ليبيا 1916ـ 1918 وتأثير ذلك في القبلة.

الفصل السابع: الاحتلال الإيطالي للقبلة للمرة الثانية واستمرار معارك الجهاد 1924ـ 1931.

الفصل الثامن: وتناولت في هذا الفصل المآسي التي لقيتها مراحيل الليبيين المهاجرين وتشتيت شملهم من العطش واستشهاد الآلاف منهم عطشاً في صحراء الجزائر وصحراء السودان الشمالية.

الفصل التاسع: أوردت في هذا الفصل بعض القصائد الشعرية التي تتحدث عن أحداث ومعارك القبلة.

الفصل العاشر: وأوردت في هذا الفصل الوثائق والملاحق التي تعني موضوع الكتاب.

* * *

هذا ولا أدعي أنني قلت جميع ما يجب أن يقال عن جهاد الليبيين في هذه الصحراء ولكنني سلطت الضوء على هذه المنطقة ومعاركها وجهادها لأشق الطريق أمام الباحثين والمتخصصين في جمع وإثراء التاريخ العربي الإسلامي علهم يجدون في ما كتبته وما أكتبه نبراساً يستفيدون منه ويثرون ما انتهجته على ضوء وثائق لم يسعفني الحظ بالاطلاع عليها أو بحيازتها. وإن آلاف المخطوطات الليبية من رسائل وغيرها تقبع في مراكز تجميع المخطوطات في (داكار) و (نيامي) و (تينبكتو) و (باريس) و (لندن) وغيرها تنتظر من يقدمها للقراء.

أما تلك الوثائق التي تملكها إيطاليا فلقد تفضل مشكوراً مركز جهاد الليبيين بتجميعها وجلبها إلى أرض الوطن. وهي في انتظار من ينفض عنها الغبار ويقدمها للأجيال علها تأخذ عبرة من جهاد آبائهم وأجدادهم.

هذا ولله وحده الكمال، وله العزة ولرسوله وللمؤمنين.

وأطلب منه العون والهداية إنه العزيز القدير.

9 من رجب سنة 1427

9 من شهر الحرث (نوفمبر) 1997 ف

د. محمد سعيد القشاط

طرابلس الغرب

تصدير

أقصد بالصحراء التي أريد التحدث عنها في هذا الكتاب، هي شمال النيجر، وشمال تشاد، وجنوب ليبيا وجنوب الجزائر. تلك المناطق التي كانت مسرحاً لأحداث دامية لأكثر من ثلث قرن من الزمان.

ولقد كان لليبيين الدور البارز في الجهاد على امتداد هذه المنطقة إذْ منهم آلاف الشهداء على امتداد هذه الصحراء الكالحة الشاسعة.

لقد اشتعلت هذه الصحراء باللهب المقدس ضد الغاصبين، وقدم الليبيون قوافل الشهداء دون تحديد ودون أن يمنوا ذلك على الوطن.

سقط شهداؤهم في كانم وبرنو، كما سقطوا في انقيمقي وطاوة وأقدز وزندر وجبال الآير، بالحماس الديني والقومي نفسه الذي سقط فيه شهداؤهم في جبال تيبستي والجبل الغربي وأركنو والعوينات وفي الحمادة الحمراء وفي صحراء التيزي.

قوافل من الشهداء لا تحد. سارت عبر هذه الصحراء تدافع عن الشرف، وعن الكرامة، وعن الوطن وتدافع عن الدين، وعن الهوية القومية.

لم تكن هناك حدود فاصلة بين الأخوة في هذه المناطق. ولم تكن هناك حواجز أو طبقات تفصل أبناء الشعب الواحد في المنطقة. ظروفهم واحدة، وحياتهم واحدة، وعدوهم واحد.

امتشقوا السلاح للدفاع عن بئر العلالي في تشاد وعن أقدز في النيجر وعن جانت في الجزائر وعن مرزق وأبراك في ليبيا، بالروح، وبالحماس وبالفاعلية نفسها.

يقود الجهاد من تؤهله قدراته أن يقود الجهاد، دون أي نظرة للجنس أو اللون، أو السُلّم الاجتماعي. والذي يقود المجاهدين ينصاع تحت رايته كبار المجاهدين طوعاً ودون أي تخاذل. إنها روح الإسلام وروح التضحية.

فلقد كانت هذه المنطقة تتأثر بالظروف نفسها التي تتأثر بها المناطق الشمالية. ولقد كانت الإمارات والسلطنات والممالك التي قامت فيها تتسع على حساب بعضها البعض

وتضيق كلما اتسعت جاراتها على حسابها.

وحتى إنّ الأشخاص الذين أسسوا هذه الممالك في مناطق الصحراء أو جنوب الصحراء كانوا ينحدرون من أصول مشتركة في الغالب أو أنهم انحدروا للجنوب قادمين من الشمال أو من فزان، أو أنهم انطلقوا من الجنوب نحو الشمال أو الشرق أو الغرب.

فمملكة كانم التي تأسست في جنوب الصحراء أسسها قوم قدموا من الشمال بل من اليمن ينحدرون من سلالة سيف بن ذي يزن منذ عام 1085م وكانت هذه المملكة تتبع حكومة طرابلس الغرب، بل استطاع الشيخ محمد الأمين الكانمي القادم من فزان أن يؤسس أسرة حاكمة في برنوح وكانم. ويديرها بتبعية إلى طرابلس الغرب، بل إن حكومة طرابلس الغرب أيام يوسف القرة مانلي أرسلت ثلاث حملات لإخضاع المشاغبين على هذه الحكومة في سنوات 1817 ـ 1821 ـ 1826م، وأن أسرة ضياء بن قس الطرابلسية استطاعت أن تبني مدينة (قاوة) بمالي الحالية وتؤسس أسرة حاكمة فيها. وفي أواخر القرن الثامن عشر استطاع عبد الكريم صالح تأسيس أسرة حاكمة في (وداي) عرفت بنسبها العباسي حيث إنها تنسب إلى بني العباس. وكانت (مملكة وداي) جزءاً من متصرفية (فزان) (مرزق) طيلة أواخر العهد التركي. وفي فترة سابقة استطاعت قبيلة الزغاوة المتواجدة حالياً في منطقة شرق تشاد وغرب السودان أن تؤسس مملكة اتخذت من بلدة (تراغن) القريبة من مرزق عاصمة لها.

إن منطقة الصحراء كانت وحدة واحدة، وكانت القبائل المتواجدة فيها من سلالات واحدة وأرومة واحدة تصاهرت وامتزجت وكونت لحمة عربية زادها الدين الإسلامي ترابطاً وقوة، وناهيك عن قوة العقيدة والدم. وقد تكونت إمارات، وممالك وسلطنات، كان الصراع بينها على أشده، بل كثيراً ما ينشب الصراع بين أفراد الأسرة الواحدة. وكانت القبائل تمتهن الإغارة واستياق الحيوانات. وكان مشايخ القبائل يتزعمونها ويوجهونها في هذا الاتجاه كلما ضعفت الحكومات المركزية.

وكثيراً ما كانت تقوم حركات إصلاحية تسعى لإطفاء الفتن والثورات، وقد تنجح وقد لا تنجح. وقد تنتهج هي الأخرى أسلوب الضغط بقوة السلاح، فتريق الدماء التي قامت من أجل الحفاظ عليها.

هكذا قامت حركات إصلاحية كحركة (الجيلاني) و (حدا حدا) في النيجر، وحركة (الشيخ عثمان دان فودي) في شمال نيجيريا والنيجر ومالي وغيرها من الحركات. وقد استطاعت هذه الحركات الانتصار إلى حين أن تقوم عليها حركة أخرى تدعي أنها هي الصائبة وما سواها على خطأ.

إنني كتبت بكل اختصار، وتجنبت الاستقراء خاصة في الفصل الذي يتعلق بحرب الليبيين مع فرنسا، لأنني تناولت ذلك في كتاب سابق (جهاد الليبيين ضد فرنسا في الصحراء الكبرى) ليطلع عليه من أراد الاستزادة في هذا الباب.

ولقد تجاوزت أيضاً عن كثير من السلبيات التي رافقت الجهاد، وعن الأخطاء القاتلة التي ارتكبها الكثيرون في حق أهلهم وذويهم ووطنهم. ولو أنني لم أهمل ذلك كلياً، إذ تحدثت عن الذين كانوا ذوي أدوار مهمة رئيسة.

وحاولت أن أربط بين جهاد المنطقة لأنّه في الواقع مرحلة واحدة متواصلة من التضحية والجهاد.

غير أن الكثير من المآسي التي تعرض لها العرب في شمال النيجر، وشمال تشاد لم تصلنا تفاصيلها، ولو أنني تحدثت عن خطوطها العريضة.

لقد كتبت ما كتبت من خلال تجوالي في المنطقة والروايات الشفوية والمكتوبة، وإنَّ ثلاثين سنة من التجوال كفيلة بأن تعطينا صورة أقرب للكمال لصحراء العرب الكبرى ولاشتعالها المقدس ضد الغزاة.

إن الليبيين يسمون هذه المنطقة (القبلة) أي تعني (الجنوب) وقد أصبح هذا الاسم علماً على منطقة (فزان).

غير أنَّ لكل منطقة جنوباً يقع جنوبها. ولهذا نجد وراء كل (قبلة) (قبلة) ويجمعها الليبيون على (اقبل) وهي تعني منطقة الصحراء الكبرى جنوب الجبل الغربي، وجنوب سرت، وجنوب الجبل الأخضر. ولقد كتب بعض الإيطاليين عن هذه المنطقة الجنوبية وأسماها (القبلة).

غير أنني أعطيت لهذا الكتاب اسم (الصحراء تشتعل) لأتحدث عن المعارك التي خاضها الأجداد في مناطق الصحراء الشمالية والجنوبية، والذين جعلوا الأرض تحت أقدام الغزاة ناراً حامية.

وبما أنني لا أريد أن أتحدث عن كل الصحراء الكبرى فسيجد القارىء الحديث عن (القبلة) أكثر لأنها المنطقة المنحصرة في الجنوب الليبي.

إنني أتمنى أن يثري الباحثون والكتاب والمؤرخون جهاد هذه الأمة العربية الإسلامية في كل بقاعها، وأن يظهروا للعالم جهاد هذه المنطقة التي يكاد أن يكون منسياً للغالبية.

الفصل الأول

القبلة قبل الغزو الإيطالي

إذا أردنا أن نتحدث عن جهاد الليبيين ضد الطليان ومقاومتهم لهذا الغزو في أرض القبلة، وجب علينا أن نتحدث عن أرض القبلة وعن قبائلها المؤثرة، وعن المشاكل التي وقعت بين هذه القبائل قبل دخول الطليان، الأمر الذي ساهم في سلبيات الجهاد، وجعل الطليان يستغلون الحزازات والنعرات القبلية لصالحهم. بل جعلت الإيطاليين في كثير من الأحيان يسلحون بعض القبائل لتضرب الأخرى وهم يتفرجون ويجنون ثمار المشاكل لصالحهم.

ونحن إذ نذكر هذه المشاكل والإحن لا نريد إحياءها كما يتوهم للبعض أو إذكاءها من جديد. ولكن ليعلم من له عقل وينظر من له عينان النتائج التي تؤول إليها الصراعات الداخلية، والمنازعات التي يؤججها أصحاب العقول الصغيرة والنظرة القصيرة والذين تهمهم مصالحهم المادية، وتنمية ثرواتهم على حساب تشريد قبائلهم وذبح شبّانها لأسباب تافهة.

ولا أريد أن أوغل في التاريخ أو أفتش في بطون الكتب لأخرج للقارىء جذور وأسباب المعارك. ولكنني أريد أن أتناول مجموعة من المشاكل بين قبائل متقاربة في السكن في منطقة الصحراء (القبلة) نشبت بينها معارك لأسباب تافهة، أثرت نتائجها في ما بعد في حركة الجهاد، وكانت من أسباب الانقسامات التي شهدتها حركة الجهاد في أرض القبلة.

وإذا أردنا البدء في هذه الإحن والحزازات علينا أن لا نتجاهل حركتي غومة المحمودي، وعبد الجليل سيف النصر، هاتين الحركتين اللتين يرقى بهما بعض المؤرخين إلى (الثورة) ويطلقون ذلك عليهما دون تمحيص أو دراسة جادة لأسباب خروجهما على السلطة، والنتائج التي وصلت إليها حركة هذين الرجلين. وإنَّ انتقادنا للحكم التركي وعيوبه يجب أن لا يجعلنا نهلل لكل من حمل السلاح في تلك الفترة ضد الأتراك أو ضد المواطنين، بل علينا التروي وتحليل تلك الأحداث بفكر ثاقب وعاقل. فالأتراك ليسوا استعماراً ـ كما يحلو للبعض أن يسميهم ـ بل قوة مسلمة دفعها الحماس

للإسلام والمسلمين أن تصد الحملات الصليبية على المنطقة. ولو جاز لنا تسميتهم استعماراً لسمحنا لهم بأن يسموا فترة الحكم العربي الإسلامي لتركيا وإيران استعماراً عربياً هو الآخر!!

عبد الجليل سيف النصر:

تربى هذا الرجل في السرايا الحمراء وفي رعاية يوسف القرمانلي الذي أحسن إليه وعلمه وحفظه من الضياع عندما قتل أسرته التي تمردت على الحكم التركي، وكان من الممكن ليوسف أن يقتل عبد الجليل هو الآخر، ولكن الرجل حافظ عليه.

وما إن شب عبد الجليل عن الطوق حتى كلفه يوسف بجمع الضرائب والأعشار من منطقة سرت. وقد قام بذلك أحسن قيام، لأن الأعشار في ذلك الزمن تشترى من الدولة، وهي أشبه بالمقاولات في الوقت الحالي. فالذي يقوم بجمعها يحصل على نصيب وافر لنفسه، ولم يمانع سيف النصر، ولم يحتج على كثرة الضرائب.

ثم أرسله يوسف على رأس حملة من مواطني المنطقة لمساعدة الشيخ محمد الأمين الكانمي شيخ (كانم) ضد مملكة (باقرمي) وتكونت الحملة من قبائل ورقلة، وأولاد سليمان، والقذاذفة. واستطاعت هذه المجموعات أن توفر الحماية والأمن للشيخ الكانمي وتقضي على أعدائه، وتستقر هناك لحمايته. ويعود عبد الجليل محملاً بالغنائم للخزينة التي صرفت على الحملة، وكان ذلك عام 1817 حيث كانت الغنائم وفيرة وكذلك الهبات والهدايا من شيوخ المنطقة ليوسف القرمانلي[1].

عاد عبد الجليل مرة أخرى إلى المنطقة. وفي هذه المرة قرر الاحتفاظ بالغنائم لنفسه وكذلك حكم منطقة فزان لنفسه وبدأ في مهاجمة القبائل المجاورة لسلب ممتلكاتها واستياق حيواناتها وقتل شيوخها.

إن القضية لم تكن ثورة على الحكم التركي كما يقول البعض بل هي اغتصاب ونهب وتسلط على القبائل الليبية الأخرى التي لا شك أنها كانت تؤيد هذه الثورة لو كانت ضد الأتراك وضد العسف وضد الميري.

أرسل عبد الجليل سيف النصر لشيوخ المقارحة يطلب منهم الحضور لاستضافتهم والتداول معهم في ما يجب عمله ضد الأتراك. حضر الاجتماع أربعة عشر شيخاً.

---

(1) انظر كتاب: ليبيا أثناء حكم يوسف باشا القرمانلي، تأليف د. كولافو لايان، ترجمة د. عبد القادر مصطفى المحيش، مراجعة د. صلاح الدين السوري، منشورات مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي.

وفي خيمته وهم ضيوف عنده قام بالقبض عليهم وذبحهم في منطقة تسمى (الركاوي) في (خشة الهروج). وقد ذكر هذه المنطقة الشاعر المقرحي عندما هاجرت مجموعات المجاهدين نحو (زلة) سنة 1914 هرباً من الطليان واستعداداً للهجوم عليه ومقاتلته.

أرسل الشاعر البوسيفي قصيداً يحرض الليبيين على الهجرة قائلاً:

علـى ديـنـنـا والـلـه لا ولّـيـنـا   احنا انهاجروا والغير بينا بينا

وتداول الشعراء هذه القصيدة. ورد الشاعر المقرحي ابن مخيون قائلاً:

مـا نـهـربـوا لـلـخـشـه   في وين مولى الغش يظهر غشه

والـسّـو يـبـدا بـيـنـا يـطّـشّ   والحق ما يخلُّوه بين اثنينا

وشبح (الركاوي) للقلوب تغُشّه   يخطر علينا شي بعد انسينا

* * *

وهكذا نرى أن تلك الأحداث البعيدة أثرت في حركة الجهاذ في ما بعد.

ولم يقتصر عمل عبد الجليل على مشايخ المقارحة بل أرسل يستضيف مجموعات من مشايخ معدان وفرجان وحسون وغيرهم. أربعون شيخاً منهم قام أيضاً بذبحهم في خيمته وهو يستضيفهم.

وفي الجنوب عينّ عبده (غاية الخير) حاكماً على سوكنة وأمر بقتل مجموعة من قيادات سوكنة ووجهائها. ولكن هؤلاء سمعوا الخبر فهاجموا العبد وأخرجوه من سوكنة. وهنا أسرع عبد الجليل إلى سوكنة وحاصرها سبعة أشهر. ويقول بيلاردنييللي الذي أورد هذه الأحداث:

«عندما بلغ إلى علمه هذا النبأ أسرع عبد الجليل بإيفاد ابن عمه الساعدي إلى سوكنة ليلتحق به هو نفسه بعدها بقليل، ويضرب حصاراً حولها. دام الحصار بدون طائل زهاء سبعة أشهر. لم تستسلم البلدة. فحاول عبد الجليل عبثاً تجويعها بتحطيم النخيل ونهب الماشية»[1].

ولم يقتصر الموضوع على سوكنة بل هاجم قبائل الشاطىء منتقماً، منها الزوائد، والمقارحة، والحساونة وأولاد بوسيف، وكانت حملته بقيادة ابنه عبد السلام الذي قتل في المعركة التي نشبت في المحروقة سنة 1832.

ويقول بيلاردنييللي:

---

(1) القبلة، ص 20 تعريب مركز جهاد الليبيين.
يقول كبار السن في سوكنة إن عبد الجليل حطم 27000 نخلة من نخيل سوكنة.

«وبفقد ابنه أصبح عبد الجليل أكثر قسوة ووحشية من ذي قبل؛ فأعدم أو عرض للتعذيب الوحشي رؤساء وأعيان أتوا ليستسلموا إليه. هدم ونهب القرى، ونكل بالأهالي وسامهم سوء العذاب والبطش بشتى الوسائل، ونشر الموت والدمار في كل مكان، وصب جل غضبه ونقمته على عائلات المقارحة الذين لم يحتم نساءهم ولا أطفالهم التعساء. . .»[1].

بل طارد المقارحة حتى ألجأهم إلى مزدة، وطالب من غومة المحمودي المساهمة معه في حصار مزدة والاستيلاء عليها.

قبل بدء القتال أرسل سكان مزدة خمسة أشخاص للتفاوض معه ومحاولة منعه من اقتحام البلد وحقناً لدماء المسلمين وكان هؤلاء الخمسة كما يقول بيلاردنييللي مشكلين من مزدة الفوقية ومزدة اللوطية.

تكلم أكبر المجموعة سناً عبد الله الشرع، وصرح بأن مزدة لن تسلم مقرحياً واحداً ما دام (قبلاوي) واحد باقياً على قيد الحياة.

وأمام تهديد غومة المحمودي بالقوات الواقفة في انتظار الأمر بالهجوم قال الشيخ عبد الله كما يذكر بيلاردنييللي:

«مهلاً يا غومة. رد بشمم وإباء الشيخ عبد الله. إن من يتجاسر ويدوس على نسائنا لا بد أن يمر قبلها تحت هذا السيف. .».

وامتطى صهوة جواده واندفع نحو مزدة.

التفت عبد الجليل إلى بقية الوفد قائلاً:

وأنتم ما قولكم؟

نحن من رأي الشيخ عبد الله أجاب الرجلان اللذان من مزدة اللوطية. قالا ذلك وامتطيا صهوة جواديهما ليقتفيا أثر شيخهما.

أما عضوا الوفد الآخران اللذان كانا من مزدة «الفوقية» أحمد بن هدية ممثل رحل الزنتان من أولاد بو الهول والمدعو (العيساوي) الذي هو من (القنطرار) وبدافع شيء من الخوف وأيضاً نتيجة انبعاث أحقاد قديمة دفينة لم تخمد أبداً تفصلهم عن بني عمومهم في مزدة السفلى أعلنا عن مساندتهما لسيف النصر. ليس ذلك فحسب بل اقترحا عليه أن يزحف في اليوم التالي على القرية العليا التي سيقومان بفتح أبوابها أمامه. ويزحف ويداهم القرية السفلى من خلالها فيقضي على أية مقاومة يبديها أهالي

(1) القبلة، المصدر السابق، ص 103.

مزدة (اللوطيين). وعند عودتهما إلى القرية في المساء، أبلغا الزعماء الآخرين بالاتفاقات التي عقداها مع عبد الجليل، معللين ذلك بقولهما: إنه في غير مصلحة قومهما مواصلة صراع قد يكلفهم ثمناً باهظاً في الأرواح والأرزاق في سبيل الدفاع عن أناس لا تربطهم بهم أية صلة.

تمكنت من سماع هذه الأقوال إحدى نسائهم التي لها أقرباء بمزدة السفلى وبحجة ضرورة زيارة والدتها المريضة تسللت تلك الليلة ذاتها إلى قريتها الأصلية لتفضي بكل ما سمعته.

استشاط أهالي مزدة السفلى حنقاً ونقمة عند سماعهم هذا الخبر فصاحوا منددين بمثل هذا العذر. اندفعوا صوب مزدة العليا، واقتحموها، واستولوا عليها وأسروا الزعماء المعارضين لقضيتهم العادلة.

وفي اليوم التالي اصطدمت شراذم عبد الجليل وغومة بسد من الحديد والنار...»[1].

وهكذا انسحب عبد الجليل وغومة دون أن يتمكنا من اقتحام مزدة. وبقي موقف المتخاذلين يثير الحزازات حتى قدوم الطليان.

وكما هاجم الشاطىء وسوكنة ومزدة، وبطش بالقبائل وذبح الشيوخ في هذه المناطق، هاجم أيضاً مسلاتة وترهونة ومناطق سرت، وقبائل أخرى لا علاقة لها بالحكومة المتواجدة في طرابلس، والتي كان عبد الجليل أحد موظفيها يجمع الضرائب بقسوة في مناطق سرت. وكذلك من مناطق الجنوب، وكانم التي جلب منها الغنائم الوفيرة وهي ولا شك مسلوبة من المواطنين.

وقد كان السفير البريطاني يحرض عبد الجليل على التمرد ويدعمه لأن هذا السفير يهمه سقوط يوسف القرة مانلي وإضعاف حكومته[2].

وأمام هذا البطش الجماعي بالليبيين من قبل عبد الجليل، والنهب والسلب قررت قبيلة القذاذفة الانسحاب من قواته، واعتزال الحرب معه، وارتحلت شرقاً حيث نزلت (بقرارة التمير).

وأرسلت قوافلها لجلب التمر من فزان، فمنع عبد الجليل القذاذفة من الميرة وأرجع قوافلهم بدون تمر. بل وتجاوز ذلك بأن ذهب إلى ورفللة يطلب منهم مساعدته

---

(1) القبلة، ص 103 ـ 104.

(2) انظر: ري الغليل في أخبار عبد الجليل لمحمد سيف النصر.

على الهجوم على القذاذفة وتأديبهم، رفض ورفللة ذلك. وقالوا له عندما جمع مشايخهم قائلاً لهم:

ـ ألم يبق منكم أحد يمكن استشارته؟

قالوا:

ـ لا، فنحن أهل الشورى في ورفللة.

قال:

ـ أريد منكم تجهيز حملة لتأديب القذاذفة.

هنا قال أحدهم:

ـ الواقع أن هناك من بقي ويجب استشارته في هذا الموضوع.

قال عبد الجليل:

ـ من هذا؟

قال المتحدث: إنهن الورفلليات يجب استشارتهن، لأن القذاذفة إخوتنا، والورفلليات لهن رأي في الإخوة.

غضب عبد الجليل، وضرب سخّان الشاي وقلبه على الجمر وقام غاضباً وانفض الاجتماع، وخرج من الاجتماع مغاضباً لورفللة.

وفي هذه الأثناء جهزت تركيا حملة لتأديب عبد الجليل والتقى بها في (بني وليد)، وكاد أن يقع الصلح بينها وبينه. إذ اتفق الطرفان على أن يدفع عبد الجليل (380) ناقة نظير الضرائب المتراكمة ويستمر في دفع الضرائب بعد أن يعترف به مسئولاً عن فزان.

أمر عبد الجليل مشايخ ورفللة أن يجمعوا له الإبل من أهالي ورفللة. ولكن المشايخ تلكأوا بل وذهب وفد منهم إلى طرابلس يشتكي ظلم عبد الجليل ويطالبون بإخراجه من ورفللة. وسمع عبد الجليل بالوفد فقبض على عشرة من مشايخ ورفللة وأعدمهم وخرج من بني وليد. وقد رفض يوسف القرة مانلي الصلح الذي تقرر عقده. واستمرت المناوشات.

وفي هذه الظروف جهزت تركيا حملة بقيادة (حسن البلعرني) وتوجهت إلى عبد الجليل لتأديبه، وقد رافقها أولاد بوسيف وشيخهم (أحمر اللحية) كما أن ورفللة انحازوا للعثمانيين بعد مقتل مشايخهم.

سمع عبد الجليل بالحملة فأرسل أخاه درمان إلى القذاذفة يستنجد بهم.

قبل أن يحدثهم عن طلبه، استضافوه ونحروا له وقدموا له الطعام، ولما مد يده

للأكل وجد أن اللحم قد وضع فوق (ثمار التميِّر)[1]. ففهم أن هذا الأمر يعني أنك منعتنا من جلب التمر من فزان وأجعتنا فنحن لسنا على استعداد لمناصرتك.

عاد درمان إلى أخيه بدون مساعدة، وأخبره بالقصة. تقدمت القوات التركية يساعدها الكثير من أعداء سيف النصر الذين بطش بهم وعذبهم واستلب حيواناتهم.

كان أولاد بوسيف الذين حوصروا في (مزدة) وقتل منهم الكثيرون مع الحملة، كما كان معها بعض من أهالي ورفللة. تقدمت الحملة حيث حاصرت عبد الجليل في (قارة البغلة) التي سميت فيما بعد بقارة عبد الجليل. واستمر الحصار ونفذ الماء، وحاول حفر بئر في القارة، واستطاع أن يحفر ستين قامة هو وأتباعه، ولكنهم وجدوا صخرة لم يستطيعوا ثقبها فحولوا الحفر إلى مكان آخر. وعلى العمق نفسه وجدوا الصخرة، ولم تأت قافلة الماء التي أرسل بها أخاه.

وهنا قرر عبد الجليل الاستسلام للمرابطين أولاد بوسيف وقد قال أحمر لحية لأصحابه حاثاً إياهم على قتله:

- إذا وصلني فإنه لا يموت.

وهكذا تم قتله وقتِل أخوه وحُمِلَ رأساهما إلى طرابلس حيث وُضِعا على أسوار القلعة. ولقد تركت معارك عبد الجليل حزازات بين سكان القبلة استغلها الإيطاليون عندما قدموا إلى المنطقة.

غومة المحمودي:

هذا الرجل خرج هو الآخر على الحكم التركي مطالباً بتخفيض الميري (الضرائب) والتحمت معه مجموعة من القبائل في الجبل الغربي. وكانت في مراسلاته إلى الحكام الأتراك يطالب دائماً بتخفيض (الميري) ولم يطالب في أي رسالة بالاستقلال أو الحرية كما يدعي بعض الأخوة الذين تناولوا هذه الانتفاضة.

وقد ساهم غومة في قتال كثير من القبائل التي كانت تقع في طريقه وكان يسلب حيواناتها، كما ساهم في حصار (المقارحة) في مزدة.

وساهم أيضاً في إحدى حملات الأتراك على الجبل الأخضر في فترة التفاهم فيما بينه وبين الأتراك. وقد قامت غريان بمقاومة غومة لأنه أضر بها في غزواته وانسحابه من طرابلس، وطلبوا منه عدم المرور بهم عند نهبه لحيوانات الساحل لأن الأتراك

(1) التميِّر: نبات صحراوي جذوره تؤكل وهي تشبه التمر يأكلها الأطفال بعد أن يحفروا عليها في التراب.

يتبعونه حتى غريان ثم يهاجمون غريان لأن الأثر وصل إليهم.

ولما لم يستجب لهم نصبوا كميناً لإحدى غزواته واستطاعوا في منطقة القواسم إلحاق الضرر بها وقتل رئيسها المسمى (بيري) الأمر الذي جعل غومة يتهددهم في أشعاره.

(غـــريـــان خـــيـــان وادي الـقــواسـم بـزايـد)

*

غـريـان تـسـتـاهـل الـحـرق وادي الـقـواسـم بـزايـد

وقـتـلـوه ركـاب لـلـزرق ولـدبـي مـاهـوش قـايـد[1]

*

كما أن المحاميد انقسموا على أنفسهم، فريق يؤيد غومة ويقاتل معه، وفريق يؤيد الأتراك ويقاتل معهم. وبقيت هذه الحزازات إلى أن قدم الطليان فاستغلوها.

الزنتان والمشاشية وأولاد بوسيف

هذه القبائل الثلاث تقطن الجبل الغربي ومنطقة مزدة ولها امتداد نحو أراضي القبلة، وهي قبائل متجاورة يقع بينها ما يقع بين الأجوار من ود أحياناً ومشاكسات في أحيان أخرى. وكعادة البدو كثيراً ما تقوم المنازعات على مياه الآبار لسقي الحيوانات وعلى أراضي الحراثة عند سقوط الأمطار، غير أن هذه المنازعات سرعان ما تنتهي بانتهاء الأسباب.

وفي أواخر العهد التركي قام المشاشية باستباحة (عقلة) من عقل شعير الزنتان في منطقة الوديان، وقد أخرجوا الشعير من (المطامير) وقذفوا به خارجها في كل اتجاه.

ذهب الزنتان إلى أولاد بوسيف يطلبون منهم التوسط في الموضوع والطلب من المشاشية بأن يسمحوا للزنتان بنقل شعيرهم أو أن يتركوا المشكلة بين الزنتان والمشاشية دون أي تدخل من أولاد بوسيف لمناصرة حلفائهم المشاشية[2]، واجتمع أولاد أبي سيف لمناقشة الموضوع.

جميعهم أقروا ظلم المشاشية واتفقوا على أن ينصحوهم وإذا لم ينصاعوا للنصح

---

(1) لا يزال هناك مضيق في الجبل قرب القواسم يسمى (خنقة بيري) وهو الموقع الذي نشبت فيه المعركة.

(2) المشاشية يعتبرون حلفاء أولاد بوسيف، لأن جدهم المشاي البرقي جاء للمنطقة مع جد أولاد بوسيف عبد المولى الصنهاجي كأحد مريديه.

يتركونهم وشأنهم مع الزنتان ولا يناصرونهم أمّا قبيلة أولاد (سي أحمد) التي يتزعمها الشيخ (أحمر لحية) فقد رفضت ترك المشاشية وحدهم في مقابلة الزنتان وقررت مناصرتهم.

ذهب الزنتان إلى الوالي التركي يطلبون منه مساعدتهم بفرقة عسكرية ترافقهم إلى الوديان ليتمكنوا من جلب شعيرهم.

رافقتهم الفرقة العسكرية، وسمع المشاشية بالموضوع فقدموا إلى المنطقة لمنع الزنتان من أخذ شعيرهم وكانت ترافق المشاشية قبيلة أولاد سي أحمد بشيخها.

بدأ إطلاق النار في المواقع، وتقدم شيخ الزنتان بلقاسم الشنطة من رئيس العسكر قائلاً له:

ـ سأدفع لك ليرة ذهباً مقابل كل ظرف رصاص فارغ يطلق في المعركة.

وأمر الزنتان بالانسحاب إلى الخلف.

بدأت المعركة بين المشاشية وقبيلة أولاد سي أحمد البوسيفية من جهة وبين جنود الأتراك من جهة أخرى.

كانت تلك هي موقعة (أم العجرم) التي سقط فيها الكثير من المشاشية وأولاد بوسيف، وتركت شرخاً في العلاقات بين هذه القبائل استغلها الطليان عند قدومهم.

واستمر الصراع بين قبيلة أولاد سي أحمد والزنتان وقد تزعّمه أبو بكر بوساق البوسيفي، الذي بدأ يغير على أنعام الزنتان ومنتجعاتهم دون أن يساعده أحد من بقية أولاد أبي سيف.

وفي إحدى غزواته وجد أطفالاً يرعون الغنم، منهم ابنة عمر الغول، فأخذ غطاء رأسها وقال لها:

ـ قولي لأبيك إن عمي أبا ساق أخذ بخانوقي.

وترصد الزنتان أبا بكر بو ساق إذ سمعوا أنه نزل بإبله في منطقة (الوعساء)، وكان بمفرده، فجهز الزنتان خمسة عشر رجلاً من فرسانهم منهم عمر الغول وسالم بن عبد النبي وغيرهما، وذهبوا إليه خلسة وفي سرية تامة.

مرت قافلة للزوائد بأبي ساق الذي وجد أخاه يقدم لهم الزميتة والحليب. قال أبو ساق:

ـ يا زوايد أظن أن زميتتي هذه ستقتلني.

قالوا: كيف يا شيخ أحمد؟

قال:

ـ سيجدونكم الزنتان وستخبرونهم عني.

أقسموا له أنهم لن يفعلوا ذلك.

وسارت القافلة في طريقها باتجاه الشمال حيث التقت بمجموعة فرسان الزنتان، فسألوهم عن أبي ساق فأجابوهم أنهم التقوا به مساء الأمس في (الوعساء). أخذوا واحداً منهم ورجعوا به ليريهم مكان أبي ساق.

أما أبو ساق فإنه بعد أن ذهبت القافلة قال لأخيه أبي بكر وعبده إلحقا بالقافلة واقتلا رجالها لأنهم سيخبرون الزنتان.

ركب الرجلان جملين ولحقا بالقافلة. وفي الطريق التقوا بالزنتان ومعهم الرجل أحد أصحاب القافلة. قال الرجل للزنتان وهم لا يعرفون أبا ساق:

ـ انزلوا سلموا على سيدكم أبي بكر بو ساق.

فأطلقوا النار على أبي ساق وقتلوه وأوثقوا العبد كتافاً وأرجعوه معهم.

وصلوا ليلاً وكمنوا بالقرب من الخيمة. فالعبد أخبر المجموعة أن سيده شديد الحذر، وأنه عندما تسرح الإبل غرباً يذهب هو شرقاً، وبالعكس. وفي الليل يدخل الفرس إلى داخل الخيمة.

زحفت المجموعة إلى الخيمة التي ينام أبو ساق بداخلها دون أن يعلم بشيء.. وعند اقترابهم منها اقتحموها وأطلقوا النار جميعاً صوب الرجل الذي كان وحيداً وسلاحه ليس في يده بالرغم من أنه استيقظ من نومه ولكن بعد فوات الأوان.

وقد أورد بيلاردنيبللي قصة مقتل أبي ساق بناء على رواية الشيخ أحمد البدوي الزنتاني، التي فيها الكثير من المبالغة والخيال، وجعله يموت في معركة مع أولاد أبي سيف الذين هُزموا وتركوا أبا ساق في المعركة ونقلها أحد كتبة الزنتان متباهياً بها.

هذه القصة سمعتها من الزنتان ومن أولاد أبي سيف. وليعلم القارىء أن أبا ساق هذا هو خال أحمد العياط البوسيفي الذي ساعد الإيطاليين في ما بعد للاستيلاء على القبلة، وهو أيضاً من قبيلة أحمد قرزة الذي انضم إلى الإيطاليين وكلهم من قبيلة أولاد سي أحمد التي وقفت مع المشاشية ضد الزنتان في معركة (أم العجرم).

أوردت هذه الأخبار حتى يعلم القارىء جذور المشاكل التي حركها الطليان واستفادوا منها في تشتيت شمل المجاهدين في منطقة (القبلة).

هذا بالنسبة إلى القبائل، أما سكان الواحات المسالمين فإنهم يطمحون إلى إيجاد حكومة عادلة تنصفهم وتمنع عنهم المتعدين. فهم في الغالب لقمة سائغة للمتقاتلين الذين يقتطعون نخيلهم ويعبثون بمزروعاتهم ويحملون محاصيلهم دون مقابل.

وقد أخبرني شخص من منطقة (زويلة) قال: بقينا أكثر من عامين لا نملك حيواناً واحداً في الواحة ولا نملك دجاجة ولا حبة زرع. إذ إن أولاد سيف النصر ومن معهم انتزعوا منا كل ما نملك منها وتركونا للخراب.

هذا بالنسبة إلى صحراء فزان. أما منطقة تشاد فلقد هاجم رابح بن فضل الله منطقة شرق تشاد واستطاع في حروب طاحنة أن يسقط الممالك والإمارات في كل من كانم وبرنوح وباقرمي ووداي، وقد نتج عن هذه المعارك شروخ بين القبائل، وحزازات وهروب بعض الزعامات إلى مناطق نائية أو إلى مناطق مجاورة مما جعل الفرنسيين عند قدومهم إلى المنطقة يستغلون هذه الحزازات ويستفيدون من مساعدة أولئك الأمراء الذين فروا من بطش رابح ليعيدهم الفرسيون إلى كراسيهم تحت رعاية الفرنسيين وتحت حكمهم.

ولقد وجدت في الوثائق التركية رسائل من قبائل (التبو) تستنجد بالوالي في طرابلس من غارات البدو العرب الليبيين الذين جاؤوهم من الشمال واستاقوا حيواناتهم والبعض من أسرهم. ولا شك أن هذه التصرفات تبقي حزازات استغلها العدو في زحفه على المنطقة وأثراها.

كما كان الصراع على أشده بين قبائل توارق (الهقار) الجنوب الجزائري، وقبائل توارق (والليمدن) غربيّ النيجر، ذلك الصراع الذي استغله الفرنسيون أيضاً في تقدمهم وجعلوا من (موسى أق اماسطان) سلطان الهقار يحمل السلاح مع الفرنسيين ضد مواطنيه، ويجهض ثورة فهرون بن الأنصار سلطان والليمدن بل وتقتله مجموعة من قبائل الهقار. كما جعلت أيضاً بادي ولد حمادي شيخ كنته يتصل بالفرنسيين ويرافق بمجموعاته حملتهم ضد فهرون بن الأنصار ويساهم في انكساره وقتله، بسبب غارات قبلية على حيوانات كنته قامت بها مجموعات فهرون قبل هذا التاريخ.

كما ساهم موسى اق اماسطان بقبائله في انكسار ثورة محمد كاوصن وحصاره لمدينة (اقدز) بل اشترك متطوعاً في مطاردة كاوصن في بلاد الآير الصعبة التي لولا قبائل الهقار لما استطاع الفرنسيون اقتحامها وقتل آلاف العرب المسلمين التوارق في هذه المنطقة واستياق حيواناتهم وتشريد نسائهم وأولادهم في الصحراء.

إن قبائل جنوب موريتانيا والشيخ سيديا ساهموا هم الآخرون في احتلال شمال موريتانيا وانكسار الشيخ ماء العينين وجهاده ضد الفرنسيين. كما ساهمت قيادات مغربية في إجهاض ثورته بانضمامها إلى العدو.

إن الحزازات القبلية ساهمت في تمزيق حركة الجهاد، كما ساهمت قيادات الجهاد في بعض الأحيان بأخطائهم في تعميق الهوة وتمزيق الصف.

إن الماضي مرآة المستقبل، والحاضر حصاد الماضي. فعلى الذين يدرسون تاريخ المنطقة أن يغوصوا في أعماقها، ويبحثوا عن أسباب التمزق والجذور المتسببة في الخيانة.

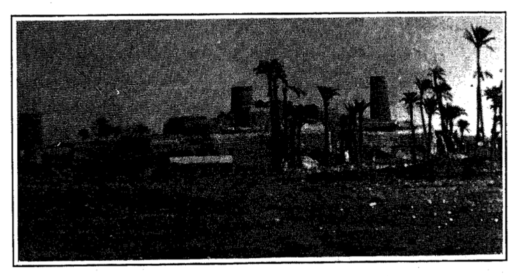
إن الصحراويين عموماً لا يعرفون الاعتدال في علاقاتهم؛ فإما أن يحبوا لدرجة الموت أو يكرهوا لدرجة الموت.

ولموقف يمس الكرامة يجعل البدوي ينتقل من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار بكل تطرف، فهم جميعاً لا يفرقون بين الذات والوطن. وأقصى وطنية الصحراوي هي ذاته فإذا ما مست أو أهينت فلا مكان للوطن في مساحة تصرفه.

إن الذين يبحثون في تاريخ المنطقة وشروخها ولم يضعوا نصب أعينهم هذه الفكرة فإنهم سيتعبون، ولن يتوصلوا إلى نتائج حاسمة.

وإن الماضي يجب أن يدرس وينظر إليه بمنظار ذلك الزمن وفي إطاره الزمني والاجتماعي والثقافي. أما الذين يحاكمون الماضي بوجهة نظر الحاضر يظلمون التاريخ ويظلمون أجدادهم ويظلمون أحفادهم لأنهم سيقدمون لهم نتائج مبتورة، وأحكاماً غائمة.

نأمل أن نكون في هذا السفر قد قدمنا شيئاً ذا بال، وأن نكون قد ساهمنا في إعطاء مفاتيح البحث لتاريخ هذه الأمة في هذه المنطقة من مناطق تواجدها وتمازجها.



● **مدينة (مزدة) 1915**

(عن كتاب الصحراء الطرابلسية)

الفصل الثاني

المقاومة العربية للغزو الفرنسي

1899- 1914ف

المتتبع لحركة تنقلات القبائل في منطقة الصحراء الكبرى يجد أن أغلب هذه القبائل من أصول عربية ليبية بل إن بعضها ترك فروعاً في ليبيا.

وعلى مدى أوائل القرن الماضي نشطت بعثات الاستكشاف الأوروبية للوصول إلى الأدغال الإفريقية، بل إلى شمال الأدغال والتوغل في منطقة الصحراء الكبرى.

وعلى حسن نية ـ وكثير من النوايا الطيبة تسبب مشاكل لا حصر لها ـ ساعد السكان بعض هذه البعثات وآووها وأطعموها في ديارهم، الأمر الذي جعل بعض هؤلاء المستكشفين يعودون أدلاء للقوات الغازية بعد ذلك بقليل[1].

وكانت أوروبا تطبخ وتقسم الغنيمة بينها وتعقد الاجتماعات وتوقع الاتفاقات.

ولعل الاتفاقية التي تعني المنطقة هي الاتفاقية التي عقدت بين بريطانيا وفرنسا سنة 1890، وأقرت تقسيم المنطقة وأطلقت يد فرنسا في منطقة وسط إفريقيا بعد أن احتلت الجزائر عام 1830 وتونس 1881 وتقدمت نحو الصحراء الكبرى من الشمال والجنوب.

كما احتلت السنغال في غرب إفريقيا وتقدمت منها شرقاً وشمالاً.

وفي عام 1899 وصل الفرنسيون إلى جنوب تشاد وجنوب النيجر. وقد وجدوا أمامهم الشيخ رابح فضل الله الذي سبقهم ووحّد الممالك في حروب طاحنة استمرت عقداً من الزمن.

كما وجد الفرنسيون أيضاً الشيخ محمد السني الليبي الذي وصل هو أيضاً إلى المنطقة منذ عام 1896 وأنشأ عدة زوايا قرآنية في منطقة كانم، وانقيقمي، وقرو، وبئر العلالي وغيرها. كما قام بالتنسيق مع رابح بن فضل الله لمحاربة الكفار.

كما وجد الفرنسيون أيضاً القبائل الليبية التي تركها عبد الجليل سيف النصر

---

(1) انظر كتاب: قصة اكتشاف ليبيا في العصر الحديث، نجم الدين الكيب، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان.

لمناصرة الشيخ محمد الأمين الكانمي، ورفللة، قذاذفة أولاد سليمان، تستقر في منطقة كانم.

ووجد الفرنسيون أيضاً العداوات القبلية التي خلفتها حروب رابح ومن قبله حروب القبائل الليبية التي وصلت إلى بلاد الآير. وقد استغل الفرنسيون هذه الحزازات بعد أن درسوها وعرفوا مداخل المنطقة[1].

وما إن وصلوا إلى جنوب تشاد الحالية واصطدموا مع رابح بن فضل الله حتى وجدوا آلاف المناصرين لهم من أعداء رابح ومنافسيه.. وخاض رابح معارك ضارية ضد الفرنسيين وضد أنصار الفرنسيين في المنطقة من أعيان ومشايخ الممالك التي أسقطها قبل ذلك وعلى رأسهم سلطان باقرمي (عبد الرحمن جاورنق). كما كانت القبائل الليبية في مواجهة الفرنسيين وخاضوا معارك شديدة ضد الفرنسيين وأعوانهم تارة بالالتحام مع قوات رابح، وتارة على انفراد، حيث استمر ذلك الصراع والتصدي طيلة الأشهر منذ نهاية عام 1899 وبداية عام 1900.

وفي يوم 22 أبريل 1900 استشهد رابح في المعركة مع الفرنسيين كما قتل القائد الفرنسي (لامي) وذلك في معركة (عاجري) وقد حاول ابنه فضل الله أن يقود الجهاد بعد والده ولكنه قتل عام 1901.

وهنا تقدم الفرنسيون نحو الشمال واصطدموا مع الشيخ البراني الساعدي الزوي في (بئر العلالي)، الذي استطاع رغم صعوبة المنطقة وقلة السلاح، وعدم تكافؤ القوة أن يصدهم سنتين كاملتين.

واستطاع سلطان قبيلة امزوراك التارقية في النيجر أن يصد الفرنسيين بمساعدة عناصر ليبية وهاجم الفرنسيين عندما وصلوا إلى زندر وعرقل تقدمهم يساعده سلطان زندر (أمدو دان باسّا) ومترجمه العربي (تينتوما ما شاء الله) من بلدة زويلة.

وفي يوم 19 يوليو 1900 هاجم الفرنسيون قرية (تان أماري) حيث يتمركز السلطان موسى دمرقوما ومجموعاته المتسلحة بالسيوف والرماح، ونشب قتال عنيف كما يقول العريف بوتهيل الذي كلف بهذه المهمة.

«وفي يوم 19 يوليو 1900 في الساعة السادسة صباحاً، وبعد سفر عاجل وشاق وصلت القوة الصغيرة إلى مرأى من قرية (تان أماري) حيث تسمع دقات الطبول

---

(1) انظر: مذكرات الطبيب الألماني أرفين فون باري 1848 ـ 1877 ورحلته إلى غات وبلاد الآير، ترجمة د. عماد غانم، منشورات مركز جهاد الليبيين.

المتكررة وسط حشد من السكان مجتمعين يميناً وشمالاً حول بوابة الحصن مدججين برماحهم»[1].

ويقول بوتهيل:

«فاندلع قتال شديد كان عبارة عن مجابهة بالأيدي حيث فقدت بنادقنا تفوقها الذي تكتسبه من مداها البعيد، لأن أي تارقي يُقتل يأتي آخر في مكانه».

وقد قتل جميع التوارق المدافعين عن الحصن بمن فيهم السلطان موسى، فاستلم القيادة ابن أخيه خنجر بن طلحة واتجه بمجموعاته شرقاً حيث التقى مع مجموعات الليبيين في جنوب غرب تشاد.

وقد ركز الفرنسيون هجومهم على موقع بئر العلالي حيث تقوم زاوية قرآنية هناك يديرها الشيخ البراني الساعدي الذي أثبت جدارة منقطعة النظير في الحرب ضد الفرنسيين وشجاعة فائقة أذهلت منافسه العقيد موران الذي كتب في مذكراته:

«إننا أمام خصم عنيد، يظهر فجأة ويختفي فجأة وخبير في حرب العصابات ومن الصعب التغلب عليه»[2].

وقد استطاع المجاهدون صد الهجوم الفرنسي على القلعة يوم 22/ 11/ 1899. وكذلك الهجوم الذي استعد له الفرنسيون يوم 4/ 1/ 1900 حيث استشهد في هذه المعركة خليفة حاجي أحد قادة المجاهدين. ولم يستطع الفرنسيون اقتحام الحصن في هجومهم الذي شنوه في 9/ 11/ 1901 حيث قتل قائدهم الكابتن ميلوت واستشهد من المجاهدين غيث عبد الجليل شيخ قبيلة أولاد سليمان في المنطقة.

وقد انحاز مع الأسف شيخ قبيلة التمامة المدعو شرف الدين إلى العدو مع قبيلته بأسباب المنافسة على الزعامة.

انتقل الشيخ محمد السني إلى الشمال لينظم المجاهدين في منطقة (وداي) واستقر في زاوية (قرو) وقد توفي شيخ السنوسيين المهدي السنوسي هناك وتولى بعده الشيخ أحمد الشريف الذي قرر العودة إلى (القفرة) وتولى أبو عقيلة الزوي قيادة الدفاع عن حصن بئر العلالي. وهاجم بقواته القوات الفرنسية المتمركزة حول الحصن وكان ذلك في ليلة 4 ـ 5 ديسمبر سنة 1902 وكانت أسلحة المجاهدين متخلفة بالنسبة إلى أسلحة الفرنسيين الذين يملكون المدافع والبنادق السريعة والذخيرة المتوافرة واستطاع

---

(1) ساليفو أندري، كاوصن أو الثورة السنوسية، ص 28.
انظر: جهاد الليبيين ضد فرنسا في الصحراء الكبرى للمؤلف، ص 120.

(2) ساليفو، المصدر السابق.

الفرنسيون أن يتصدّوا للهجوم وأن يصدوه وانقلبوا إلى الهجوم المعاكس يوم 5 ديسمبر حيث نشبت معركة شديدة الضراوة، استشهد فيها قائد المجاهدين أبو عقيلة وأكثر من مائة شهيد. قال محمد الطيب الأشهب: «إن عدد الشهداء في هذه المعركة كان ما يقارب المائة شهيد منهم ستون من قبيلة زويه فقط»[1].

وتقدم الفرنسيون نحو الشمال، وكان المجاهدون يهاجمونهم ويصدون تقدمهم. وقد اشتبكوا في معركة (انقال) بشمال النيجر من بلاد الآير بمجموعة من المجاهدين بقيادة (أخزي) سلطان الآير في 23 أبريل 1905. وقد استطاع المجاهدون هزم القوات الفرنسية بقيادة الملازم (جان) وإرغامها على التقهقر واستولوا على مدينة (أقدز).

وأصبح المجاهدون يشنون حرب العصابات ويقطعون قوافل التموين القادمة لمساعدة الفرنسيين الذين بدأوا يتقدمون نحو الشمال.

وأرسل الفرنسيون سرية إلى بلاد الآير بعد أن هاجم المجاهدون قرية (أنقال). وعرجوا على (تقدا) واستولوا على مجموعة من الغنائم وكان ذلك عام 1906، وهاجموا قافلة الملح القادمة من بلما واستولوا عليها في وضح النهار.

أرسل الفرنسيون سرية من الجيش تم لها الاحتلال النهائي لمدينة (أقدز) في 7 يوليو 1906.

وتحركت ضد الفرنسيين قبائل والليمدن وكل أغاروس والهقار وبدأت في الإغارة على القبائل التي خضعت للفرنسيين استمر ذلك طوال عام 1907 في شمال النيجر.

وثار (الحاج موسى) أكبر فقهاء منطقة الآير ضد الفرنسيين وتم اعتقاله في منطقة (زيلاليت). كما عزل الفرنسيون سلطان أقدز عثمان وعينوا بدله ابراهيم الدسوقي. ولكن الأمر لم يستتب فعينوا بدل هذا أيضاً ابن عمه عبد الرحمن تاقامة الذي تولى الثورة ضد الفرنسيين في ما بعد.

وقد زحف الفرنسيون لاحتلال واحة بلما[2] وأنشأوا فيها مركزاً للمراقبة والحراسة في 16 يوليو 1906.

واستمر التبو والتوارق في غاراتهم على المواقع الفرنسية والقبائل التي هادنت الفرنسيين. وقد استطاع (اللافي) أحد زعماء التبو مهاجمة أحياء (كيل أوي) ونتج عن

---

(1) انظر كتاب: برقة العربية للطيب الأشهب.

(2) بلما، هي إحدى القرى التي تقع على الحدود الحالية بين ليبيا والنيجر، وبها ملاحة يستخرج منها الملح، وتشحنه القوافل إلى الجنوب.

الهجوم عشرة قتلى وأسر 49 من النساء والأولاد والاستيلاء على 152 بعيراً. وقد هاجم كيل اوي بمساعدة الفرنسيين هذه الغزوة واستطاعوا استخلاص المنهوبات. وأنشأ الفرنسيون حصناً في منطقة «تمانيت» شمال أقدز 150 ك .م، لمراقبة حركات الثوار ومطاردتهم. ولكن هذه الوحدات لم تستطع أن تصد المهاجمين أو أن تؤثر فيهم.

ويقول الفرنسيون:

«ويتفوق علينا المهاجمون ولو كانوا قد استولوا على الغنائم في سرعة الحركة وخفتها لأنهم لا يأخذون من الحمولة غير الأكياس المصنوعة من جلود الماعز التي تكفي حاجتهم من الماء بوفرة. ويتخلصون من الأحمال وينزلونها عن حيواناتهم في حالة الضرورة لتتحرك بسير الجمال الخاصة بالركوب الشخصي. أما فصائلنا المتنقلة فإنها مهما فعلنا لها، وما دامت تتكون من الجنود (الأفارقة) الرماة الذين لا يتحملون البقاء أكثر من 24 ساعة بدون ماء. فهم مرغمون دائماً على سلوك الطريق في صحبة قافلة من البراميل المملوءة بالماء خوفاً من الوقوع في كارثة. .»[1].

ووصل الفرنسيون إلى (أم العظام) غرب مدينة (فايا) فاصطدموا بالمجاهدين في معركة كبيرة سقط فيها رئيس المجاهدين شهيداً وهو المجاهد عبد الله الطوير الزوي كما سقطت مجموعة من المجاهدين شهداء، منهم الحاج عبد الرحيم الدلالية، وصالح بن علي بن أحمد بن الشريدات، وأحمد بن علي بن أحمد، وعبد الله العقاب، وأحمودة عبد بويكر، ومحمد النايفي المقرحي، والشيخ عفيف العبيدي، وبوعريضة البرعصي، وعبد السلام الجويفي[2].

وتقدم الفرنسيون فهاجموا (عين كلكا) حيث يتمركز الشيخ البراني الساعدي فخاض معركة مشرفة استشهد فيها عليه رحمة الله مع مجموعة من المجاهدين وكان ذلك عام 1907 م.

وهاجم المجاهدون التجمعات الفرنسية في (كوار) وغنموا مجموعة من الإبل وكانوا بقيادة اللافي التباوي. كما هاجموا بيلما في 31 يوليو 1909 وقتلوا الملازم (ادروماردو) كما هاجموا أيضاً (ايمي مدما) في شمال النيجر.

واستطاع المجاهد صالح بوكريم الزوي[3] قائد المجاهدين في منطقة وداي الهجوم على الفرنسيين عندما هاجموا سلطان وداي الذي سحب اعترافه بالفرنسيين بناء على

(1) انظر: ساليفو، المصدر السابق، ص 47. وورونجات 1909، م 22.

(2) انظر: مراسلة الشيخ محمد السني، كتاب جهاد الليبيين ضد فرنسا للمؤلف.

(3) استشهد صالح بوكريم في الدفاع عن واحة القفرة ضد الإيطاليين سنة 1931.

وساطة الشيخ أحمد الشريف، فقام الفرنسيون بمهاجمته يساعدهم منافسه (بتوتة الفلاتي) ولكن صالح بوكريم استطاع تمزيق شمل المهاجمين وانتصر عليهم انتصاراً ساحقاً. كما هاجم المجاهدون (ميسكرة) لاستخلاص إبل المجاهد محمد السملالي التي استاقها الفرنسيون وقد نجحوا في ذلك. وفي أغسطس 1910 هاجم المجاهدون (بوركو) وأنزلوا بالعدو خسائر فادحة. واستمرت الغزوات من المجاهدين على المناطق التي احتلها الفرنسيون وكذلك على القبائل المستسلمة طيلة الأعوام 1909ـ 1910ـ 1911، إذ في 4 سبتمبر 1911 وقع صدام مع الفرنسيين في منطقة شمال (إفروان) يقوده من الجانب الفرنسي رئيس عرفاء «دوز» وكانت تلك الغزوات قادمة من بلاد فزان لمهاجمة منطقة (كوار).

ويقول ساليفو:

«وبعد ذلك بأربعة أشهر جاء الليبيون فنهبوا قرب (دمرقو) قرب (جاجيدونا)[1].

وفي عام 1913 انسحب الأتراك من تيبستي التي دخلوها قبل ذلك بسنتين[2].

فاستعد الفرنسيون وسلحوا قواتهم بأسلحة متطورة وحشدوا جيشهم تحت قيادة العقيد (لارجو) وتقدموا زاحفين نحو الشمال لاحتلال منطقة تيبستي.

وفي عين كلكا وقع صدام دام بين الفرنسيين والمجاهدين الليبيين في 17 نوفمبر 1913 وفي فايا يوم 3 ديسمبر 1913[3]. وكانت أكبر معركة خاضها المجاهدون ضد الفرنسيين في السنوات الأخيرة هي معركة (قرو) 14/ 12/ 1913. وكان قائد المجاهدين المجاهد محمد السني الذي خرج من المعركة بعد أن كاد أن يقع في الأسر. وأسر الفرنسيون أفراد أسرته وولديه واستشهدت زوجته وابنته وابنه عبد الله وابنه الصغير وانسحب في فلول المجاهدين المنسحبين إلى الشمال.

وفي عام 1914 وصل الفرنسيون إلى (برواي) في شمال تشاد ونصبوا أعلامهم في قمم جبال تيبستي.

وكان الإيطاليون قد أعلنوا الحرب على ليبيا في 29 سبتمبر 1911. وعندما وصل المجاهدون الليبيون القادمون من الجنوب إلى القفرة وصل الإيطاليون إلى منطقة فزان.

وقد تجمع في القفرة كل المجاهدين القادمين من تشاد والنيجر. وقد وصل من قياداتهم إلى المنطقة الشيخ أحمد الشريف ومن معه من الإخوان، والشيخ محمد السني

---

(1) انظر: ساليفو، المصدر السابق، ص 47.

(2) انظر: ساليفو، المصدر السابق، ص 47.

(3) انظر: سعيد الخويري، العلاقات الليبية ـ التشادية.

وابنه المهدي السني وصالح بوكريم الزوي وأسر الشهداء كأسرة الشيخ البراني الساعدي، وأسرة الشيخ عبد الله الطوير وغيرهما. ووصلت أيضاً إلى المنطقة قيادات أقل منهم شهرة أصبحت ذات مكانة مرموقة في دنيا الجهاد في ما بعد مثل محمد كاوصن، ومحمد هاشم، وغيث بوقنديل وآخرون لعبوا دوراً مميزاً بعد عودتهم إلى الوطن.

أما في الجهة الغربية من الصحراء (شمال مالي، شمال موريتانيا، الساقية الحمراء ووادي الذهب) فإن الفرنسيين وصلوا إلى مالي في الفترة نفسها التي وصل فيها النيجر. وتقدموا شمالاً حيث قاومهم عرب الصحراء بقيادة زعمائهم محمد بن أمهمد، شيخ قبيلة البرابيش، وشيخ قبيلة كل انتصر المتواجدتين بالقرب من تينبكتو، ونشبت معارك طاحنة استمرت على امتداد الصحراء الشمالية فاستطاعوا من إبادة كتيبة فرنسية في يونيه 1897 في منطقة سريري وقتل قائدها الفرنسي (شيفين ولاتور)[1].

ويقول بول مارتي متحدثاً عن محمد ولد امهمد:

«وبالرغم من أن قوة كبيرة أرسلت لمطاردته إلا أنها لم تتمكن من اللحاق به مع أنها ساهمت في إخضاع القبيلة دجنبر 1898»[2].

واستمر البرابيش وبعض القبائل الأخرى وجزء من قبيلة كنته يهاجمون الفرنسيين، واستطاع الخليفة ولد محمد أن يوقع بهم عدة هزائم إذ استطاع الخليفة أن يستولي على قافلة للمتعاونين مع الفرنسيين في بداية عام 1911 قوامها (1000) بعير. وفي يوم 19 نوفمبر 1911 اصطدمت قوات المجاهدين بالفرنسيين في (أم العسل) واستولى المجاهدون على 500 بعير، كما هاجم الخليفة ومن معه أبا جبيهة في شمال مالي بصحراء (أزواد). وبالرغم من هجرة محمد ولد امهمد إلى الساقية الحمراء واستقراره في جنوب المغرب فإن المعارك استمرت متأججة بين المجاهدين والفرنسيين طيلة الأعوام 1911ـ 1919. وقد برز عابدين الكنتي كقائد من قيادات الجهاد خيث التحم مع علي قدور من جنوب الجزائر وخاضوا معارك موفقة في شمال مالي وجنوب الجزائر[3]. وتم لهم حصار (تينبكتو) لمدة أسبوع بعد هزيمة القوات الفرنسية في (تنتهون)، وتجاوز الفرنسيون النهر نحو الجنوب فارين فلحق بهم المجاهدون وهاجموهم في معركة (ديدي) و (أبنونة) و (سيقو) التي استمرت خمسة عشر يوماً.

---

(1) انظر: البرابيش، بول مارتي ترجمة محمد محمود ولد دادى.

(2) المصدر السابق.

(3) انظر التفاصيل: جهاد الليبيين ضد فرنسا في الصحراء الكبرى 1854 ـ 1988 للمؤلف.

وبالرغم من أن الفرنسيين تم لهم القضاء على الكثير من المجاهدين إلا أن الثورة استمرت. وقد اعتمد المجاهدون في المنطقة طريقة حرب العصابات في صحراء يعرفونها معرفتهم لأنفسهم، فأثروا في العدو. وبالرغم من استشهاد علي ولد قدور الشعنبي في نوفمبر 1912 إلا أن المعارك استمرت بقيادة عابدين الكنتي ومولاي قدور والخليفة ولد محمد، وأصبحت المنطقة من عين صالح في صحراء الجزائر إلى تينبكتو مسرحاً للعمليات العسكرية، تسيطر عليها قوات المجاهدين.

وكانت أيضاً منطقة الساقية الحمراء وادي الذهب منطلقاً لقوات المجاهدين بقيادة الشيخ ماء العينين ولد محمد الفاضل الذي اتخذ من مدينة (السمارة) مركزاً له. وبدأ في تجميع القبائل العربية في المنطقة وهاجم الفرنسيين في معارك مجيدة استمرت طوال سنوات العقدين الأولين من هذا القرن. ولم يكتف بهذا بل هاجم الفرنسيين في المغرب وسيطر على مراكش واستولى عليها. وعين المجاهدون ابنه أحمد سلطاناً على المغرب وذلك عند تخاذل السلطان المغربي مولاي عبد العزيز وعقده اتفاقية الحماية مع الفرنسيين، ولكن الفرنسيين وأعوانهم استطاعوا إخراج أحمد الهيبة من مراكش وقد توفي والده ماء العينين عليه رحمة الله وكان ذلك عام 1912.

واستمرت المعارك بين أنصار الشيخ ماء العينين والفرنسيين في الصحراء الغربية حتى عام 1934 حيث وقعت آخر المعارك في (أم التونسي) شمال نواقشوط الحالية. وسقط عدة شهداء في هذه المعركة وانتهى بها القتال ضد الفرنسيين في منطقة موريتانيا والساقية الحمراء إلى حين.

أما في شمال مالي فقد استمر عابدين الكنتي، وخليفة ولد محمد بقيادة مجاهديهما يشنون المعارك ضد الوحدات الفرنسية حتى شاركوا في حصار (أقدز) 1917 كنجدة للحملة التي أرسلت من ليبيا (فزان) بقيادة محمد كاوصن، ولم يكتب لها النجاح. وعادوا إلى شمال مالي حيث تم القبض على الخليفة ولد محمد، وهاجر عابدين إلى الشمال وبذلك توقف القتال ضد فرنسا في شمال مالي إلى حين.

الفصل الثالث

الإيطاليون يزحفون على القبلة

1913- 1914ف

هاجم الإيطاليون ليبيا في 29 سبتمبر 1911 واستطاعوا أن ينزلوا إلى الشاطىء بعد مقاومة ضعيفة من حاميتها التركية، وبعد أن مهدوا لحملة سياسية ودبلوماسية وجوسسية لصالح استيلائهم على ليبيا، فاستطاعوا نقل المشير رجب باشا من طرابلس حيث كان يعرقل خطواتهم، واستطاعوا أن يشتروا ذمم بعض ضعاف النفوس من الليبيين للدعاية لصالحهم وذلك عن طريق مصرف روما.

هب المواطنون من الدواخل لنجدة العاصمة، ونشبت معارك ضارية في شارع الشط، وأبي مليانة، والهاني وعين زارة، وفي بنغازي وطبرق ودرنة والخمس.

غير أن الأتراك قرروا الانسحاب لضعف مقاومتهم ولهجوم الطليان على جزر البحر المتوسط التي تتبع للأتراك. وفي معاهدة أوش لوزان المعروفة انسحب الأتراك وتركوا الليبيين لمصيرهم (اكتوبر 1912) قرر الليبيون عقد اجتماع لدراسة الوضع وما سيؤول إليه مصيرهم. وفي الاجتماع الذي عقد في العزيزية في (سيدي رمضان) انقسم المجاهدون ـ بل بالأحرى قياداتهم ـ إلى مجموعتين:

1 ـ مجموعة يترأسها الشيخ سليمان الباروني قررت مواصلة الجهاد بالأتراك أو بدون الأتراك. وكان مع الشيخ الباروني كل الزعامات والقبائل التي تقع غربي غريان وغربي الزاوية، الجبل الغربي، الصيعان، نوائل، زوارة، علالقة، محاميد، صرمان، حرارات، قديرات وغيرهم من قبائل (القبلة).

2 ـ ومجموعة قررت الاستسلام لأنهم رعايا أتراك وما دامت تركيا استسلمت فيجب أن يستسلموا. وهذه القيادات تمثل القبائل والمدن التي تقع شرقي طرابلس وشرقي غريان: غريان، ترهونة، مصراتة، بني وليد وغيرهم.

أما مجموعة الجبل الأخضر (برقة) فإنها قررت مواصلة الجهاد بأمر من الشيخ أحمد الشريف مع أن هناك مجموعات استسلمت في بنغازي وغيرها يدفعها في هذا الاتجاه إدريس السنوسي وهلال السنوسي وآخرون.

بدأت إيطاليا في المرحلة الثانية من الحرب حيث استسلم لها كل من غريان

ومصراتة وترهونة وبني وليد بدون قتال وبواسطة أسرة المنتصر المصراتي التي تربطها بزعامات هذه المناطق أواصر مصاهرة كما قال (رابكس).

وتفرغ الإيطاليون في غرب ليبيا لمقاتلة الشيخ الباروني ومن معه كالشيخ سوف المحمودي، وسعد ملبودة الصويعي وحرب النائلي، وابن شعبان الزواري والحاج اللافي العلاقي وغيرهم من الزعامات الأقل شهرة.

ومن مشايخ القبلة كان الشيخ محمد بن عبد الله البوسيفي على رأس قبائل القبلة يساهم في الحرب والتجهيز لها.

وبدأ الإيطاليون قبل الهجوم على المجاهدين المتمركزين في الأصابعة في ربيع 1913 يراسلون الزعامات البعيدة ليكسبوا ودها.

فعن طريق قنصليتهم في القاهرة وعن طريق أحد جواسيسهم المدعو (ساباتو) اتَّصلوا بمجموعات القيادات في القفرة وفي الجفرة عن طريق جاسوس يدعى محمد علي علوي من مصر جنده الطليان لصالحهم وتلَقَّوْا رداً من الشيخ سيف النصر عبد الجليل من الجفرة موقعاً مع مجموعة من المشايخ في برقة.

كان مضمون تلك الرسالة يقول:

وبتاريخ 14 أغسطس 1912 وصلت إلى العلوي ردود على رسائله من مشايخ طرابلس وبرقة وهؤلاء المشايخ هم:

الشيخ سيف النصر شيخ قبائل سرت

الشيخ مراد بن جمال شيخ قبائل المحاميد

الشيخ محمد ابراهيم سليمان شيخ قبائل العواكلة

الشيخ عبد القادر يونس بوبريدان شيخ قبائل غيث

الشيخ ابراهيم محمد حدوث شيخ قبيلة البراعصة

الشيخ عمر أبو رقيعة (يمثل تسعين قبيلة تمثيلاً شاملاً وله جميع الصلاحيات).

وفي ما يلي الرد:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى صاحب الأصل والفصل ومنبع الشكر من اشتهر بالرحمة والفضل ومن له أرفع أصول المجد والشرف والدرة الكبرى في العقد ومثال السؤدد سيدنا محمد علي. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بعد تقديم سلامنا ودائم احترامنا اعلم يا سيدنا أننا تشرفنا برسالتكم فقرأناها

وعلمنا ما فيها ونحمد الله على صحتكم وهي أغلى ما نرجوه من الله.

اعلم يا سيدنا أننا أقسمنا اليمين بالطاعة لكم ولرئيس مجلس الوزراء، وأنكم أنتم ممثلنا في جميع الشؤون العامة والخاصة. ونحن نقبل جميع شروطهم ونرجو فقط أن تطلبوا من فضل همة رئيس مجلس الوزراء أن يوافقنا على جميع مطالبنا والتي هي:

1 ـ تمديد المدة المحددة وأن يعطينا فترة من الوقت كافية.

2 ـ سنكون يداً واحدة في جميع الأمور العامة والسرية.

3 ـ أنتم لا تعقدون السلم تاركين إيانا فريسة للدب الضاري ولا أنتم عاملون كما كان يفعل في الماضي، لأننا نحن العرب لا نحب عرب مصراتة وهذا هو أعز مطلب لنا وغاية ما نتمناه.

واعلم كذلك أننا مستعدون إلى إرسال وفد إلى ادريس وإلى أخيه ابني السيد المهدي وهذا ضروري لنعرض عليهما مطالبنا هذه.

إن اتفاقنا هذا معكم هو لصالح الوطن ولمنع سفك دماء المسلمين واعلم أن ادريس طلب منا منذ البداية أن نبقى محايدين ولكننا عصيناه وندمنا الآن على عصيانه وعلى اتباع رغبة بعض الاخوان.

لقد استقر رأينا نهائياً على مقابلته وطلب العفو عما سلف والتقيد بأوامره وإفهامه أننا كتبنا رسالة إليكم وضعنا فيها كل طلباتنا ونعلمكم أيضاً أن جميع المشايخ قد سلموا زمام الأمر لكم وأنتم المسؤولون عنا وتحاسبون أمام يدي الله تعالى ونسألكم باسم جميع المشايخ متوسلين إليكم، باسم جدكم الطيب الذكر السلطان أيوب المظفر رحمه الله بأن تكلفوا محمد الصديق بالسفر مع ثلاثة من المشايخ إلى الكفرة وسيكون هذا ممثلنا لدى ادريس لأنه قريبه ومطلع على جميع الأمور والعقود التي تمت بيننا وبينكم وهو اللبيب في هذه الشؤون ونتمنى أن تساعدونا في هذا الأمر بالقلب والقلم.

واعلم كذلك أننا لم نقل شيئاً إلى محمد حول هذا الأمر ولا يعرفه ونرغب أن يكون الأمر صادراً عنكم. واعلم أيضاً أننا قررنا السفر إلى بنغازي أو درنة ولكننا رأينا أن الوقت غير مناسب ورأينا أن نأتي إليكم مباشرة واتفقنا على سلوك طريق جديدة سيعلمكم بها حامل هذه الرسالة.

قلنا إن الوقت غير مناسب، حتى لا يكتشف الأمر قبل إقناع جميع القبائل الأخرى. نحن نبذل كل ممكن ونعمل ليلاً ونهاراً لإقناعها. وقد وصل عدد القبائل التي أقسمت على الطاعة تسعين قبيلة إلى هذا اليوم. لقد أوكل جميع مشايخ القبائل الأمر إلى الله أولاً ثم إليكم. وأن هذا التفويض لا يقتصر على بدو برقة بل يشمل

كذلك بادية طرابلس بالاتفاق مع مشايخ البدو في طرابلس بشكل عام. وقد حضر هذا الاتفاق المشايخ الآتي ذكرهم:

الشيخ سيف النصر عن سكان سرت كافة

الشيخ مراد عن قبائل المحاميد كافة

شيخ المشايخ عمر أبو رقيعة ممثلاً لتسعين قبيلة

الشيخ ابراهيم محمد حدوث

الشيخ محمد ابراهيم سليمان

وقد أقسم جميع المشايخ على القرآن الكريم اتباع الخطة التي بعثتم بها وفوضوا أمرهم إلى الله ثم إليكم.

واعلم أنه في هذا الوقت نحتاج إلى مساعدتكم للحصول على تمديد الفترة من أجل إقناع المشايخ من مختلف الأجناس، وأنتم تستطيعون إقناع الولاة للانتظار، والباقي على الله وعلينا أي سنتبع جميع الأوامر في أقصر وقت ونسلّمهم بأيدينا إن شاء الله أعداءهم وأعداءنا.

وأعلمكم أننا خدم مطيعون للملك ولرئيس مجلس الوزراء ولشخصكم السعيد واعلم أنه من الضروري تكليف محمد الصديق ليسافر معنا وعلى هذه الرحلة ترتكز نصف المهمة بل المهمة كلها. كما يجب إلزامه بعدم مفارقتنا وقد أعطاه الله تقدير جميع القبائل الصغيرة والكبيرة المشايخ والصبية والفقراء وجميعهم يصدقون كل ما يقوله لهم لأنه من الأشراف أولاً وثانياً يرتبط بعلاقة قرابة مع أسيادنا أوثق من علاقة أي أحد من الإخوان.

ونود أن نؤكد لكم والله تعالى أنه قدم لنا ولكم خدمات لا ننكرها حتى في الدار الآخرة. فقد بين لجميع المشايخ الحاضرين هذه المرة ما تعتزم أن تعمله هذه الدولة الكبيرة نصرها الله من عنده. ونقسم على القرآن الكريم لو أن محمد الصديق جاءنا قبل اندلاع الحرب لما انطلقت رصاصة واحدة ولا أريقت نقطة دم واحدة على الأرض. ونحمده تعالى أن أرسلكم وأرسل محمد الصديق إلينا فقد أعلمتموه بما لم نكن نعلم وكنا مخدوعين بكلام الخونة الذين لا يهمهم خراب الوطن أو عمرانه، فبالنسبة إليهم سيان. والمثل يقول: النار لا تكوي إلا الرجل التي تدوسها. واعلم لا تصدق سكان الحواضر فكلهم خونة يخونونكم كما يخوننا وهم أسباب هذه الحرب ولا يهمهم أي شيء. وعليكم المحافظة على سرية هذا الخبر، ولا تعلموا أي واحد من الحضر حول هذا الاتفاق المعقود بيننا وبينكم.

بلغوا سلام جميع المشايخ إلى أخينا في الله الدكتور انساباتو والدكتور نارديني وكل

من يلوذ بكم فقد علمنا أنهم قدموا لنا خدمات كبيرة نشكركم عليها.

إن شاء الله نبيِّض وجوههم أمام الملك ورئيس مجلس الوزراء وأمام جميع أفراد شعبهم، وسننفذ أوامركم إن شاء الله لإدخال السرور إلى شخصكم الشريف الموقر ولو كلفنا ذلك التضحية بأبنائنا وفلذات قلوبنا، وسيكون أحلى على قلوبنا من العسل، لأن الاثنين مخلصان لكم ويعملان من أجل إسعادنا ويقدّمان لكم المساعدة كما أخبرنا محمد الصديق. السلام من جميع المشايخ المذكورين ويبلغ السلام ممثل جميع القبائل الشيخ أبو رقيعة مندوبنا العام.

التوقيعات:

الشيخ سيف النصر ـ الشيخ مراد بن جمال ـ الشيخ محمد ابراهيم سليمان ـ الشيخ عبد القادر يونس بوبريدان ـ الشيخ ابراهيم محمد حدوث. وقد فوضوا عنهم تفويضاً كاملاً الشيخ عمر أبو رقيعة ممثل عموم القبائل.

وإلى جانب هذه الرسالة هناك رسائل أخرى من عابد السنوسي متبادلة بينه وبين ساباتو ومنها ما هو مرسل إلى ملك إيطاليا كما أرسل عابد عبده (الخيرجي، وجبريل خير الله) ووصلا إلى إيطاليا بتكليف منه[1].

ناهيك عن رسائل بعض مشايخ الزوايا السنوسية حول منطقة درنة التي يقول فيها السنوسي الغرياني مخاطباً محمد علي العلوي في 20 يونيه 1912 يتحدث فيها عن المهمة الميدانية التي قام بها السنوسي بن موسى حول مدينة درنة وقد جاء إليها باسم علوي وباسم أحمد الشريف لدعوة المشايخ إلى إيقاف الحرب.

ويقول الغرياني في هذا الاجتماع: وافق المذكورون على الرضوخ للأوامر. العلمي شيخ زاوية البيضاء ـ صالح بن إسماعيل شيخ زاوية الفائدية ـ عبد الله فركاش شيخ زاوية بشرة ـ محمد الغزالي شيخ زاوية ترت ـ عبد الله بوسيف شيخ زاوية عين مارة ـ محمد الحسين شيخ زاوية المحفلي ـ السنوسي الديباني شيخ زاوية الزيان ـ السنوسي الحبيب شيخ زاوية العرقوب ـ اركيوه شيخ زاوية أم الرزم ـ محمد بوفارس شيخ زاوية مرعاة القسم.

وهناك ملاحظة على هذه الرسالة تقول إن بعض هذه الزوايا تابعة لأحمد الشريف وبعضها لأخيه محمد العابد أو ادريس والرضا»[2].

(1) انظر التفاصيل في مذكرات ساباتو، ص 185 ـ 186 ـ 194 ـ 195.

(2) انظر: "العلاقات العربية ـ الإيطالية من 1902 ـ 1930.

من مذكرات انريكو ساباتو، كالو قوتي بورشيناري، ترجمة عمر الباروني، منشورات مركز جهاد الليبيين، ص 183، ص 205ـ 206.

وبعد هذه الاتفاقات السرية وصل عبد النبي بالخير إلى الجفرة لاصطحاب الشيخ سيف النصر إلى بني وليد حيث يستقبله ضابط إيطالي مأمور سياسة، وحسن القره مانلي (حسونة باشا). ويقول بعض أهالي ورفللة الذين التقيت بهم أن عبد النبي ذهب لدعوة سيف النصر إلى الجهاد حتى إن المواطنين استقبلوه بالهتاف عندما نزل بخيمته في شعبة القرجومة وهم يرددون: الشيخ جاب العادة.. الشيخ جاب العادة.

ولكن بعض المصادر تقول إنه ذهب مُرْسَلاً من قبل الطليان لإحضار الشيخ الذي سبق له أن راسلهم ووافق على شروطهم في الرسالة السابقة التي بعثها عن طريق محمد علي العلوي عبر السفارة الإيطالية في القاهرة.

وهكذا وصل الشيخ سيف النصر، إلى بني وليد حيث استقبلته مجموعة من مشايخ ورفللة ووقعوا معه على الاتفاق مع الطليان وعدم محاربتهم، بل وسارت المجموعة كلها إلى طرابلس حيث استقبلوا من قبل الوالي.

ويصف كتاب اغوسطيني قاييبي، ميجر من المشاة، الذي أسماه (التاريخ السياسي والعسكري للمستعمرات الإيطالية) تلك المقابلة بقوله:

«... وحدث بالضبط في تلك الأيام أن النقيب أركولاني نزل من البحر إلى سرت مع الملازم نيقري وقد اندفعا بكل ذكاء وبصيرة نافذة إلى غاية بني وليد للبحث عن إجراء مباحثات مع رؤساء ذوي نفوذ ومكانة في تلك المناطق ولإيجاد طريقة ودية تؤدي إلى مقابلة ومحادثة سيف النصر، وبعد محاولات مختلفة توصلا إلى الحصول على أول مقابلة مع الشيخ القوي الذي يعسكر مع أتباعه في ناحية وادي ميمون. وكانت النتيجة المتحصل عليها من الاجتماع إغراءه أكثر من اللزوم، وأبعد من الحد الطبيعي لأنه حدث بعد ذلك بقليل أن قام عبد الجليل وعمر ابنا سيف النصر مع حوالى خمسين من الرؤساء المعوّل عليهم التابعين لهم، ومن بينهم عبد النبي، وصالح بوخنجر، والحاج أحمد المرجان، والشيخ مفتاح لعرك وآخرون من الشخصيات ذوي النفوذ، ساروا جميعاً مع أركولاني ونيقري لتقديم واجب الاحترام والتقدير إلى الحاكم العام وإعداد أسس سلمية للتفاهم والاتفاق. وتم وضع شروط عامة لفروض الولاء مع نزع سلاح كل القبائل التابعة لهم.

وبينما تقرر لسيف النصر مرتبات شهرية مقابل قيامه بتأمين سلامة طرق القوافل المارة بين المناطق المأهولة من قبائله، فإن ابنه عبد الجليل وعدداً كبيراً من الرؤساء عليهم البقاء في طرابلس لمهام خاصة يكلفون بها وضماناً للالتزام بالشروط الموضوعة. وبعد ذلك وفي الحال فإن مفوضينا عادوا مع عبد الجليل إلى معسكر (قرجومة) حيث انتقل سيف النصر للحصول على التصديق على ما اتفق عليه في طرابلس، وأن تصريحات

ذلك القائد القوي الحاسمة كانت مبرراً لاقتناع راسخ بأنّها لا تقل أهمّيّة عن الوعود التي تعهد بها».

وكانت الاستعدادات جارية من قبل المجاهدين لمعركة الأصابعة الشهيرة (جندوبة). في يوم 23 مارس 1913 أطبقت القوات الإيطالية على مجموعات المجاهدين الذين تمركزوا في الأصابعة، ووقعت موقعة شهيرة سقط فيها المئات من الشهداء وانكسر المجاهدون لنقص في الذخيرة وانقسموا إلى قسمين كبيرين، الأول بقيادة الشيخ سليمان الباروني توجه إلى الأراضي التونسية، حيث تم تسليم أسلحتهم وسمح لهم بالدخول إلى حين، والقسم الآخر يقوده الشيخ محمد بن عبد الله البوسيفي واصل انسحابه إلى القبلة متوغلاً فيها.

جهز الإيطاليون حملة لاحتلال (القبلة) وأسندوا رئاستها إلى الجنرال (مياني). ورافق هذه الحملة من العرب الليبيين عبد النبي بالخير، وعمر المنتصر كمستشارين لها[1]، كما رافقهم أيضاً الطاهر جلغم وسعد بن عطية، والنعاس بن سكيب والشيباني خلخل[2]. كما تم تكليف سيف النصر عبد الجليل وأولاده بتجميع الإبل من الجفرة لتحمل عليها القوات تموينها. كما رافق أيضاً الحملة ابن نجومة السوكني.

ويقول أغوسطينو قاييني:

«.. في أواخر عام 1913 بدأت الشكوك الأولى تشق طريقها في إخلاص البعض من الرؤساء الذين أعلنوا ولاءهم.

وعندما لم يتمكن سيف النصر من تزويد القيادة بالعدد المطلوب من الإبل لأجل حملة فزان سقط هو الآخر في موضع الشك وتعرض فجأة للإيقاف مع ابنه عبد الجليل في ودان قرب سوكنة حيث يحتفظ بأخلص مناضليه. وبدلاً من إبعاده عن ليبيا اتخذ القرار بنفيه إلى زواره حيث تيسر له بالطبع إفادة مواطنيه في الدين بالقول إنه كان ضحية افتراء وظلم..».

ويقول قراتسياني في كتابه إعادة احتلال فزان:

«إن عبد النبي بالخير اقترح على الإيطاليين سجن سيف النصر وأولاده لأنه يشك في ولائه وليخلو له الجو».

وتقدمت القوات الإيطالية لتهاجم ميسرة المجاهدين المتمركزين في منطقة الشاطىء (براك وأقار والمحروقة).

---

(1) انظر: الدكتور علي عبد الله اللطيف حيدة، المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا ص 166.

(2) رواية مهدي ابراهيم مخيون، المصدر السابق.

معركة الشب 10 ديسمبر 1913

أرسل المجاهدون مستطلعين لواحة الشب مهمتهم مراقبة تحرك القوات الإيطالية وإبلاغ المجاهدين بقدومهم، وكان على رأس هذه المجموعة بلقاسم البدي البوسيفي. وعندما رأت مجموعة الاستطلاع تقدم الإيطاليين هاجموهم جميعاً باستثناء شخص من الحساونة يسمى (بو النيران) طلب منهم أن يرجعوا إلى المجاهدين ليخبروهم كما هو متفق. ولما لم تطعه المجموعة رجع وحدَه يخبرهم. فقال له أحد المجاهدين:

ـ أين جماعتك؟

قال:

ـ لقد هاجموا العدو.

قال له:

ـ إذن أنت جبنت؟

فاغتاظ الحسناوي وقال:

ـ لقد أمرتمونا بأن نخبركم عند رؤية العدو ولا نهاجمه، وقد عملت بالأمر، وما دمتم حسبتموني جباناً (فأقسم بالله العظيم ويحرم علي الحصان ومولاته غداً سأهجم على المدفع وألحق بأصحابي).

أما بقية مجموعة الاستطلاع فقد استشهدوا جميعاً عليهم رحمة الله. كما استشهد شوشان لعائلة (منسية) يسمى غيثاً، شاهد إبله في قبضة العدو ويضع المدفع على فحلها، فهاجمهم الشوشان منفرداً وأسقط منهم عدة أشخاص واستشهد عليه رحمة الله.

معركة أشكدة 13 ديسمبر 1913

تقدم الإيطاليون باتجاه (الدويسة) واصطدموا مع مقدمة المجاهدين الذين أرسلوا لتعطيل تقدم الإيطاليين ونشبت بينهم معركة استخدم فيها الإيطاليون المدفع، وقد هجم على المدفع مجموعة من الفرسان يتقدمهم أبو النيران الحسناوي الذي خلع لجام فرسه وتقدم نحو المدفع يشق جنود الأعداء إلى أن سقط شهيداً عليه رحمة الله.

وجاءت أمه تسأل عنه، فقيل لها لقد هجم على المدفع واستشهد.

زغردت العجوز وصاحت «الحمد لله لم يكن ابني جباناً كما قلتم بالأمس».

وقد استشهدت مجموعة من المجاهدين في أشكدة منها حوالى ثلاثة عشر من المقارحة بينهم محمد بن كرير وقريرة الهمالي وأبو نويرة وولد سالم الشيباني، ومجموعة من أولاد بوسيف.

ويقول محمد عويدات أبو بكر سالم الحسناوي[1] إن الإيطاليين أرسلوا رسالة باسم المجموعة من العرب المرافقة لهم تطلب من المجاهدين الاستسلام وأحضرها شخص من سكان أشكدة وسلمها إلى سعد بن عمر المقرحي، فيها الكثير من الوعود بالعمل والجندية وبتأجير الإبل وعرض الرسالة فيمن عرض على محمد بن رحومة الذي أنّبه وهدده بالسيف فانسحب سعد بن عمر. . «وأظن أنه اتصل بهم وأعلمهم بالناحية التي يرابط فيها هو وأتباعه. وأعتقد أن بعض القوات الإيطالية قد تقدمت إلى الموقع واحتلته ليلاً كما اعتقد بأنه أشار على الإيطاليين بأن يتظاهروا في الصباح بالاتجاه جنوباً حتى يلحق بهم المجاهدون ويتركوا مواقعهم، وتكملوا أنتم احتلال الكاف. وفعلاً عند الفجر تحركوا من أشكدة واتجهوا نحو الجنوب فاعتقدنا أنهم هربوا فلحق بهم الفرسان أولاً ثم تبعناهم. .»[2].

وعند الصباح نشبت معركة أشكدة حيث سقط مجموعة من الشهداء منهم حامد بن علي بن رحومة وعبد الرحمن العويتي كما استشهد قائد المجموعة بشير بن حسن العياط، وما يزال قبره مزاراً في أشكدة حتى هذا التاريخ، وهو أخ أحمد العياط الذي قتل مع الطليان (وسبحان الله العظيم)، ومجموعة من الحساونة والمقارحة ومن سكان المنطقة[3] وتقدم الإيطاليون باتجاه براك حيث احتلوها واستقروا فيها لمدة يومين ثم تقدموا نحو المحروقة.

معركة المحروقة 24 ديسمبر 1913

استقر الشيخ محمد بن عبد الله البوسيفي بمن معه من المجاهدين في بلدة المحروقة. وفي القارة المطلة على القرية والشعاب المحيطة بالقارة، واستعدوا لمصادمة الإيطاليين عند خروجهم من براك باتجاه سبها.

كان موقع المجاهدين حصيناً حيث تمركزوا في الوادي الواقع شرقي القارة، والذي تفصله عن براك أرض منبسطة سيصبح الإيطاليون عند تقدمهم فيها هدفاً سهلاً لرماية المجاهدين[4].

---

(1) انظر إلى المقابلة في موسوعة روايات الجهاد، جمع علي البوصيري.

(2) رواية امحمد عويدات أبو بكر سالم الحسناوي، المصدر السابق.

(3) يقول رحومة محمد رحومة إن في معركة أشكدة استشهد 24 حسناوياً. انظر: موسوعة روايات الجهاد، جمع علي البوصيري، شريط رقم 10/5 و10/6.

(4) وقفت على أرض المعركة سنة 1984 مع مجموعة من المجاهدين حيث شرحوا لي ظروف المعركة وملابساتها.

وفي صباح يوم 24 تقدمت القوات الإيطالية نحو الأرض المنبسطة حتى أصبحت على مدى مرمى سلاح المجاهدين والذي كان عبارة عن بنادق فقط، ولا يملكون أسلحة ثقيلة أو رشاشات.

وعند وصول الإيطاليين نشبت معركة حامية الوطيس منذ بداياتها الأولى، وسقط العشرات من المجندين الإيطاليين ومن الجنود الإيطاليين الذين لم تسعفهم أسلحتهم الثقيلة التي لم تصب مواقع المجاهدين في الوادي.

استخدم المجاهدون فيها كل ما يملكون من ذخيرة وشجاعة وإقدام وتقهقرت القوات الإيطالية وتراجعت بعد أن سقط منها مئات القتلى، وأصبحت أبعد من مرمى بنادق المجاهدين.

هنا هبّ المجاهدون من مواقعهم وانطلقوا باتجاه العدو. وكانت الرشاشات الإيطالية لا تزال في مرابطها فحصدتهم بنيرانها، وسقط العشرات منهم عليهم رحمة الله. كما سقط الشيخ محمد بن عبد الله شهيداً، وسقط معه اثنا عشر شيخاً من شيوخ المجاهدين. وفسح المجال أمام قوات العدو لتقدمها باتجاه سبها ومرزق التي وصلتها يوم 3 مارس 1914، وغات التي وصلتها يوم 21 أغسطس 1914.

وانقسم المجاهدون إلى عدة فرق، بعضهم آثر الاستسلام أمثال الشيخ مرسيط السباعي، والشيخ سالم بن عبد النبي الزنتاني الذي استقر في (أدري) ولم يحضر المعركة[1]. ومجموعة أولاد بوسيف والمشاشية توجهوا إلى زلة حيث نزلوا بمنطقة الهروج يقودهم أحمد بن بشير وعبد الحفيظ النفار.

أما المقارحة والحساونة والحطمان الذين يخشون المشاكل مع أسرة سيف النصر فاستقروا قريباً من الشاطىء وأرسل إليهم (مياني) يطلب مشايخهم الذين وصلوا إلى (براك) وطلب منهم (مياني) تجهيز الإبل لإحضار التموين والمعدات من (الأحيمر) لدعم القوات الزاحفة.

وافق المشايخ على ذلك، وأخذوا أجرة الإبل من الإيطاليين ورجعوا إلى نجوعهم وقرروا ليلاً الرحيل شرقاً باتجاه النوفلية حيث وصلوا إلى منطقة (المردومة). وفي بساط (المقحزة) وجدوا الأرض خضراء تصلح لرعي مواشيهم فنزلوا هناك.

تسامع بهم المجاهدون فجاءهم دور صالح الأطيوش ورحب بهم وانضموا إليه

(1) رواية محمد عبد الرحمن الناكوع الزنتاني، موسوعة روايات الجهاد، جمع المبروك الساعدي، ص 209.

وبدأوا بمهاجمة النقاط الإيطالية واشتركوا في معارك المنطقة[1]. ثم قرر الإيطاليون لما خلا لهم الجو نحو القبلة تشكيل قوة تزحف من مزدة باتجاه القريات الشويرف، الشاطىء وذلك بقيادة الرائد بنتانو في 21 نوفمبر 1913 وكان من نتائج هذه الحملة أن تحرك المواطنون في هجرة جماعية تاركين القبلة متوجهين إلى زلة والنوفلية وكان على رأس هذه الهجرة الثانية الشيخ أبو بكر قرزة.

ويقول بيلاردنيللي:

«. . . ومهما يكن من أمر فإنه لم يبق بالقبلة إلا بضع قبائل من الرحل الذين كان يسيطر عليهم نفوذ أحمد السني رئيس زاوية مزدة الذي ما زال متوقفاً في الطابونية، وأحمد البدوي رئيس زاوية طبقة، ويقول:

وفي 24 أبريل 1914 وتنفيذاً لاتفاقات سابقة جرى حوار في القرية الغربية بين المقدم (قراتزيولي) رئيس المكتب السياسي العسكري وهذين الزعيمين اللذين سبق أن تقدما إلى الرائد (بانتانو) للإعراب عن ولائهم للحكومة الإيطالية».

«وكان في تلك المناسبة أن سُلِّمت لكل من هذين الزعيمين وثيقتا امتيازات قديمة مؤرختان في 5 أبريل 1914 كانتا تحملان توقيع الوالي (قاريوني) «أن حكومة طرابلس الغرب تعترف للسيد أحمد السني رئيس زاوية مزدة ولأقربائه وأفراد أسرته بالمزايا القديمة الممنوحة لهم (شريطة) أن يحافظ أتباعه على أمن وسلامة القوافل التي تمر بمناطقهم».

وكانت الاتفاقية التي سلمت للشيخين المذكورين تحتوي على عدة نقاط. أولها، منح زاوية مزدة مكافأة شهرية مقدارها (500) ليرة إيطالية، ولزاوية طبقة 200 ليرة إيطالية. كما يمنح الشيخان امتيازات وإعفاء من الضرائب هم وأسرهما وعائلاتهما والزوايا التابعة لهما، على أن يتكفل الشيخان بضمان أمن وسلامة تلك البقعة وحرية نقل مؤن وعتاد الإيطاليين عن طريق قوافل فزان نيابة عن الحكومة. كما عيّن الإيطاليون موظفين تابعين لهم في المناطق التي استولوا عليها فعينوا أبو بكر لقوي قائمقاماً على غات والشريف السنوسي بركان قائمقاماً على مرزق، وسالم بن عبد النبي الزنتاني مديراً على الزنتان ثم قائمقاماً مقيماً في يفرن[2].

وحاول مياني أن يستقر في فزان وأن يصل بقواته إلى نقطة التماس مع الفرنسيين في أعالي جبال تيبستي ولكن طول خط إمداداته، وبعثرة قواته في نقاط صغيرة

(1) رواية بلقاسم حمودة علي، موسوعة روايات الجهاد، جمع علي البوصيري.
(2) انظر: قراتسياني، إعادة احتلال فزان، ص 303.

وضعيفة ورجوع مجموعات المجاهدين القادمين من تشاد والنيجر وهم أُولي بأسٍ وشدة وصبر وجلد، ومقاتلون من الطراز الأول. لم يستطع مياني أن يهنأ بانتصاره إذ سرعان ما تشكلت مجموعات صغيرة من المجاهدين وبدأوا يقطعون خطوط تموينه وطرق اتصالاته، ويهاجمونه في النقاط الضعيفة والبعيدة، متخذين من زلة نقطة ارتكاز لهم ونقطة انطلاق نحو أبي نجيم، وأدري، وأوباري، حيث استاقوا مجموعات من الإبل[1] التي تقع تحت سيطرة الإيطاليين ويستغلونها لنقل أثقالهم وأحمالهم وأسلحتهم وحمل الماء لجنودهم أثناء المسيرات المضنية في الصحراء. وتوقع مياني أنه إذا ما أطلق سراح سيف النصر من زوارة فإنه يستطيع أن يهدىء من المشاكل، وأن يضغط على القبائل فتستسلم دون مشاكل.

ويقول أغوسطيني متحدثاً عن سيف النصر:

«. . . وبعد بضعة أشهر من النفي لم يقتصر الأمر على تحريره فجأة ولكن تعويضاً عن الإساءة والضرر الذي فجع به تقرر تعيينه في منصب قائمقام سرت كدليل على الأقل على التهور في اتهامه الأول كما أثار بصورة أكبر المشاعر الطبيعية لدى عمر باشا المنتصر الذي جُرد بذلك التعيين من وظيفة شغلها لغاية ذلك الوقت بصورة نالت ارتياحنا الكامل».

وهكذا ما إن وصل سيف النصر بأسرته إلى سرت ووجد الثورة تضطرم وبدأت جمارها تشتعل حتى تحرك جنوباً بأولاده وأسرته وانضم إلى مواطنيه هناك في منطقة الهروج حيث تستقر أغلب القبائل الثائرة[2].

ويقول الجنرال دي سيموني، متحدثاً عن تلك الفترة:

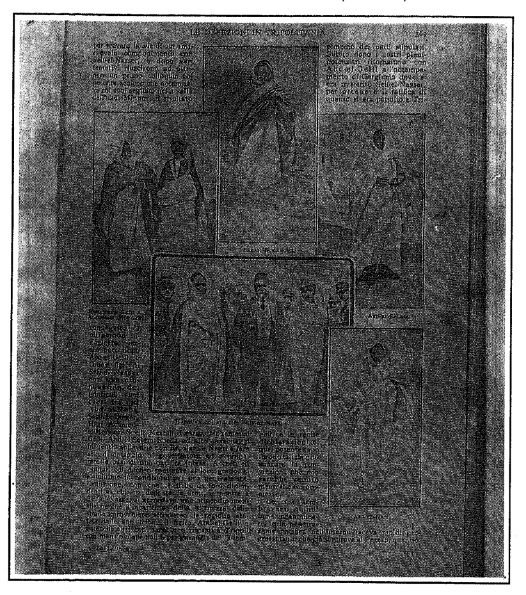
«إن جرأة الثوار على أي حال أخذت تتضاعف على الدوام، فهم غير قانعين بمهاجمة قوافل الإمدادات وبإفساد ذمة المجندين المحليين بالرشوة الذين لا يزالون على إخلاصهم. فقد أخذوا يشنون الغارات على مواقع الاستحكامات وإرغامها على القتال بصورة متكررة وإلحاق الخسائر الفادحة بها مع إجبارها تيسيراً للدفاع على تقليص رقعة احتلالها وفقاً لإمكانية قوة الجنود اللازمين لذلك. .».

وتقول مذكرات الشيخ الباروني إن سالم بن عبد النبي أرسل رسالة إلى (واو) يطلب من عابد الاستشارة فأرسل إليه يطلب منه القدوم إلى واو للمذاكرة. ولما اطلع الشيخ البدوي على الرسالة بإرساله نسخة منها إليه يقول الباروني:

(1) المصدر السابق، ص 252.

(2) مقابلة مع عبد الرحمن الحواسي من المشاية، 1984، فسانو.

«فاوراه للناس ونصحهم بأن الهجرة ممنوعة حرام لأن ايتاليا دولة قوية لا مفر منها، إلا أهل القريات ارتحلوا كذلك الشيخ السني أخلد للسكون ثم أعطى الخبر للعدو على بن سالم قريب الشيخ البدوي فأرسلوا (60) هجاناً لمراقبة جماعة القريات ليلاً ونهاراً فضاقت بهم السبل ولم يتمكنوا من الفرار..»[1].



[illegible] IN TRIPOLITANIA 369

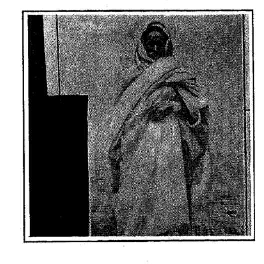
pimento dei patti stipulati. Subito dopo i nostri plenipotenziari ritornarono con Abd-el-Gelil all'accampamento di Garglumia dove si era trasferito Seif-el-Nasser, per ottenere la ratifica di quanto si era pattuito a Tri-

صور حسونة باشا وعبد النبي بالخير، وعبد الجليل سيف النصر مع مجموعة مشايخ ورفللة وضباط إيطاليين في اجتماع شعبة القرجومة.

(1) صفحات خالدة من الجهاد، ص 135.



صورة حسونة باشا وعبد الجليل سيف النصر ومجموعة من مشايخ ورفللة في اجتماع شعبة القرجومة 1913 مع ضباط إيطاليين. وقد كان معهم في الاجتماع كما ورد في كتاب (LE DEFEZIONI IN TRIPOLITANIA) ومنهم: عبد الجليل سيف النصر، عمر سيف النصر، عبد النبي بالخير، صالح بوخنجر، الحاج أحمد المرجان، الشيخ مفتاح الأزرق، محمد القايدي، عبد السلام زبيدة



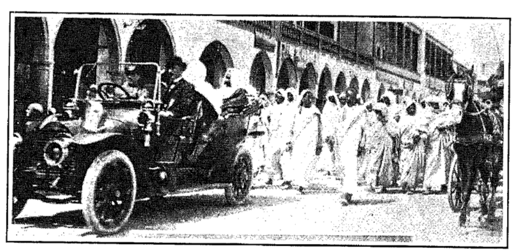
الشيخ صالح بوخنجر الشاعر الكبير في اجتماع القرجومة



الشيخ محمد الجدي والشيخ أحمد المرقان في شعبة القرجومة في الاجتماع



عبد الجليل سيف النصر أمام خيمة الاجتماعات التي عقدت مع الإيطاليين في (شعبة القرجومة)



مجموعة مشايخ ورفللة يقودهم عبد الجليل سيف النصر وعبد النبي بالخير في طرابلس لمقابلة الوالي لإعلان استسلام المنطقة 1913

الفصل الرابع

تطهير القبلة من الطليان

1914- 1915ف

تجمع المجاهدون الذين نزحوا من الصحراء أمام الزحف الإيطالي والذين خاضوا معارك الشب، وأشكدة، والمحروقة مع المجاهد الشهيد محمد بن عبد الله البوسيفي، وذلك في منطقة زلة جنوب سرت، وفي جبال الهروج وفي منطقة (المردوحة).

كان أغلب هؤلاء المجاهدين من المشاشية وأولاد بوسيف والمغاربة وأولاد سليمان والقذاذفة والمقارحة وقبائل أخرى من المنطقة. وكانت كل مجموعة تتبع شيخها أو رئيسها دون أن يكون هناك رئيس عام يخلف قيادة الشيخ محمد بن عبد الله. وقد وقعت مراسلات بين مياني وعابد السنوسي يطلب منه تهدئة هؤلاء المتجمعين في زلة. وقد وصل مندوبون من عابد إلى المنطقة لتهدئتها لصالح الطليان.

غير أن المواطنين أصروا على معاداة الطليان والتحرش بقواتهم، الأمر الذي جعل الإيطاليين يطلقون سراح أسرة سيف النصر من الأسر في زوارة في محاولة لمساعدتهم على تهدئة الأمور.

لقد وصل سيف النصر إلى سرت هو وأولاده، وكلفته الحكومة الإيطالية بجمع مجموعة من المسلحين لحماية طرق القوافل ودعمته في هذا الاتجاه، إلا أن سيف النصر كما يقول بيلاردنبيللي لم ينسَ الإساءة، فارتحل جنوباً لاحقاً بمخيمات المجاهدين معلناً تمرده هو الآخر.

وقد وصلت في هذه الأثناء مجموعات المجاهدين الذين خاضوا الحرب ضد تشاد طيلة الأعوام 1899ـ 1914، وهم نخبة من الرجال الأشداء أولي بأسٍ شديدٍ مرستهم الحرب وعركتهم الصحراء فكانوا خير نجدة للمجاهدين في هذه الظروف. وكان من أهم قياداتهم التي وصلت إلى منطقة (القفرة) الشيخ محمد السني وابنه محمد المهدي السني، اللذان استقبلهما عابد السنوسي على اعتبار أنهما يتبعان الزوايا التي تخص أولاد الشريف السنوسي لأن السنوسيين اقتسموا الزوايا وأصبحت زوايا الصحراء تتبع أبناء الشريف، وزوايا الجبل الأخضر وبرقة تتبع أولاد المهدي السنوسي.

وبالرغم من أننا نجد أن موقف عابد السنوسي من الإيطاليين موقف تخاذل، فإننا

نراه في بعض الأحيان موقف تأييد للطليان. فإذا اطلعنا على الرسائل التي كان عابد السنوسي يبعث بها إلى الإيطاليين عن طريق محمد علي العلوي الجاسوس الإيطالي المقيم في القاهرة، وساباتو موظف السفارة الإيطالية المخصص للاتصال بالسنوسيين، فإننا نجد أن عابداً متفق على الاحتلال الإيطالي لليبيا، ونجده يرسل بعبده (الخيرجي) إلى مصر ومنها إلى روما لمقابلة رئيس الوزراء الإيطالي ويحمل رسائل من عابد إلى ملك إيطاليا ورئيس وزرائها[1]. ويعود (الخيرجي) محملاً بالهدايا من حكومة إيطاليا لعابد السنوسي.

كما نراه على اتصال (بالجنرال مياني) قائد حملة إيطاليا على الجنوب، ويكلفه هذا بتهدئة الحال في المنطقة ويتبادل معه الرسائل في هذا الخصوص.

بالرغم من ذلك فقد استقبل عابد السنوسي فلول المجاهدين القادمين من الجنوب وتبنّى توجهاتهم في محاولة منه لفرض هيبته التي لا يمكن أن تبقى خارج إطار الجهاد في سبيل الله، خاصة وأن المجاهد الكبير أحمد الشريف ما زال يسيطر على اتباع الطريقة وما زال يحمل راية الجهاد ضد الطليان بالرغم من اتصالات محمد علي العلوي به والذي يخاطبه بحجة أنه من أقربائه وأنه شريف الأصل وأنه يسعى إلى الخير.

وكان في هذه الأثناء أن اندلعت الحرب العالمية الأولى وكانت ايطاليا ضد تركيا في هذه الحرب وضد ألمانيا، الأمر الذي جعل الأتراك يقررونَ الرجوع إلى ليبيا لتحريك حركة الجهاد فيها ضد الطليان، ويتولوا الهجوم على الإنكليز في مصر لمشاغلتهم حتى تستطيع قواتهم الزاحفة من الشام أن تحقق نصراً على الإنكليز في مصر.

وكان المجاهدون في زلة قد شكلوا مجموعات قتالية لمهاجمة قوافل التموين الإيطالية ومراكز تجمعهم في القرى النائية.

حرب العصابات

كون المجاهدون مجموعات صغيرة تنطلق من تجمع المجاهدين في زلة، لتهاجم مراكز الإيطاليين خلف خطوط تقدمهم. وقد نجحت هذه المجموعات أيما نجاح بحيث أربكت خطوط اتصال الإيطاليين وطرق قوافلهم وإمدادات تموينهم.

وقد ذكر المجاهد موسى محمود جيرة بعض هذه المعارك التي ساهم فيها، وأهمها:

(1) انظر: الملاحق وانظر مذكرات انساباتو.

معركة الوادي الأحمر: 7 يوليو 1914 م

تم اختيار أربعين مجاهداً انطلقوا من (المقحزة) حيث يتجمع دور صالح الأطيوش (المغاربة) باتجاه البحر، قرب خليج سرت. وعند وصولهم إلى الوادي الأحمر كمنوا هناك عدة أيام في انتظار دورية إيطالية، وقد فرغ زادهم وصاروا يأكلون (ثمار نبات العوسج) وتسلل أحدهم إلى بعض نجوع المنطقة واستلف لهم (حمل قمح) صاروا يقلونه ويقتاتون به إلى أن نفد. ولم تفل همتهم ولم تكل واستمروا في كمينهم، إلى أن رأت حراستهم في إحدى الليالي شبحاً يتقدم منهم، فأمروه بالوقوف فهرب فأطلقوا عليه النار وقتلوه، وقد كان استطلاع الدورية الإيطالية التي اصطدموا بها عند الفجر واستمرت المعركة إلى وقت الضحى حيث تم سحقها وقتل أغلبها وفر الباقون. وغنم المجاهدون الأسلحة والإبل التي كانت بحوزة الدورية. وقد تحركت السيارات لنجدة الدورية ولكن وصولها كان بعد فوات الوقت حيث انسحب المجاهدون سالمين إلى مواقع انطلاقهم[1]. وقتل ضمن قوات العدو ضابطان وستة من الجنود وسقط عدد من الجرحى.

معركة بئر الفاتية: 26 أغسطس 1914 م

كون المجاهدون بعد معركة (الوادي الأحمر) غزيا آخر قوامه ثمانون مجاهداً[1]، ولما وصلوا إلى بئر الفاتية وجدوا الآثار عليها قديمة، وكان زادهم قليلاً فقرروا البحث عن الإيطاليين ومهاجمتهم كسباً للوقت.

أرسلوا اثنين من المجاهدين لاستطلاع مكان تواجد الإيطاليين في الشويرف.

وأثناء غياب الرجلين قدمت قافلة من الجنوب محملة بالتمر فاستولى المجاهدون عليها.

بعد بزوغ الشمس من يوم 26 قدمت قافلة من الشمال تحمل التموين يحرسها مجموعة من الجنود الأرتريين ويقودهم ضابط إيطالي. وقد كانت مجموعة حراسة القافلة أكثر من المجاهدين عدداً ويرافق الضابط خمسة من الإيطاليين من غير الأرتريين والمجندين. لجأ المجاهدون إلى الحيلة حيث رفعوا قطعة قماش على بندقية موهمين الإيطاليين بأنهم معهم ومن جماعاتهم.

تقدمت المجموعة الإيطالية نحو المجاهدين وهم على البئر حتى اقتربوا منهم

---

(1) انظر: موسوعة روايات الجهاد، جمع علي البوصيري، رواية موسى محمود جيرة المقرحي الذي يقول إن الغزي 60 مقرحياً و20 من أولاد سليمان.

فاطلقوا عليهم النار من أماكن قريبة. ونشبت المعركة حامية حيث سقط الإيطاليون الخمسة ومجموعة من الأرتريين والليبيين المجندين. وفر الباقون وطاردهم المجاهدون إلى منتصف النهار ثم عادوا إلى البئر وأحصوا غنائمهم، فكانت مجموعة من الإبل والتموين وكميات كبيرة من النقود حمولة سبعة جمال (رواية موسى جيرة).

وسقط من المجاهدين شهيد واحد هو دكام المقرحي رحمه الله.

ويقول بيلاردنيللي:

«ولم ينج من المذبحة إلا جنديان أرتريّان وصلا إلى براك بعد ثمانية أيام وأخبرا بالمذبحة».

ويقول بيلاردنيللي: «إن المجندين الليبيين في القافلة انضموا إلى المجاهدين، ولكنني لم أجد ما يؤكد هذا الخبر من روايات المجاهدين الذين حضروا المعركة، إلا أن المجاهدين أطلقوا سراح الليبيين المجندين وأعطوهم بعيراً يحملون عليه ماءهم وزادهم».

معركة جبل فزان

تشكلت مجموعة من المجاهدين بقيادة المجاهد البوسيفي عبد الرحمن الأخن، وانطلقت من زلة وراء خطوط الإيطاليين ومراكز تجمعهم في براك.

وتمركزت هذه المجموعة في (جبل فزان) تراقب الطريق القادمة من الشويرف.

في هذه الأثناء قدمت قافلة محملة بالتموين والسلاح من الشويرف باتجاه براك يقودها أحمد العياط البوسيفي ومعه مجموعة من الحراسات الإيطالية.

هاجم المجاهدون القافلة واستولوا عليها وقتلوا مجموعة من جنودها، وأطلقوا سراح أحمد العياط بعد تجريده من ملابسه وجواده ووصل إلى براك على قدميه ليخبر بالواقعة[1].

معركة أم الخيل: 21 أكتوبر 1914 م

هاجمت مجموعة من المجاهدين إبل الإيطاليين المتواجدين في الشويرف والتي كان يحرسها مجموعة من جنودهم وأبادوا المجموعة واستاقوا الإبل قرب آبار أم الخيل وكانت مجموعة المجاهدين برئاسة محمد ودان البوسيفي وحسن درويش البوسيفي.

---

(1) تدخلت هنا القبيلة لأن مجموعة المجاهدين من أولاد بوسيف لم يشاءوا قتل أحمد العياط البوسيفي، مداراة للفتنة.

وادي زازمت: 28 أكتوبر 1914 م

نصب المجاهدون الذين استولوا على إبل الطليان في أم الخيل كميناً لقافلة تموين إيطالية وذلك في (وادي زازمت) بين القريات والشويرف وداهم فريقاً من شرطة الزابطية وأباده عن آخره.

وقد خرج قائد مخفر الإيطاليين في القريات النقيب باكون على رأس تشكيلة من الجند لمتابعة المجاهدين وتأديبهم يرافقه مجموعة من المجندين برئاسة عثمان بن درمان، وتوجه صوب الوادي (وادي زازمت) وعندما وصله أمطره المجاهدون بوابل من الرصاص. ويصف بيلاردنييللي هذه المعركة بقوله:

«دارت رحى معركة شرسة دامية بلغت ذروتها من الشدة في لحظات سقط في الميدان النقيب باكون والملازم فينانزي ومعهما 37 عسكرياً بعد أن أبلوا بلاء حسناً وأبدوا شجاعة فائقة وتمكن العدد القليل من الناجين ببذلهم الممزقة ودمائهم النازفة من الوصول إلى القريات والإبلاغ بهذا الخبر المؤلم»[1].

ويقول بيلاردنييللي:

«وانتشر خبر في مزدة مفاده أن جماعة أخرى من أولاد بوسيف بقيادة عبد الحفيظ النقار، كان قد انطلق في طريق زلة، لتعزيز مركز قطاع الطرق الذين لم يتوقفوا عن الهجوم المنتظم والمتواصل على قوافلنا، الأمر الذي أصبح يعرقل بصورة خطِرة خط تموينننا بين سرت وسبها».

ولم يتوقف إزعاج المجاهدين لخطوط تموين الإيطاليين طيلة الفترة التي تواجد الإيطاليون فيها في القبلة.

فقامت غزية من المجاهدين وهاجمت موقع الإيطاليين في أوباري وكانت هذه الغزية منطلقة من زلة، كما قامت غزية أخرى وهاجمت موقع أدري.

وانتشرت مجموعات المجاهدين المقاتلة في الصحراء بين سرت والقريات وزلة ينشرون الرعب بين أفراد القوات الإيطالية الذين تبعثروا في نقاط صغيرة على امتداد صحراء القبلة من مزدة إلى غات وطيلة الأعوام 1913ـ 1914.

المهدي السني:

كان ضمن الراجعين من تشاد محمد المهدي السني الذي كان شيخ زاوية (فايا)

(1) بيلاردنييللي، القبلة، المصدر السابق، ص 146.

والذي دافع عنها ضد الفرنسيين في معركة حامية.

خرج هذا الشيخ من (واو) وبرفقته مجموعة من المجاهدين على رأسهم ذلك البطل الشجاع (محمد كاوصن).

وصلوا إلى أم الأرانب بحجّة أنهم سيجمعون الأعشار للزوايا القرآنية في المنطقة.

في أم الأرانب التقوا مع مجموعة من المواطنين متوجهين إلى (واو) لزيارة السيد محمد العابد السنوسي للتبرك به. كانت هذه المجموعة حوالى 60 شخصاً من مختلف قبائل الجنوب.

أمر الشيخ المهدي المجموعة بالرجوع واعتبر زيارتهم مقبولة، وطلب منهم الانضواء تحت رايته للجهاد في سبيل الله.

وافقت المجموعة ورجعت مع الشيخ المهدي حيث استقر بها في رملة زلاف بين سبها وبراك، وبدأت المجموعات تلتحق بمخيم المجاهدين.

ولما أحس المهدي بتعزيز قواته قرر الهجوم على الإيطاليين في مراكزهم الحساسة المنتشرة في المنطقة.

وكان الجنرال (مياني) يجهز قواته أيضاً في براك للهجوم على تجمع المجاهدين قبل أن يستفحل أمره[1].

الهجوم على أدري:

يقول بيلاردنييللي:

«في أوائل شهر نوفمبر وفي الوقت الذي ظل يبعث فيه عابد السنوسي برسائله المتضمنة مشاعر إخلاصه ونواياه السليمة إلى الحكومة اندلع العصيان في الشاطىء فجأة وبعنف منذراً بالهول بعدما كان مستتراً يتقد تحت الرمال».

ويقول:

«أرسل المهدي السني من مقر قيادته في بئر زلاف أول مجموعة من المسلحين إلى أدري بقيادة كاوصن ومحمد شرع. اقتحمت هذه الجماعة حامية جنود المهاري القلائل وبعد التغلب على مقاومتهم الضعيفة في غضون دقائق دمروها بالكامل»[2].

(1) انظر: القبلة لبيلاردنييللي.

(2) انظر: القبلة لبيلاردنييللي، ص 149.

الهجوم على أوباري:

قامت مجموعة من المجاهدين بالهجوم على أوباري. يقول بيلاردنييللي: «إنهم بقيادة علي بن عبد الجليل العثماني الذي كان العقيد مياني قد أحسن إليه وأغدق عليه العطاء أكثر من مرة»[1].

ولكن الحاج عبد الرحمن الحواسي في مقابلتي معه قال إن الهجوم قامت به مجموعة منطلقة من زلة. وكان الحواسي ضمن مجموعتها، وقال إنهم استولوا على مجموعة من الإبل للإيطاليين[2].

ويقول بيلاردنييللي: «إن جنودهم ردوا بالهجوم، واستعدوا داخل القلعة..»، ويقول أيضاً: «إن المهاجمين ضربوا حصاراً حول المخفر». وهذا الخبر غير صحيح لأن المهاجمين رجعوا إلى مواقعهم مبتعدين عن أوباري، يسوقون غنيمتهم حسب رواية الحاج عبد الرحمن الحواسي المشاشي.

اقتحام سبها: 28 نوفمبر 1914 م

صادف أن كان عند تمركز الشيخ محمد المهدي السني في زلاف غزي من المشاشية وأولاد بوسيف والسعادة يستقر في جبل فزان، وهو الذي هاجم أوباري الهجمة الأولى.

كلف الشيخ المهدي مجموعة من المجاهدين تبلغ حوالى (220) مائتين وعشرين مجاهداً من مختلف مناطق القبلة يرأسهم مشايخهم:

الشيخ محمد بن أحمد علي مجاهدي أولاد بريك

والشيخ محمد بن عمر علي مجاهدي الغنائمة

والشيخ رحومة التركي علي مجاهدي السبعة

والشيخ الصديق علي مجاهدي الحساونة

والشيخ علي بن أحمد علي مجاهدي القوائدة

والشيخ محمد الشومستين وعلي بن صالح على مجاهدي القديرات

والشيخ بلقاسم المخيول علي مجاهدي المقارحة

والشيخ علي الهمالي علي مجاهدي الحطمان والسهكة

---

(1) بيلاردنييللي، المصدر السابق، ص 149.

(2) مقابلة للمؤلف مع عبد الرحمن الحواسي في فسانو، 1984.

والشيخ خليفة بن أحمد علي مجاهدي الزوائد

والشيخ سالم بن عبد النبي علي مجاهدي الزنتات

ومع المحلة مجموعات أخرى من عرب فزان والتوارق. وقد كلف سالم بن عبد النبي برئاسة المجاهدين، كما كلف محمد كاوصن بقيادة الجميع. وكان خبير المحلة سالم بن سعد الحطماني الذي كان مجنداً مع الإيطاليين وهرب منهم والتحق بالمجاهدين وأخبرهم عن سهولة اقتحام القلعة وبين لهم عدد جنودها وطريقة حراستها وأنواع أسلحتها.

في الطريق أبدت مجموعات كاوصن عدم رغبتها في مرافقة مجموعات الغرب في هذه الهجمة بحجة أنهم قد يغدرون بهم فانقسمت المحلة إلى قسمين:

محمد كاوصن ومن معه توجهوا إلى أوباري.

وسالم بن عبد النبي ومن معه توجهوا إلى سبها.

وكان الإيطاليون في سبها أقل من مائة جندي أغلبهم من الأرتريين وتكمن أهميتها في أنها مركز الإمداد لقوات مياني في الجنوب.

ليلة 27 ـ 28 نوفمبر هاجم المجاهدون القلعة، إذ اختاروا أربعة عشر مجاهداً لاقتحامها والصعود إليها، يتقدمهم سالم الحطماني ويسير خلفهم بسيفه رحومة التركي السباعي. وكان سالم بن عبد النبي مع المنتظرين في أسفل القلعة ولم يصعد معهم إلى أن تم احتلالها ورفعوا الآذان في أعلاها[1]. وكان المؤذن هو المجاهد أحمد البريكي[2]. ويقول بترانياني إنه سمع إطلاق الرصاص في القلعة عند الساعة 4,45 صباحاً، إذ إنه كان ينام خارج القلعة وكذلك أغلب الجنود بأمر من آمر القلعة، باستثناء مجموعة الحراسات.

وقد حاول الجنود الإيطاليون الصعود إلى القلعة ولكن ناراً حامية واجهتهم وردتهم على أعقابهم.

عند الصباح سيطر المجاهدون على القلعة وفر الجنود الإيطاليون والأرتريون باتجاه براك وقتل بعضهم. وتم أسر النقيب بترانياني الذي روى الواقعة في كتابه (الصحراء الطرابلسية). وقد استشهد مجاهد من الجعافرة وجُرح اثنان.

حمل المجاهدون غنائمهم من الألبسة والتموين والسلاح والذخائر على (750) جملاً

---

(1) رواية ضو علي بوحثيرة، موسوعة روايات الجهاد، جمع علي البوصيري.

(2) أحمد مدلل، المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالي، ص 243، مركز جهاد الليبيين.

استأجروها من علي الشنطة الذي كان تاجراً يشتري التمر من الزوائد ولم يحضر المعركة. وتوجهوا بتلك القافلة إلى (واو) حيث سلموها للشيخ عابد السنوسي الذي بدلاً من إكرام المجاهدين قام بمصادرة فرس محمد المهدي وجاريته ولم يرجعهما له إلا بعد وقوفه في الشمس عاري الرأس عدة أيام. كما صادر فرس سالم بن عبد النبي وأمر بجلده خمسين جلدة[1].

تطهير أوباري من العدو

وصل كاوصن على رأس قواته المجاهدة إلى أوباري ونشبت المعركة مع الإيطاليين المستحكمين داخل الحصن، وطوقهم المجاهدون مدة ستة عشر يوماً حاول خلالها قائد المجموعة الإيطالية الملازم (توكوتيكا) الفرار ولكنه قتل. وأخيراً استسلمت الحامية بعد أن أرسلت مجموعة من نداءات الإغاثة للجنرال (مياني) لنجدتها. حيث يقول بيلاردنييلي:

«إنه لم يستطع نجدتها لأن سقوط (قاهرة) سبها أثبط عزائمه». وقد أسمى بيلاردنييلي هذه المعركة (مذبحة أوباري)[2].

ويقول الشيخ علي بن جلال السباعي الذي حضر المعركة وهو يتحدث عن تجمع المجاهدين في زلاف.

«... فاجتمعوا هناك مع المهدي وتذاكروا وقسموا القوة على كل قبيلة شيخ و25 نفراً فأرسلوا أولاً نحو 200 فارس إلى براك وفيها الكولونيل وعبد النبي فأغاروا على إبلهم النقالة بتمامها وهي أكثر من 800 فبقوا بدون حركة لعدم النقلية ثم صار الهجوم عاماً في النقط، القاهرة وأوباري، وأبراك في ليلة عاشوراء رئيس القاهرة سالم بن عبد النبي ورئيس أوباري كوسن وابن جلال. أما براك فالهاجمون سوار مختلطة أسقطوا القاهرة في تلك الليلة وهرب من في براك ومرزق وغات، والهاجمون على القاهرة 280 وعلى أوباري 800 مقاتل ولكنها قاومت 16 يوماً. ثم انتحر القومندانية وسلمت القوة وأكثرها عسكر عرب فزان وكان من رؤساء القاهرة أرحومة التركي الذي أفاد أن غنائمها 2 مدفع 2 متريليوز و700 حمل جبخانة سلاح ومدافع. أما النقود فلا تحصى إلا أنها غير معلومة تسلمها الرئيس سالم بن عبد النبي..»[3].

---

(1) انظر: بترانياني، الصحراء الطرابلسية.

(2) انظر: بيلاردنييلي، المصدر السابق.

(3) صفحات خالدة من الجهاد للشيخ سليمان الباروني، ص 105.

ثم عين علي بن جلال قائمقاماً على أوباري لمدة أربعة أشهر ثم عزله عابد وسجنه في قلعة مرزق وبعد عدة أشهر هرب ابن جلال من السجن بعد أن كسر بابه، وعفا عنه العابد وأرجع له فرسه وصحبه إلى القريات في ما بعد.

معركة سوكنة: 25 ديسمبر 1914 م

هاجم المجاهدون نقطة تجمع الإيطاليين في سوكنة وحاصروها وكان ذلك يوم 25 ديسمبر، ولكن الإيطاليين استطاعوا فك الحصار وخرجوا من سوكنة بعد معركة ضارية.

وانتقل الإيطاليون ببقية قواتهم إلى هون، وودان وجمعوا فيهما فلولهم، ولكن المجاهدين هاجموا ودان وأخرجوا منها الطليان بعد معركة شديدة وقعت حول قارة (طوزة) يوم 15 يناير 1915 واستطاع المجاهدون كسب المعركة، وأسر مجموعة كبيرة من الجنود حملوهم إلى (واو).

ثم هاجموا هون التي بقي الإيطاليون داخل قلعتها واستطاعوا إخراجهم منها يوم 26 يناير 1915 حيث استولى المجاهدون على منطقة الجفرة[1]. وانسحب الإيطاليون باتجاه (أبو نجيم) حيث يرابط أحمد سيف النصر بمجموعات من المجاهدين. فأرسل له المجاهدون في الجفرة بريداً يخبرونه فيه قدوم الإيطاليين باتجاهه فاستعد لهم[2].

ويقول بيلاردنييللي: إن قوات مياني بعد هذه المعارك انخفض عددها إلى (1000) رجل.

تحرير مرزق

تقدمت قوات المجاهدين التي استولت على أوباري بقيادة محمد كاوصن إلى مرزق عاصمة الجنوب. ولمّا شعر الإيطاليون بالخطر أرسل الجنرال مياني عدة شاحنات تمكنت من سحب الجنود الإيطاليين البيض في غفلة عن بقية الجنود الملونين من الليبيين والأرتريين.

ويقول بيلاردنييللي عن مرزق:

«هذا ولم يتمكن العقيد مياني من إنقاذ رجال حامية مرزق (البيض) بواسطة قافلة صغيرة من الشاحنات إلا بشق الأنفس دون علم «المجندين الملونين» أنفسهم الذين

---

(1) انظر: معجم معارك الجهاد الليبي، للتليسي.

(2) انظر: موسوعة روايات الجهاد، مركز جهاد الليبيين.

تركهم وشأنهم مع كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر والمؤن»[1].

وقد استطاع كاوصن من احتلال مرزق بدون قتال وأسر ما فيها من الجنود ومن ضمنهم الأمباشي اليمني الحبيش الذي يكيل له قراتسياني المديح لأنه ثبت على خيانته لبني قومه ودينه! وليبرر قراتسياني تركهم لهذا الجندي ومن معه دون أن يمكنوه من الدفاع عن نفسه[2]. وقد حمل كاوصن الأسرى إلى واو.

معركة أبو نجيم: 13 ديسمبر 1914 ـ 8 فبراير 1915 م

تعرض المجاهدون للقوات الإيطالية المنسحبة من فزان والتي كان يقودها (مياني) في منطقة أبي نجيم. ووقعت بين الطرفين معركة حامية. ويقول الأستاذ التليس:

«وشهد هذا الموقع معركة عنيفة حامية ضد قوات مياني المنسحبة من فزان يوم 13 ديسمبر 1914، وتعرضت القوة الإيطالية باعتراف المصادر الإيطالية لخسائر فادحة، ولم تتمكن من الوصول إلى مصراتة، آخر مراحل الانسحاب إلا بصعوبة ومشقة»[3].

وفي يوم 8 فبراير هاجم المجاهدون القوات الإيطالية التي وصلت إلى أبي نجيم من الجفرة، واستولوا على (1600) بعير هي كل إبل[4] النقلية. وقتلوا مجموعات من الجنود ومن بينهم نقيب يسمى (ديه ماندتو) والملازم بروكولي والملازم براندي.

ولم تستطع بقية القوات الانسحاب من أبي نجيم إلا بصعوبة على ظهر بعض الناقلات وأحرقوا أغلب تموينهم وأسلحتهم وذخائرهم، ووصلوا إلى بني وليد بمشقة.

معركة وادي المجزم: 21 ـ 31 يناير 1915 و4 فبراير 1915

نظم المجاهدون صفوفهم وتتبعوا فلول الإيطاليين الفارين، فجهزوا محلة من المجاهدين وتوجهوا بها إلى غذامس. وكان على رأس هذه المحلة (كوري) على مجموعة التوارق (والمهدي كنيفو) على بقية المجموعة.

هاجمت هذه المحلة عسة للطليان في وادي المجزم يومي 21 يناير و31 يناير. ولكن الإيطاليين تحصنوا في الموقع ولم يتركوه بالرغم من سقوط عدة قتلى منهم، واستنجدوا بالقوات الإيطالية المتواجدة في غذامس التي أرسلت بدورها تستنجد، فشكلت إيطاليا

---

(1) بيلاردنيللي، المصدر السابق.

(2) قراتسياني، اعادة احتلال فزان.

(3) التليسي، معجم معارك الجهاد الليبي، ص 103.

(4) رواية الحاج حسن الطبولي الذي حضر المعركة. وانظر: موسوعة روايات الجهاد، مركز جهاد الليبيين.

محلة من المجندين الليبيين برئاسة سليمان بن سعيد من جادو، وعلي العائب الرجباني، وأحمد الصيد الزنتاني. وتقدمت إلى الموقع حيث انطلقت من جادو فاصطدمت بالمجاهدين يوم 4 فبراير وسمحوا لها بالمسير نحو غدامس واستولوا على سيناون بحيث قطعوا خط الرجعة عليها فرجعت إلى طرابلس عن طريق تونس حيث لجأت إلى الفرنسيين كما فعلت حامية غات التي احتمت بالفرنسيين في الجزائر.

استولى المجاهدون على سيناون بقيادة خليفة بن عسكر الذي وصل على قدميه قادماً من تونس حيث استقرت عائلات نالوت في منطقة (قبليٍ) وكان معه أحمد مبارك وشخصان آخران.

وقد انسحب الإيطاليون من سيناون فتعقَّبهم المجاهدون في منطقة (سويتية يعقوب) واصطدموا معهم يوم 11 أبريل 1915 وطاردوهم إلى (بئر الوطية) يوم 15 أبريل 1915. وبذلك استطاع المجاهدون القضاء على حامية سيناون وتم تطهير المنطقة.

معركة مرسيط: 6 ـ 7 أبريل 1915 م

جهزت إيطاليا ثلاث حملات لاسترجاع القبلة.

فالأولى انطلقت من (جادو) والتقت بالمجاهدين في (وادي المجزم) وقد تحدثنا عنها.

والثانية انطلقت من غريان باتجاه الوديان لمنع المجاهدين من حصاد المحصول لتجويعهم، وكان مع هذه القوة راسم كعبار الغرياني ومجموعة من المجندين.

ولقد التقت هذه القوة بالمجاهدين الذين كانوا يترصدونها ويتابعون تحركها وذلك في (خرمة الخدّامية) في وادي مرسيط ونشبت بين الطرفين معركة حامية استطاع فيها المجاهدون بقيادة الشيخ أحمد السني، الذي خرج من مزدة والتحق بالمجاهدين أن ينتصروا على الإيطاليين ويغنموا كميات من الأسلحة والذخائر، وأن يتمكنوا من تشتيت الحملة. وقد استشهد من المجاهدين مجاهد واحد من المشاشية(*).

معركة أبو غرة الأولى: 18 يونيو 1915 م

حدثني الحاج عبد الرحمن المريض البوسيفي الذي حضر هذه المعركة قال: «حضرنا معركة مرسيط، وعندما جئنا نقتسم الغنائم أصر أحمد السني على أن يأخذ

(*) للتفاصيل، انظر: مجلة الوحدة العربية، عدد أبريل 1972، مقال للمؤلف عن معركة (مرسيط).

الخمس (للأسياد)، فمانعنا نحن جماعة أولاد بوسيف، وقلنا إن أحمد السني كان مع الإيطاليين في مزدة ولحق بنا أخيراً، ونحن الذين كسرنا الطليان يجب أن لا ندفع الخمس، غير أن بقية المجموعة وافقته على ذلك. فغضبنا نحن أولاد بوسيف ومعنا أحد الرجال الكبار أقسم بالله أن لا نأخذ شيئاً نحن أولاد بوسيف، وطلب منا الانفصال عن المجموعة.

انفصلنا عن المحلة فكان عددنا (91) شخصاً مسلحين جميعاً. وذهبنا نبحث عن موقع للإيطاليين لنستولي عليه ونغنم منه.

ذهبنا إلى شمال مزدة، وكان الإيطاليون في ذلك الوقت ما يزالون فيها. وكمنّا في الجبل الذي يقع شمالها. ولم نكن نعلم أن الإيطاليين لهم قوة في (أبي غرة). تراءى لنا ثلاثة بغال في الوادي فظنناها شياه ودان فأرسلنا في أثرها خمسة من صيادي الودان لاصطيادها ولما وصل الخمسة إليها التقوا بجندي إيطالي يسوق البغال فطاردوه حتى وصل إلى مجموعة من الجنود الإيطاليين يقيلون في ظل (بطومة) وقد شبكوا بنادقهم فقتلوا بعضهم وهرب البعض واستولوا على البنادق. وسمعنا غزارة الرصاص فوقفنا نراقب فإذا بالقوات قد تحركت باتجاهنا هي الأخرى.

نشبت المعركة عند الظهيرة، واستمر القتال شديداً مع شدة الحر. وعند العصر بلغ منا العطش مبلغه، فأرسل الله سحابة انهمرت مطراً من جهة المجاهدين وأسقطت الأحجار (الثلج) (البرد) على الإيطاليين إلى أن سال الوادي.

فكنا نجد الإيطالي قتيلاً بدون ضرب من تلك الأحجار وقد حمل السيل منهم مجموعة كبيرة، وغنمنا أسلحتهم وبعض البغال والخيول والتحقنا بأهلينا.

أما الحملة الثالثة التي تم تجميعها من مختلف مناطق شرق طرابلس فقد تم سحقها في معركة (القرضابية) الشهيرة في 28 أبريل 1915 وكانت بقيادة الجنرال (مياني) الذي أفل نجمه العسكري بعد هذه المعركة. وأبرزت قيادات جهادية جديدة مثل رمضان السويحلي والمبروك المنتصر الذهوني وغيرهما[1].

وهكذا استطاع المجاهدون في بحر ثلاثة أشهر من تطهير منطقة القبلة من الإيطاليين، بل وطاردوهم حتى أخلوا الجبل الغربي وسهل الجفارة وحوصروا في المدن الساحلية طرابلس، الخمس، بنغازي، درنة، طبرق.

ولم يستطع الإيطاليون الخروج من هذه المدن طيلة سبع سنوات كاملة حتى وصل حزب الفاشست إلى الحكم في روما بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى.

---

(1) للتفاصيل، انظر كتاب: القرضابية للمؤلف.

وفي فترة الانكماش هذه حاول الإيطاليون العمل عن طريق الدعاية لهم وكسب المؤيدين، فزرعوا مجموعات من مناصريهم وزودوهم بالمال لكسب ضعاف النفوس إلى جانبهم.

وكانت القبلة من ضمن المناطق التي أرسل الإيطاليون إليها بعض موظفيهم القدامى لهذه الغاية.

ولإلقاء الضوء على تلك الفترة رأيت أن أذكر ثلاثة من هؤلاء الموظفين الذين كلفتهم إيطاليا بهذه المهمة، لأن اثنين منهم تم إلقاء القبض عليهما وإعدامهما. والثالث أفلت من الموت، وساهم في احتلال الطليان للحمادة الحمراء. ولقد صحب مقتل هذين الموظفين الكثير من التشويش والتعصب وادعاء براءتهما وأنهما قتلا ظلماً لأسباب خارجة على نطاق الجهاد والوطنية، وسبب كذلك في معارك وعداوات داخل الأسر في المنطقة ومحاولة الثأر من المتسببين في القتل. وقد سقط فعلاً عدة قتلى لهذا السبب[1].

وقد ساهم في تشويش رواية الأحداث أستاذ الفاضل الشيخ الطاهر الزاوي رحمه الله وغفر له. إذ اعتبرهما شهيدي الجهل والتعصب والنهب، وتحامل على الشخص الذي أمر بقتلهما وهو المجاهد محمد هاشم الزوي[2] ـ ومع الأسف ـ اعتبرنا كلام الشيخ الزاوي مصدراً موثوقاً وجاريناه ونهجنا نهجه، وهو الرجل الذي عاصر فترة الجهاد في الشمال.

ولكن المصادر كشفت غير ذلك، فهذا ما كتبه بيلاردنييللي عن الموضوع:

«.. أما الثاني سعد جلغم بعد استسلامه للعقيد مياني فقام بإرشاد قواتنا في معركة المحروقة ورافقها في العمليات الأخرى حتى مرزق وكان قريباً منا كقائد لمحلة من المقاتلين غير النظاميين في يوم (أبي هادي) المشؤوم ظل إلى جانبنا حتى عندما انقلب علينا القدر. عندما عاد إلى الشاطىء برفقة عمر القريد أصر على الذهاب إلى مرزق دون أن يفصح عن حقيقة نواياه. ففوجىء وهو يحوم حول معسكر للسنوسية فألقي عليه القبض، وبعد أن أفرغ ما كان في جيبه من نقود كبل بالأصفاد على أحد المدافع. والسنوسي من واقع كونه قاطع طريق من الطراز الرفيع تظاهر بالعفو عنه وإخلاء سبيله إلا أنه عندما كان هذا التعس يجتاز الواحة يغمره الخوف حتى الموت انقض عليه أربعة من عبيد عابد السنوسي واغتالوه طعناً بخناجرهم».

---

(1) انظر: موسوعة روايات الجهاد، جمع علي البوصيري، رواية المبروك سعد جلغم.
(2) تزوج هاشم ابنة سعد جلغم، وصادر عابد إبل سعد جغلم أيضاً.

أما بخصوص عمر القريد فيقول بترانياني والذي نقله بيلاردنييللي: «حول النهاية المؤلمة التي آل إليها هذان الموظفان الوفيان كتب بترانياني في مؤلفه (الصحراء الطرابلسية) يقول:

«بعد أن ألقي القبض أول مرة على عمر القريد القاضي من قبل أحمد السني (ديسمبر 1914 بعيد سقوط قاهرة سبها)[1] اعتقل لبضعة أيام في الزلاف وبعد الإفراج عنه وأخذ تعهد منه بأن يعمل لخدمة السنوسية آثر على عكس ذلك أن يلتحق بقواتنا عند انسحابها إلى الساحل. وعند عودته إلى براك اتهمه أحد الأوغاد بأنه كان قد أخبر الحكومة بكل ما كان يصنعه السنوسي في فزان، فاعتقل من جديد واقتيد إلى «برقن» ليمثل أمام محكمة صورية خاصة برئاسة وكيل زعيم السنوسية المهدي السني لتصدر حكمها عليه بالإعدام ويعدم شنقاً..»[2]. كما سجن معه علي بن جلال وهرب من السجن.

وقد أورد المبروك سعد بن عمر جلغم رواية ضمن روايات الجهاد التي جمعها الباحث علي البوصيري خلاصتها أن قتل سعد جلغم كان بتدبير تآمري من ابن عمه بالقاسم المخيون الذي زور رسائل باسم سعد للطليان وقدمها للمهدي السني الذي حكم عليه بسببها[3].

وهذه الرواية اعتمدتها في كتابي (خليفة بن عسكر الثورة والاستسلام)، وذلك قبل الاطلاع على كتاب القبلة. وقد وضح كتاب القبلة دور سعد جلغم الذي انضم إلى الإيطاليين بتشجيع من الطاهر جلغم الورفللي.

ولم تكن عودة هذين الموظفين الإيطاليين إلى القبلة وحدهما بل كان معهما أحمد العياط البوسيفي (نصف البوتسعين)[4] الذي عينه مياني عند وصوله إلى فزان قائمقاماً للشاطىء وثبّته في وظيفته هذه عابد السنوسي في ما بعد.

يقول بيلاردنييللي:

«.. وانضم إلى محلة أبي بكر قرزة مضطراً أحمد العياط الموالي لنا. وكان هذا الزعيم بعد تراجع وانسحاب حامياتنا في فزان والجفرة إلى الساحل قد رافق قواتنا

---

(1) وقع سهو فالسني الموجود بزلاف هو المهدي وليس أحمد.

(2) انظر: بترانياني، الصحراء الطرابلسية. وكتاب القبلة لبيلاردنييللي، ص 159.

(3) انظر: موسوعة روايات الجهاد، جمع علي البوصيري، مركز جهاد الليبيين.

(4) أحمد العياط: من أولاد سيدي أحمد أولاد أبي سيف، انضم إلى الإيطاليين عند عودتهم إلى القبلة وبقي على ولائه لهم إلى أن قتل يقاتل معهم 1924.

المنسحبة إلى طرابلس وعمر القريد وسعد جلغم وكان الأول قائمقام الشاطىء والثاني المقارحة الذين بقوا على ولائهم لنا.

وفي يونيو 1915 طلب الثلاثة العودة إلى ديارهم مع عائلاتهم التي ظلت تحت رحمة السنوسيين وسمحت لهم السلطات بذلك.

وعندما حلوا بوادي زمزم، اعترض طريقهم أبو بكر قرزة الذي كان متربصاً هناك مع محلته، وفي الوقت الذي سمح فيه لعمر القريد والشيخ جلغم بالمضي في طريقهما أبقى معه أحمد العياط وأرغمه على الانضمام إلى العُصاة بقصد توريطه مع الحكومة بدون شك. أنت تعلم - قال له - إن ديننا يقضي بأن من يقتلك مآله الجنة، لأنك أنت وحدك الذي استسلمت للطليان..

تعرض للتعذيب والإهانة والبصق على الوجه دون أن يرحمه أحد وعندما نفد صبره، طلب تدخل البدوي الذي كان منهمكاً في حصد الشعير في وادي الوسيق ليشفع فيه ويخلصه من العذاب فما كان عليه، شاء أم أبى، إلا أن يلتحق بالمحلة التي اشتركت في معارك خرمة بوغرة، وبئر الكردمين. إلا أنه ما إن عاد إلى القبلة حتى تخلى عن أبي بكر قرزة ولجأ إلى براك حيث كانت تقيم عائلته»[1].

لقد نتج عن رأفة المجاهدين بأحمد العياط هذا أن التحق بالطليان وأصبح من كبار قادة الباندات، وساهم مساهمة فعالة في احتلال الجبل الغربي وجند للعدو مجموعات من قيادات المجاهدين.

الحرب العالمية الأولى
1914 - 1918 م

اندلعت الحرب العالمية الأولى، وكانت إيطاليا فيها مع الإنكليز وضد تركيا وألمانيا. وانشغل الإيطاليون في معاركهم مع النمسا حيث حملوا إلى هذه الحرب سبعة آلاف مجند ليبي شحنوا قسراً إلى أوروبا للدفاع عن إيطاليا.

ورأى الأتراك أن المعارك الفعالة التي وقعت في ليبيا ضد إيطاليا من الممكن أن يستثمروها لصالحهم في هذه الحرب فسهلوا عودة بعض قيادات المجاهدين مثل الشيخ محمد سوف محملين بالوعود والأماني الطيبة من السلطان لدوام الحرب ضد الكفار. ثم عادوا رسمياً بضباطهم في بداية عام 1916 مكلفين الشيخ سليمان الباروني بأن يكون

(1) انظر: بيلاردنيللي، القبلة، ص 158.

والياً على طرابلس وأرسلوه ليضغط على الشيخ أحمد الشريف ليهاجم الإنكليز في مصر وذلك ليخفف الضغط على الأتراك وقواتهم الزاحفة من الشام عبر سيناء بقيادة جمال باشا.

وكما هو معروف رفض الشيخ أحمد هذا الاقتراح لأنه سيقطع على المجاهدين سبيل رزقهم ويقفل في وجوههم أسواق مصر (السلوم) ولكن الضباط الأتراك، وسليمان الباروني ضغطوا على الشيخ لدرجة أنهم فكروا في نسف خيمته، ورضخ مكرهاً. وتقدمت قواته إلى أن وصلت إلى الحمام بالقرب من الاسكندرية يقودها أنور وجعفر العسكري[1]. ولكن الإنكليز صدوا هذه الحملة، وشتتوا المجاهدين كما أخبرني محمد شرف الدين الضابط التركي في هذه الحملة. وعاد الشيخ أحمد إلى سيوه ومنها إلى الجغبوب ثم إلى الجفرة. ومنها تفاهم الإنكليز والطليان مع ابن عمه ادريس وارتحل أحمد الشريف إلى تركيا ومنها إلى المدينة المنورة حيث توفي عليه رحمة الله عام 1933[2].

هذا ما حدث باختصار في الجهة الشرقية من القبلة أما في الجهة الغربية فقد وصل إلى تالوت محمد هاشم الزوي وسالم بن عبد النبي والشيخ محمد المهدي السني، وعينوا موظفين تابعين لهم في المنطقة باعتبار أن المنطقة أصبحت تابعة للسيد عابد السنوسي، وأخذوا الغنائم التي استولى عليها المجاهدون، وأرسلوها إلى عابد في واو، وسجنوا خليفة بن عسكر في الزنتان بعد أن طلبوا منه الكف عن محاربة الفرنسيين في تونس.

ولكن المواطنين في الجهات الغربية لا علاقة لهم بالسنوسيين ولا يعرفونهم، ولقد طردوا الطليان في معارك حاسمة لا علاقة للسنوسيين بها فحدث تململ في المنطقة يقوده الشيخ سوف المحمودي الذي أخرج محمد الهاشمي الزوي من الجوش، وسبقه على الرحيبات ليمنعه من الوصول إليها ولكنه وصل إلى الزنتان. وانقسم الزنتان إلى مؤيدين له، ومعارضين له ووقعت خصومات ومناوشات في ما بينهم، مات بسببها عدة أشخاص[3]. وكان في هذا الوقت قد تقدم عابد السنوسي من واو باتجاه الجبل ماراً (ببرقن) في طريقه إلى القريات. وهنا عقد زعماء الجبل الغربي والقبلي والجهات الغربية اجتماعاً (بأم الجرسان) بيفرن[4] قرروا فيه عدم اعترافهم بعابد السنوسي

(1) رواية محمد بن أمين الذي كان ضمن هؤلاء المجندين.

(2) جعفر العسكري ضابط عراقي في الجيش التركي جرم وقبض عليه الإنكليز ثم أطلق سراحه وعاد إلى العراق حيث تولى منصب وزير دفاع في أحد انقلابات العراق في ما بعد.

(3) انظر كتاب: أعلام من الصحراء للمؤلف.

(4) انظر كتاب: جهاد الأبطال للشيخ الزاوي.

ومصادمته إذا اقتضى الأمر ذلك.

سارع أولاد أبي سيف بقيادة الشيخ أبي بكر قرزة والشيخ أحمد بن بشير على رأس محلة قوامها 200 مسلح في الوصول إلى القريات لاعتراض طريق عابد الذي وصل إلى (بئر تاجحل).

أرسلت المجموعة شخصين لمخاطبة عابد، وهما أحمد بن بشير، وعبد السلام قرزة وطلبا من عابد الطلبات التالية باسمها:

1 - إجلاء السنوسيين عن القبلة والشاطىء وعودتهم إلى (واو).

2 - إعادة الأرزاق التي نهبها مراسلوه من الناس بما فيها إبل سعد جلغم وابنته التي تزوجها غصباً محمد الهاشمي الزوي.

3 - دعوة محمد هاشم الزوي ومن معه إلى العودة من نالوت.

وأمام صلابة محدثيه وجديتهم التقى عابد في اجتماع موسع زعماء المنطقة، وأرجع أرزاق الناس التي سلبت منهم. وأمر هاشم بالعودة إلى واو وارتحل هو الآخر بعد أن وجد في البئر التي يشرب منها (ميتة) وضعوها له للتهديد.

عاد عابد إلى واو بعد أن عين أحمد سيف النصر متصرفاً على فزان، ومحمد كاوصن قائمقاماً على الجفرة، وأحمد العياط قائمقاماً على براك، وابن سلمى في الوادي الشرقي والغول في الوادي الغربي والمنتصر في مرزق[1].

وقد جمع كاوصن مجموعة من المشاشية وأولاد بوسيف بحجة أنه يريد ضيافتهم ولكنه غدر بهم. ويقول الشيخ الباروني:

«كوش جاء من طرف العابد لتفليق فزان وتوجه من المشاشية ومن معه نحو 60 رجلاً إلى فزان كذلك وعمل كل ما أمكنه من النهب ثم طلب كوش الاجتماع بهم بالأمانة فأتوا فأكرمهم أولاً وحرضهم على الاتفاق ثم قال لهم إننا سننحر لكم ناقة ضيافة فاجتمعوا في محل منخفض بدون سلاح وبينما هم يأكلون أحاط بهم العسكر بالمدفع وأوثقوهم كتافاً بجلد الناقة المذبوحة وقطع أيدي بعضهم وأذن بعضهم قائلاً كانت هذه اللحمة مانعة لسماع أمري فيلزم قطعها ليصل الكلام إلى الأذن بسرعة وحبس الباقين حتى مات أكثرهم وهذا تعصب عرب الوديان لعدم قبول محمد عابد لما وصل القريات»[2].

ولم تكن منطقة فزان وحدها تشهد هذه الاضطرابات بعد خروج الطليان منها، بل

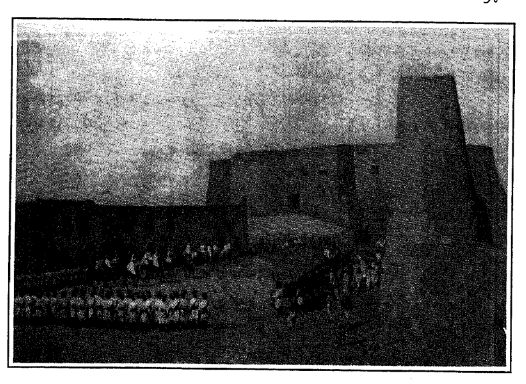
---

(1) أنظر: الباروني، صفحات خالدة، ص 106.

(2) الباروني، المصدر السابق، ص 108.

هناك خلافات أخرى شديدة بين السنوسيين والذين يمثلهم صفي الدين وبين رمضان السويحلي وعبد النبي بالخير من جهة أخرى، الأمر الذي تم بسببه إخراج صفي الدين من المنطقة، وإعدام أحمد التواتي الذي كان السبب في الحرب التي وقعت بين ترهونة ومصراتة في بداية 1916. ولم ينته الأمر عند خروج السنوسيين من ترهونة وبني وليد ومصراتة بل تشكلت محلة من ورفللة ومصراتة، ولاحقت السنوسيين في الجفرة وتمكنت من طرد محمد كاوصن منها. وتم تعيين الضابط التركي (ألبرتو توفيق) قائمقاماً على الجفرة.

غير أن السنوسيين وأتباعهم لم يستطيعوا بلع هذه الإهانة بل تحركت القبائل التابعة لهم بقيادة سيف النصر وهاجمت الجفرة، وتم القبض على (ألبرتو توفيق) وإعدامه. وعين السنوسيون قائمقاماً على الجفرة (غيث بوقنديل الزوي)[1] الذي بقي بها عدة أشهر.



• قلعة مدينة (مرزق) 1914 عند احتلال الإيطاليين لها، ويرى الجنود الإيطاليون في ردهة القلعة.

(من كتاب الصحراء الطرابلسية)

(1) غيث بوقنديل من قبيلة زويه، ساهم في الجهاد واستشهد في ما بعد في معركة (القفرة) 1931.



● محمد عابد السنوسي
كان دوره في الجنوب متذبذباً بين محاربة الإيطاليين ومهادنتهم وبين محاربة الفرنسيين ومهادنتهم حاول تسليم الكفرة، ولكن المجاهدين رفضوا اقتراحاته فارتحل إلى (بوركو) 1930 حيث توفي هناك عليه رحمة الله.



● المجاهد محمد المهدي السني
بطل معارك شمال تشاد. ضد فرنسا ورئيس المجاهدين في ثورة (فزان) ضد الإيطاليين. 1914ـ 1915.

(من كتاب الصحراء الطرابلسية)



● علي الأشهب
خال عابد السنوسي، وهو الرجل الذي تولى قيادة المعارك ضد الأتراك في فزان 1917 وقد تم القبض عليه وأعدم في سبها في 20 أغسطس 1917.



● المجاهد
أحمد سف النصر
قاد المعارك ضد الإيطاليين في الجنوب ثم هاجر إلى تشاد بعد معركة (واو)
وأثناء الحرب العالمية الثانية انضم بمجموعة من الليبيين إلى الفرنسيين وهاجم (فزان) حيث تم طرد الإيطاليين وعين والياً على فزان إلى أن توفي يوم 13ـ 6ـ 1954 عليه رحمة الله.

الفصل الخامس

مهاجمة الفرنسيين في الصحراء

(وحصار أقدز)

1916- 1920 ف

عاد الشيخ محمد عابد السنوسي إلى (واو) حيث استقر هناك هو وأتباعه، وبعد أن أصبحت الجفرة من أتباعه هو، وكذلك منطقة فزان إلى غات.

وكان يقيم معه في منطقة فزان السلطان أحمد آمود المسؤول عن قرية (جانت) وصاحب الأملاك فيها. وكان الفرنسيون طردوه منها سنة 1908 واحتلوها وضموها إلى إدارتهم في الجزائر. ومن المعلوم أن (جانت) تتبع أملاك غات على مدى التاريخ.

ولم يقتصر الأمر عند هذا بل جعلوا من الراهب (دي فوكو) مركزاً للتجسس لهم على التوارق، وداعية لهم لقطع التوارق عن أمتهم العربية بما يكتب وما يلقي من محاضرات على الناس في المنطقة.

تحرير جانت 1916 ف

جهز الشيخ محمد عابد حملة بقيادة عبد السلام الشرداخ الزوي يرافقه أحمد آمود في غات حيث أشرف على تشكيلها هو شخصياً، ومحمد كاوصن، واستطاعت في هجوم صاعق أن تستولي على القرية، وتأسر من الجيش الفرنسي (440) جندياً سنغالياً مع الفرنسيين وتقتل آمر الحامية، وتأسر أيضاً ضابطين فرنسيين وعريفاً فرنسياً نقلوا إلى واو، كما تمكنت الحملة من قتل الجاسوس الفرنسي (الراهب دي فوكو) الذي يعمل على نشر الثقافة الفرنسية في المنطقة ويسعى إلى تمزيق عروبة المنطقة بتحريض التوارق على ترك الدين الإسلامي، وهويتهم العربية وفصلهم عن أمتهم على أساس ـ على حد قوله ـ أنهم ليسوا من العرب.

وقد تم هذا الانتصار الساحق في 2 ديسمبر 1916 حيث بقي السلطان آمود في جانت. وعاد عبد السلام الشرداخ ليتولى قائمقامية غات من قبل عابد السنوسي[1].

(1) انظر: الصحراء الطرابلسية، انريكو باترانياني.

حصار أقدز

13 ديسمبر 1916 ـ 3 مارس 1917 ف

كلف عابد السنوسي المجاهد محمد كاوصن وهو تارقي من قبيلة ايكزكزن من والليمدن النيجر، الذي التحق بالمجاهدين الليبيين في تشاد وكلفوه بعدة مهام قتالية ناجحة، وهو محرر أوباري ومرزق.

كلفه عابد على رأس حملة من المجاهدين الليبيين والنيجريين والتشاديين والجزائريين وبعض التونسيين بالتوجه إلى مدينة (أقدز) شمال غرب النيجر لتحرير المنطقة من الفرنسيين.

انطلقت الحملة من (غات) في سرية تامة، وكانت انتفاضة سلطان والليمدن فهرون بن الأنصار التي تمت بإيعاز من الليبيين قد سحقت من قبل الفرنسيين. قتل واستشهد فهرون في معركة تعاون فيها الخونة مع الفرنسيين، وكان للمساعدة التي قام بها بادي ولد حمادي شيخ كنته للفرنسيين الأثر الكبير في هذه النتيجة كما كان للدعم الذي قدَّمته قبائل الهقار لصالح الفرنسيين الدور الحاسم في نتيجة المعركة إذ إن فهرون تمَّ قتله من قبل الهقاريين وكان هذا في عام 1916[1].

وقد مزق الفرنسيون سلطنة والليمدن إلى مشيخات صغيرة وعينوا عليها مشايخ تدين بأمرهم وتطيع سلطتهم.

في هذه الأثناء كانت الحملة الليبية تستعد لاجتياز صحراء الصحارى (تيزي) لتهاجم مدينة أقدز النيجرية وهي من أكبر المدن النيجرية في الصحراء الكبرى.

وكان الفرنسيون قد احتفظوا في هذه المدينة بحامية قوية نسبياً إذا قارناها بإمكانيات المواطنين الدفاعية وتسليحهم.

وكان سلطان (أقدز) عبد الرحمن تاقامة على اتصال بالليبيين وعلى تنسيق معهم. وكانت رسائل محمد كاوصن تصل إليه تباعاً وبانتظام وفي سرية تامة.

حتى إنَّ السلطان عبد الرحمن كلف المواطنين ببناء (قصر) ليستقر فيه محمد كاوصن. وفعلاً تم بناء القصر قبل قدوم كاوصن.

قسم كاوصن حملته إلى قسمين:

1 ـ القسم الأول ويرأسه أغالي يتقدم المجموعة ليصل إلى أقدز أولاً. وقد وصل أغالي إلى أقدز مساء يوم 13 ديسمبر 1916.

---

(1) انظر: جهاد الليبيين ضد فرنسا في الصحراء الكبرى للمؤلف.

2 ـ القسم الثاني تحت رئاسته شخصياً يسير وراء القسم الأول لحمايته، ووصل إلى المدينة بعد أغالي بأربعة أيام 17 ديسمبر 1916. وقد وجد أغالي يطوق المدينة، وقد قبض على عدة أسرى منهم مترجم الضابط الفرنسي، وتاجر تونسي يدعى (علان) أرسلته فرنسا من تونس في قافلة تجارية ليفتح طرق القوافل.

استولى المجاهدون على المدينة، وحوصرت القوات الفرنسية داخل الحصن الذي سقطت عليه يوم 18 ديسمبر أربعون قذيفة من مدافع كاوصن كما استولى المجاهدون على جميع الحيوانات التي تتبع الفرنسيين.

شدّد كاوصن الحصار على أقدز، وبدأ في إرسال الدوريات تجوب الصحراء المجاورة ولتقطع المساعدة والمعونة على المركز الفرنسي.

وفي يوم 26 ديسمبر اصطدمت قوة من المجاهدين بمجموعة فرنسية بقيادة الملازم (سودان) قادمة من (زندر) وتم إبادتها وقتل الملازم رئيس المجموعة.

معركة شين تبوراق
27 ديسمبر 1916 ف

انسحب كاوصن بمجموعة من المجاهدين عندما علم بقدوم قافلة الملح القادمة من (بلما) والتي تحميها قوة فرنسية.

ترك كاوصن أغالي محاصراً المدينة، ونصب كميناً للقوة القادمة وكانت أصوات الرصاص تسمع في أقدز عندما نشبت المعركة.

وقد تمكن المجاهدون من سحق القوة الفرنسية واستولوا على القافلة وكان حصاد المعركة ستين قتيلاً من رجال الهجانة وقتل الملازم (ديفو) والطبيب العسكري (راينود) والعريف (موريل) والعريف (قازلان). واستولى المجاهدون على ستة أسرى وستة من سكان المنطقة المجندين مع الفرنسيين تم إعدامهم.

ويقول اندري ساليفو:

«وفي 28 ديسمبر في أثناء الليل زمجرت الطبول المعلنة للاحتفالات في مدينة أقدز. وكان الوطنيون يحتفلون بانتصارهم الساحق ضد الرجال البيض الكفار»[1].

وفي الصباح بدأ الضرب يوجه نحو حصن أقدز حيث يتحصن الجنود الفرنسيون بأمتعتهم وأسلحتهم وتموينهم.

---

(1) ساليفو، المصدر السابق، ص 86.

وقد أرسل المجاهدون امرأة إلى الحصن لتخبر الفرنسيين نبأ الهزيمة التي لحقت بقواتهم في (شين تبوراق) كما أرسلوا أيضاً الرسائل التي وجدوها في حوزة الجنود الفرنسيين، ليبرهنوا للعدو صدق كلامهم، حاثين الفرنسيين على الاستسلام.

غير أنهم بهذا العمل ارتكبوا خطأ فادحاً، إذ إنهم زودوا الفرنسيين بمعلومات مفيدة كانوا ينتظرونها أوضحتها لهم الرسائل المرسلة مِما حدا بالفرنسيين إلى تشكيل قوة لفك الحصار عن (أقدز) بعد أن رفضوا الاستسلام واستمر القصف. واستولى المجاهدون على مجموعات من مخازن التموين بجانب القلعة وتم إحراق الدوائر الرسمية الفرنسية ومركز البوليس الفرنسي.

معركة آضربيست
21 فبراير 1917 ف

كانت رسائل كاوصن تصل إلى كل السلاطين في المنطقة تحرضهم على الجهاد ضد الكفار. وكانت دوريات المجاهدين تجوب الصحراء لتهاجم دوريات الفرنسيين وتفتك بها وتسحقها. والفرنسيون يستعدون للهجوم على أقدز من جميع الجهات، وبدأ أيضاً عرب المنطقة بالالتحاق بالمجاهدين وقد وصل سلطان والليمدن (الخورير) إلى حيث يتمركز كاوصن.

وتقدمت القوات الفرنسية من مالي، والنيجر، والجزائر وحتى من نيجيريا حيث قدم الإنكليز الدعم لهذه المهمة الصليبية العظمى.

وتقدمت القوات من (زندر) التي سجن فيها جميع التجار الطرابلسيين. وفي يوم 29 فبراير اصطدمت مقدمة القوات الفرنسية بمجموعة من المجاهدين الذين اندفعوا لمهاجمة الفرنسيين بضراوة وتمكنوا من سحق القوة التي تسير في المقدمة.

وقد اشتعلت الثورة في كل الصحراء، مجموعة من المجاهدين الليبيين تهاجم زوار في شمال تشاد، ومجموعة تهاجم جادو في شمال النيجر، ومجموعة من عرب مالي تهاجم تينبكتو. كما توجهت مجموعة منهم للمساهمة في حصار أقدز. أما في جنوب الجزائر فقد سيطر الليبيون على حصن جانت ومنه بدأت الإمدادات ترسل إلى كاوصن وبدأ الفرنسيون يخلون مواقعهم في شمال تشاد وشمال النيجر وفي جنوب الجزائر.

ويقول كلوظيل في تقرير عن حصار وإنقاذ أقدز وجهه إلى وزير المستعمرات الفرنسي في 17 مايو 1917:

«وفي الحقيقة أن المسألة أخذت بُعداً دولياً، لأن باريس عبّرت في 7 يناير عن

تخاوفها من وقوع الهجوم ضد (بوركو). وفي الوقت نفسه أعلن حاكم دائرة (ماداوا) في زندر أنَّ الإنكليز يبعثون وحدات من سكوتو إلى (ماداوا) فأعلن المندوب العام في كانو بإرسال 200 رجلٍ إلى كتشنا»[1].

ويقول أندري ساليفو معلقاً على هذا الخبر الذي كتبه عن الفرنسيين: «وكان الموقف الأوروبي هو الذي استهدفته مسألة (كاوصن) وهددته في إفريقيا الوسطى. ألم يكن لدى كاوصن مشروع التوغل في بلاد الهوسا؟ وحينئذ تضامن الإنكليز والفرنسيون الذين كانوا قبل سنوات يتنافسون على هذه الأراضي التي لا يفصل بينها إلا خط وهمي يمر من ساي ـ بارو ـ فحاولوا نسيان منازعاتهم القديمة لمواجهة عدوهم المشترك»[2].

وبدأت فرنسا تدعم تواجدها العسكري في المنطقة بإرسال الفرق إلى الموقع المحاصر. وقد استطاع سلطان الهقار موسى أق اماسطان الذي وصل إلى (كاوصن) ليستطلع الأمر أن يفر مع مجموعة من أتباعه ويقدم نفسه للفرنسيين كمعاون لهم على حرب كاوصن.

كلف الفرنسيون العقيد (موران) بقيادة القوات الفرنسية التي ستهاجم (أقدز). وانطلقت هذه القوات من طاوة في شمال النيجر، ومن منكا في مالي، ومن زندر، كما كلف قوات رابعة بتغطية شمال تشاد وشمال النيجر، خوفاً من قدوم الإمدادات والمساعدات من ليبيا.

وكما ذكرنا في 21 فبراير اصطدمت مقدمة القوات الفرنسية باستطلاع المجاهدين، ووقعت معركة ضارية سقط فيها العديد من الفرنسيين كما سحقت مقدمتهم. ويقول ساليفو:

«كانت الخسائر كبيرة في الجانب الفرنسي لأن المجاهدين قد استغلوا الليل فتفرقوا، ولم يبق شيء يمكن عمله وقد قتل الملازم (موران) وجُرح الملازم (جانوت)[3].

وفي يوم 3 مارس وصلت القوات الفرنسية إلى (أقدز) حيث أطبقت عليها من جميع الجهات وبدأت في استخدام أسلحتها المتطورة من مدفعية ورشاشات.

---

(1) ساليفو، المصدر السابق، ص 92.
(2) ساليفو، المصدر السابق، ص 92.
(3) ساليفو، المصدر السابق، ص 97 ـ 98 ـ 99.

رفع الحصار عن أقدز
3 مارس 1917 ف

استمرت المعركة طوال اليوم وأبدى فيها المجاهدون كل ضروب الشجاعة. وكثيراً ما كان الالتحام بالسلاح الأبيض مع الفرنسيين إلى أن جن الظلام فشق المجاهدون طريقهم عبر الطوق بقوة النيران والحراب. وانطلقوا بعد فكّ الحصار إلى خارج المدينة، يقودهم كاوصن، وأغالي، والسلطان عبد الرحمن تاقاما الذي خطب في المنسحبين قائلاً:

«لقد خسرنا هذه المعركة وسنذهب إلى الصحراء لنخوض معركة أخرى، ومن يُرِد التخلي عن القتال فلينفصل عنا»[1].

واندفع الفرنسيون إلى داخل أقدز بحقدهم الصليبي القاتل وبدأوا في قتل المواطنين وذبحهم دون تمييز. واقتحموا المسجد فوجدوا بداخله مجموعة من العلماء ذبحوهم عن آخرهم ويقول ساليفو في لقاءاته مع المواطنين: إنّ عدد القتلى كان ما بين 308ـ 360 شخصاً.

معركة أودراس
3 أبريل 1917 ف

بدأ الفرنسيون في تتبع مجموعات المجاهدين الذين انسحبوا شمالاً ليبدأوا حرب العصابات الصحراوية ضد الفرنسيين وضد أولئك المتعاونين مع الفرنسيين.

وفي يوم 3 أبريل 1917 اصطدم الفرنسيون بمؤخرة المجاهدين المنسحبين شمالاً. ونشبت معركة صغيرة استشهد فيها ثلاثة من المجاهدين أحدهم المواطن الطرابلسي محمد سلطان بن صلاح. ويقولون عنه إنه شاب طرابلسي غني جداً، وقد وجدوا في ملابسه قميص الملازم سودان ومداليته ورباط عنق الكوماندتور الخاصة بالسيد نيتشام افتقار، ووسام ضابط الأكاديمية الخاص بالتاجر التونسي بن علان.

ومن هذه الموجودات يتضح أن هذا الشاب كان له دور بارز في القتال لأن غنائم وأسلاب القتيل تكون من نصيب القاتل.

---

(1) انظر التفاصيل في كتاب: جهاد الليبيين ضد فرنسا في الصحراء الكبرى للمؤلف.

معركة توار
7 أبريل 1917 ف

هاجم المجاهدون ليلاً هذه القرية فأصابوا المترجم جيسلبريشت، وهو ملازم، بجرح وكسروا رجله. وغنم المجاهدون وانسحبوا ليلاً دون أن تتمكن القوات الفرنسية من مطاردتهم.

معركة بقزن
13 أبريل 1917 ف

جبل بقزن هو أحد الجبال الشاهقة، يقع في شمال النيجر. وتعيش في هذا الجبل خيول برية تسمى خيول (بقزن) حيث لجأ السلطان عبد الرحمن تاقامه إليه في طريقه إلى الشمال وقد اصطدمت به القوات الفرنسية المتتبعة آثاره. ووقعت معركة حامية سقط فيها من الفرنسيين حسب قولهم 7 قتلى و15 جريحاً.

وكان كاوصن قد قسم قواته إلى قسمين ذهب هو على رأس أحد القسمين إلى جبال آير، والسلطان عبد الرحمن إلى جبل بقزن.

وقد تتبع سلطان الهقار موسى أق اماسطان آثار كاوصن في بلاد الآير واصطدم معه. واستطاع كاوصن أن يسحق المجموعة الهقارية التي تتبعه وكان قوامها ثلاثين شخصاً.

معركة تاديرا
19 أبريل 1917 ف

في مضيق جبل تاديرا اصطدم الفرنسيون بمجموعة من المجاهدين محاولين سحقهم فيه. ولكن المجاهدين شقوا طريقهم تحت وابل من الرصاص، وتمكنوا من الخروج من المضيق بسلام.

معركة تفرجيت
ليلة 11 ـ 12 يونيو 1917 ف

في هذه الليلة هاجم المجاهدون قافلة فرنسية قادمة من طاوه وقتلوا منها عدة جنود ورئيس المجموعة الملازم (بورواد) واستولوا على القافلة.

وقد استطاع أيضاً في هذه الفترة السلطان أحمد أمود المتحرك من جانت أن يستولي

على قافلة فرنسية تحمل الذخيرة بين ورقلة وجانت وكان ذلك في شهر مايو.

معركة بئر ماسيت
13 يوليو 1917 ف

اشتبك المجاهدون مع الفرنسيين في معركة حول مياه بئر ماسين حيث حاول الفرنسيون منع المجاهدين من التزود بالمياه للشرب وقد استطاع المجاهدون ملء قربهم وسقي حيواناتهم واتجهوا شمالاً بعد معركة لم يخسروا فيها أحداً.

عملية (كولوسكي)
وعملية قرية (دوما ماري)
وعملية قرية (تقارت)
ليلة 28 ـ 29 أغسطس 1917 ف

قسم كاوصن مجموعاته، التي بدأ ينضب تموينها وذخائرها، إلى مجموعات صغيرة، متخذة من حرب العصابات طريقة مثلى لهجوماتها.

وفي ليلة 28 ـ 29 أغسطس هاجمت ثلاث مجموعات من مجموعاته ثلاثة مواقع فرنسية أنزلت فيها خسائر فادحة وانسحبت المجموعات دون أي خسائر غانمة كمية من التموين والذخائر.

وأثناء انسحاب المجموعة التي هاجمت (دوما ماري) اصطدمت ليلة 29 أغسطس مع قوة فرنسية تمكنت من تمزيقها وقتل قائدها الملازم (باللي) و (الأدجيدان ألبرت).

معركة يوم 13 ديسمبر 1917 ف

اصطدمت القوات الفرنسية التي توجهت شمالاً تبحث عن المجاهدين مجموعة يقودها السلطان (الخورير) سلطان والليمدن والغمارت أحد الأبطال الشجعان في حرب الصحراء الكبرى ضد الفرنسيين.. ونشبت معركة عنيفة استمرت طوال اليوم وتقول المصادر الفرنسية إن المجاهدين فقدوا فيها 22 شهيداً و14 بندقية و150 طلقة. ويقول الفرنسيون إنهم خسروا 3 قتلى وجُرِح اثنان، والرقم نأخذه بشيء من التحفظ.

معركة آبار آقابو
16 ديسمبر 1917 ف

اشتبك المجاهدون مع الفرنسيين في معركة حول آبار آقابو واستمروا في انسحابهم نحو جبال الآير والفرنسيون وأعوانهم يتابعونهم فاصطدموا في آبار أغزر في معركة

كبيرة سقط فيها عدة شهداء ومجموعة من القتلى للفرنسيين وكان ذلك يوم 24 ديسمبر. ونشبت معركة أخرى أيضاً في اليوم التالي 25 ديسمبر. وفي يوم 29 ديسمبر نشبت معركة حول آبار (آغاتا) استاق فيها الفرنسيون حيوانات مخيم للتوارق. كما وقع صدام يوم 30 ديسمبر بين المجاهدين والفرنسيين في جبال (اكلك).

معركة تمبرام

12 فبراير 1918 ف

بعد أن دخل المجاهدون جبال الآير الوعرة، واستردوا عافيتهم وعافية حيواناتهم قاموا بهجوم على معسكر للفرنسيين في (تمبرام) يوم 12 فبراير 1918، وأوقعوا بالعدو خسائر فادحة وانسحبوا دون خسائر مثقلين بالغنائم.

معركة امكوس

13 فبراير 1918 ف

انطلق الفرنسيون يتتبّعون المجاهدين الذين هاجموا الموقع الفرنسي في تمبرام في اليوم الثاني، واصطدموا وهم منسحبون ولكن المجاهدين استطاعوا صد الفرنسيين الذين لجأوا إلى مخيمات المواطنين يلهبونها بعد أن فشلوا في تتبع المجاهدين ويقتلون الأبرياء من الأطفال والنساء.

وكان في هذه الأثناء السلطان موسى سلطان الهقار يضع نفسه ويضع قبيلته في خدمة الفرنسيين ويقوم بمتابعة المجاهدين ومهاجمتهم كلما سنحت له الفرصة.

هجوم بلما

20 فبراير 1918 ف

استطاع المجاهدون أن يهاجموا قرية بلما بقيادة المجاهد (خمتي) وأن يردموا بئرها ويستولوا على قافلة لقبيلة (بربري) المتعاونة مع الفرنسيين.

معركة تيسكيدا

2 مارس 1918 ف

انساح الفرنسيون في الصحراء بقواتهم يبحثون عن المجاهدين الذين نقص تموينهم وندر، وكذلك ذخيرتهم وسلاحهم وتعبت حيواناتهم وخيولهم.

وفي يوم 2 مارس اشتبك الفرنسيون في معركة مع المجاهدين من قبيلة (كل

واديكي) واستمرت المعركة يومين كاملين سقط فيها عدد من الشهداء وعلى رأسهم (خمتي) زعيم قبيلة ايكزكزن ورفيق كاوصن وذلك في (اكرو) في المنطقة الرملية. كما سقط 15 شهيداً واستولى الفرنسيون على ثلاثين جملاً محملة بالتمر كان استولى عليها المجاهدون قبل أيام لتموينهم وتحول خمسة من الشعانبا من المجاهدين إلى القوات الفرنسية وأصبحوا ضمن قوات موسى أق اماسطان.

ولما عاد الفرنسيون من معركة (خمتي) ليتزودوا بالماء من آبار منطقة (تاغمرت ـ أفارا) اصطدموا بمجموعة من المجاهدين خسرتهم في عدد من القتلى.

وعاودت القوات الفرنسية المطاردة بقيادة الملازم (نيديليك) إلى (أقدز)، وتطوع لمطاردة المجاهدين سلطان الهقار موسى أق اماسطان متتبعاً آثارهم في المناطق التي يعرفها هو وأتباعه الوطنيون الذين لولاهم لما استطاع الفرنسيون الدخول في هذه الصحراء الشاسعة القاحلة القاتلة، ولما استطاعوا اكتشاف آبارها وطرقها.

اجتماع 25 مارس 1918 ف

اجتمع زعماء المجاهدين في صحراء (تيزي) في مكان يسمى (تڤارت) في واحة (فاشي) ودرسوا موضوع الثورة وقدراتهم التي نضبت والمطاردة الملحة من الفرنسيين بقواتهم المدججة بالسلاح وبمساعدة الخونة من دُعاة الوطنية. ولم يعرف كاوصن السبب في عدم رد عابد على مراسلاته، ولم يتلق دعماً طلبه منه باستثناء مجموعة من المجاهدين جاءت مدداً من السلطان أحمد آمود في جانت مع العلم أن كاوصن أرسل أغلب الغنائم لمحمد عابد في قوافل منتظمة. فلقد أورد ساليغو من خلال الوثائق الإحصائية التالية للغنائم التي أرسلها كاوصن لعابد.

1 ـ قافلة بقيادة اليكاي من غات (الغاتي) تتكون من 200 جمل و (900) دورو و (4500) فرنك و20 عبداً والإنكليزي الذي أسر في أقدز و4 أحمال من الجلود.

2 ـ أرسل مع أخموك بن جكري: 100 جملٍ و15 عبداً و4 أحمال من الجلود والأحذية والشريف علان الذي أسر في أقدز.

3 ـ أرسل أغالي صهره (كاوصن) ومعه (1000) جمل و300 عبد وثلاثة أحمال من الجلود و4 مسدسات و100 وحدة من الأحذية و300 سوط و1000 قربة ومعهم العريف أبو بكر والراوي نفسه.

كما أرسل سلطان أقدز من جانبه إلى فزان بواسطة مولاي أحمد بن التهامي المتليلي 100 جمل وكمية من الجلود ومبلغاً من الفلوس و4 عبيد فأرسل كاوصن بدوره معه (25) راحلة (تريك).

وقد وصلت هذه الأشياء كلها إلى السيد العابد باستثناء الأسيرين اللذين يحتجزهما البكاي الغاتي وأخوك. الإنكليزي والشريف علان فقد أخذهما الأتراك في مرزق كما أخذ الفرنسيون في تيبستي 100 جمل من قافلة أغالي.

كل هذه الأشياء لم يتلق كاوصن رداً عليها ولم يتلق دعماً من السيد عابد، ولهذا قرر الرجوع إلى واو ليستطلع الأمر. أما عبد الرحمن تاقامة فقرر الذهاب إلى تيبستي وقد رافقه كاوصن إليها حيث شنّا عدة غزوات منها على المواقع الفرنسية في جادو وكاوار. أما المختار كودوكو فقد توجه إلى سكيدين في شمال النيجر.

وقد انطلقت كل المجموعة باستثناء المختار إلى تيبستي ومنها سارت مجموعة من المجاهدين باتجاه ليبيا يتزعمها الخورير سلطان والليمدن. أما كاوصن فقد ركب جمله وسار في حراسة مجموعة من الجنود من تيبستي باتجاه (واو) حيث يقيم محمد العابد.

وقد أخبرني جماعة من التبو فقالوا إن سلطان التبو في تيبستي أرسل بريداً على جمل مهري إلى خليفة الزاوي في مرزق يخبره بتحرك المجموعة باتجاه فزان، فاعترضهم الزاوي في (تجرهي) جنوب مرزق، ونشبت بينهم معركة استمرت شهرين كاملين عادت على أثرها المجموعة إلى النيجر بعد أن قتل في هذه المعارك السلطان (الخورير) سلطان والليمدن[1]. أما كاوصن فلقد وصل إلى واو وجهزه السيد العابد بكمية من الأسلحة وسار باتجاه تجرهي ولكنه في واحة (أم العظام) هاجمه أحمد العياط البوسيفي بمجموعة من أولاد أبي سيف. والسبب أن كاوصن عندما كان قائمقاماً من قبل عابد على (الجفرة) قبض على مجموعة من أولاد أبي سيف والمشاشية وقطع آذانهم وقال لهم:

سأقطع هذه الآذان التي لا تسمع كلام السيد.

ولهذا وثأراً لهذا الموقف تم القبض على كاوصن من قبل أحمد العياط، وقتله يوم 5 يناير 1919 عليه رحمة الله. وقد بقيت مجموعته تجوب صحراء النيجر وتشاد وتناوش الفرنسيين إلى أن تم قتل مختار كودوكو بخيانة بعض دُعاة الوطنية.

أما السلطان عبد الرحمن تاقامة فقد هاجمته قوة فرنسية في جبال تيبستي مع عشرة رجال من رجاله وأبادوا كل المجاهدين، وتم القبض على السلطان عبد الرحمن تاقامة بعد أن نفذت ذخيرته واستيق أسيراً إلى أقدز حيث سجن هناك.

وفي ليلة 29 ـ 30 أبريل 1920 وجد السلطان عبد الرحمن قتيلاً في سجنه، وأشيع أنه انتحر. وبعد تحريات وتحقيقات اعترف النقيب الفرنسي (فيتتالي) بخنق السلطان في

(1) انظر كتاب: جهاد الليبيين ضد فرنسا في الصحراء الكبرى للمؤلف.

سجنه ودفن في سرية تامة عليه رحمة الله[1].

وهكذا توقفت الثورة التي أقلقت مضاجع الفرنسيين أربعة أعوام كاملة في الصحراء الكبرى، بالرغم من أن بعض زعاماتها ذابوا في المواطنين، ولجأوا إلى قمم الجبال وبطون الأودية، منتظرين عودة الدعم ليهبوا من جديد في وجه المستعمر الأوروبي البغيض[2].

ويقول أندري ساليفو عن عبد الرحمن تاقامة:

«. . . وتلك هي نهاية أحد أكبر السلاطين في النيجر سواء في العهد الاستعماري أو قبله. وكان رجلاً كريماً شجاعاً، كانت عنده عبادة الشرف عادة وعقيدة بنيت عن اقتناع منظم. فقد اضطر قاتله نفسه في مذكرة كتبها عنه إلى تقديمه بأنه: أحد رواد النازية الحقيقيين ثم انتهى إلى الثناء عليه في النص التالي:

«. . ومع ذلك ومهما كانت الآلام التي ارتكبها وسبب لها فإن تقامة قد ظل محبوباً لدى الشعب، فسخاؤه وموهبته القيادية، والصبغة الصوفية التي تمتاز بها توقعاته وحتى مساوئه والعناد الذي أبداه في رفض الاستسلام. كل ذلك قد ساهم في أن يجعل منه لدى الأوساط الطارقية شخصية أسطورية قبل عودته إلى آير، ثم جاء مقتله ليضعه في تلك المنزلة من جديد، ولو أنه سيكون بذلك أقل خطراً. . .»[3].

التهدئة

وتحت هذا الشعار تقدم الفرنسيون نحو الصحراء الكبرى يعيثون فيها الفساد والقتل والتشريد. مئات الأسر ذبحت بالفؤوس وقطعت رؤوسها، وكلما قبضت القوات الفرنسية على مجموعة من المواطنين كانت تهاجم خيامهم وتسوقهم معها كأسرى ثم تتخلص منهم بالقتل وتستمر في المطاردة والبحث عن الثوار.

أما في أقدز، فقد دخلها الفرنسيون واستمروا في قطع رؤوس المواطنين الذين استسلموا حتى بلغ عدد الذين قتلوا صبراً ما بين 308ـ 360 قتيلاً و52 جريحاً. كما

---

(1) انظر الملاحق: تقرير الطبيب الشرعي بخصوص وفاة عبد الرحمن تاقامة.

(2) انظر تفاصيل هذه الثورة في كتابيّ:
- جهاد الليبيين ضد فرنسا في الصحراء الكبرى للمؤلف.
- كاوصن أو الثورة السنوسية لأندري ساليفو.

(3) انظر: ساليفو، المصدر السابق، ص 173.
انظر: ڤيتالي، في مذكرة عن تقامة، الورقة رقم 9، الملف 11، ج 19ـ داكار.

هدم الفرنسيون بيوت تاقامة وكاوصن وقتلوا حوالى 120 شخصاً.

وأكبر مذبحة في أقدز تلك التي وقعت لفقهاء أقدز الذين تجمعوا داخل المسجد وأرسلوا رسالة إلى الضابط الفرنسي يعلنون استسلامهم. ولكن الشخص الذي أرسلوه أتلف بالرسالة وتقدم من الفرنسيين يعلن لهم أن الفقهاء يتآمرون عليهم في المسجد فطوقهم الجنود الفرنسيون، وقطعوا رؤوسهم بالفؤوس والسيوف[1].

وكما وقع في أقدز، وقعت في (أنقال) المذابح. ولنطلع على قصة الشاب «أكيلِّيك بن طابية» من قبيلة (إقمين) الذي كان شاهد عيان لمذابح (أنقال). يقول:

«كان عمري يتراوح بين 20 و21 سنة عند قيام ثورة كاوصن، وكانت بلاد آير كلها تقريباً قد ردت بالإيجاب على دعوة الزعيم المتمرد. ولكن كان جيش كاوصن قد أبيد بمجرد الهجوم المضاد الذي شنه عليه الفرنسيون. وقد فهم أهل آير أن الأوروبيين ما زالوا متفوقين. ولذلك قرروا الانحياز إليهم والوقوف إلى جانبهم، وكانت قبيلتي قد تشردت أثناء زحف الوحدات الفرنسية، فتاه أهلها في البلاد من شرقها إلى غربها مثل الحيوانات الشاردة. وقد ذهبت أمي (هومًا)، إلى جهة الغرب. وقد التقطتني قبيلة «أقميان» فاتهموني بالمشاركة في الثورة وحكم علينا أوروبي يدعى «بورجيس» بالإعدام في «أنقال». وجمعنا على مسافة عشرين قدماً من مكان المركز الإداري الحالي. فطلب أحد الطوارق «كل فَداي» يدعى «بشا» من «بورجيس» أن يعفو عن الشبان الصغار في مثل سني. ثم أعطى في حضوري الأمر لجنوده بالبدء في إعدام الناس بالحراب والفؤوس (كوب كوب) فسقط أخوالي وأعمامي أمام عيني بواسطة حرابٍ اخترقت أجسادهم وبقيت الرؤوس معلقة على الجثث بخيط رفيع من اللحم أو الجلد لأنه لم يتم قطعه. ولم تعد أمي من جهة الغرب إلا في عام 1919، فقد حصل لي معها المشهد نفسه الذي حصل مع أعمامي وأخوالي لأنها عندما رأتني أمامها أخذتها المفاجأة والدهشة فظلت تبكي وتنتحب حتى سقطت جثة هامدة..»[2].

إن هذه الصورة هي فقرة من مسلسل ارتكبه الفرنسيون في قمع ثورة كاوصن أوردناها ليطلع القارىء على مدنيّة باريس وحضارتها. والمعاناة التي قاساها شعبنا من التشرد والضياع، والمذابح على امتداد الصحراء الكبرى.

ويورد الشيخ سليمان الباروني في مذكراته إفادة المواطن التونسي أحمد بن عبد النبي الصابري الذي رافق حملة كاوصن على أقدز ـ إذ من المعلوم أن الحملة يتواجد فيها

(1) رواية الحاج قدور، ساليفو، ص 109.

(2) أندري ساليفو، المصدر السابق، ص 110 ـ 111.

من غير الليبيين 41 مجاهداً من الجزائر و17 مجاهداً من تونس ـ.

يقول الشيخ الباروني تحت عنوان (إفادة محاربات كوش وفرنسا) «. . أفاد أحمد بن عبد النبي الصابري من ناحية قبلّي تبع تونس أنه من مدة حرب ذهيبة[1] مع ابن عسكر هرب من المشيقيق[2] وكان مخازنيا هناك فأتى إلى لالوت لابن عسكر ثم توجه إلى فزان لما سمع بحرب السودان وكان معه 17 مهاجراً بعضهم هرب من المشيقيق معه وهم أربعة: بلقاسم بن عبد القادر ومحمد بن العربي وعبد الله بن عبد السلام ومنصور بن محمد. أما منصور فرجع إلى الصابرية لنقل عائلته فلحقه العدو واستشهد وأما عبد الله فاستشهد في السودان وأما المخبر أحمد فيقي فمع كوش وحضر معه محاربة (أقدز) قبل ستتين وطلبهم عبد الرحيم «التاقاما»[3] حاكمها فأتوه في 400 مقاتل فدخلوها وبقوا نحو 3 أشهر وقد انضم إليهم عبد الرحمن وقد غنموا من العدو 450 بندقية ثم أخرج لهم العدو من تينبكتو وغيره وزندر (1500) عسكري وخمسة مدافع فقابلهم نحو 60 مقاتلاً والباقون هربوا هم وكوش بمدفعه ومترليوزه وبعد نحو ست ساعات دخلوا البلاد. أما عبد الرحيم فهرب مع كوش بعد أن حضر المحاربة بنفسه وبقوا يدورون ويغيرون في صحراء (آير) حتى خرج إليهم موسى بن مستان كبير هكارة في قوة كبيرة من فرانسا فطردهم واسترد كافة الأهالي التي كانت التجأت والتحقت بهم وقد رجع كثيرون منهم فراراً بأنفسهم لما تسلط كوش ورجاله عليهم بالسلب والتعذيب والتجاوز على الأعراض كما فعل هاشم وغيره. .»[4].

لماذا فشلت حملة كاوصن؟

هذا السؤال يفرض نفسه علينا في نهاية الحديث عن حملة كاوصن وما آلت إليه في النهاية، ومقتل زعمائها الواحد تلو الآخر.

وعن الإجابة على هذا السؤال نورد النتائج التي وصل إليها أندري ساليفو في كتابه وقد حصرها في النقاط التالية:

1 ـ سوء تسيير جهاز الاستخبارات لدى الحملة.

فالفرنسيون يعانون من قلة المدافع في (أقدز) وليس لديهم إلا مدفع واحد ليس

(1) ذهيبة: قريبة على الحدود التونسية هاجمها ابن عسكر في عام 1915.
(2) المشيقيق: بئر تقع على الحدود الليبية ـ التونسية.
(3) الاسم هو عبد الرحمن التاقاما وليس عبد الرحيم.
(4) الباروني، المصدر السابق، ص 127.

عندهم من يستخدمه. وجماعة كاوصن لا يعرفون ذلك، إذ لو عرفوا لتقدموا لاحتلال الحصن.

2 ـ عدم معرفة رجال كاوصن باللغة الفرنسية الأمر الذي جعلهم يرسلون الرسائل التي ينتظرها المحاصرون في الحصن بعد معركة (شتين تبوراق) إذ في هذه الرسائل رسالة بالرموز تخبرهم عن تجهيز حملات لنجدتهم مما رفع معنوياتهم وجعلهم يصمدون في الدفاع.

3 ـ النهب والسلب اللذان ارتكبتاه حملة (كاوصن) دون أن يجعل من اقتحام الحصن هدفه الأول، الأمر الذي أكسبهم عداوة الأهالي «وعلى الأخص الذين كانوا يعتقدون فيه أكثر وينتظرون منه الخلاص من إرهاب الفرنسيين، مما خلق حوله فراغاً يزداد كلما مر الوقت».

4 ـ ويقول ساليفو «أهمها بدون شك هو البحث في عدم التوازن بين القوات الموجودة وفي استراتيجيتها وتنظيمها».

ويرى أن كاوصن حتى ولو استولى على أقدز فإنه لن يعمل الحساب للقوات الفرنسية في داكار، ومالي، وتشاد، والجزائر، والنيجر.

وينهي ساليفو قوله ملخصاً موضوع الأخطاء:

«إلا أنه وعلى الرغم من كون القضية قضية خاسرة، فإنه لا أحد يقدر على توجيه اللوم إلى كاوصن وتقامة ورجالهما في إرادتهم التحرر من السيطرة الأجنبية في بلادهم. ومن ناحية أخرى، ومهما كانت الأخطاء التي ارتكبوها فإن كاوصن يؤمن إيماناً عميقاً بشرعية مشروعه».

ويختم ساليفو حديثه بفقرة من كلام (ريو) عن كاوصن الذي قال:

«ويتمتع بكل تأكيد بشخصية عادية غير خارقة للعادة، فظل إلى النهاية عدونا اللدود. ولكن لا يمكن أن ننكر له مقدرته وصلابته وشجاعته وموهبته العسكرية» (ريو 1968 ف 118).

وقد لا يعلم ساليفو بأسباب أخرى كان لها أكبر الأثر في انكسار كاوصن. وتلك هي إلى جانب ما ذكره ساليفو:

1 ـ عودة الترك إلى ليبيا وسيطرتهم على فزان، الأمر الذي لم يمكن الليبيين من إرسال إمدادات ونجدات إلى كاوصن.

2 ـ استيلاء الفرنسيين على جانت وهي المركز الخلفي لإمداد حملة كاوصن.

3 ـ اعتبار كاوصن وجماعته فرعاً من مجموعات عابد السنوسي الذي حاربه الأتراك

في فزان وطردوه، الأمر الذي انعكس على كاوصن وجماعته عند عودتهم إلى فزان فاستقبلهم خليفة الزاوي في تجرهي ومنعهم من التقدم وحاربهم لمدة شهرين وهم في أشد حالات البؤس والفاقة واضطروا للرجوع إلى النيجر وتيبستي.

4 ـ تذبذب عابد السنوسي في مواقفه بين محارب للفرنسيين وبين مهادن لهم ومصادق. وهذا ما جعله لا يستجيب إلى نداءات كاوصن الملحة لإرسال المدد.

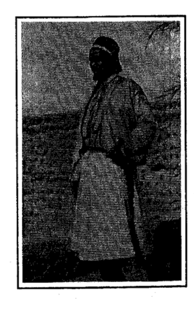
إلى جانب جشع عابد السنوسي الذي استقبل القوافل المرسلة من كاوصن والاحتفاظ بها ولم يجشم نفسه إرسال المدد إليه.

5 ـ انحياز موسى أق اماسطان سلطان الهقار إلى جانب الفرنسيين وقتاله معهم ضد كاوصن، وهو الذي يعرف الصحراء والجبال ورجاله من التوارق ويعتبرون أدلاء لهذه المهمات.

وقد استطاع الفرنسيون تحريك النعرات القديمة والحزازات بين القبائل، واستفادوا منها أيما استفادة.

كل هذه العوامل مجتمعة ساهمت في انكسار حملة كاوصن، وخنق الثورة في الصحراء الكبرى.

وبالرغم من أنها قدمت آلاف الضحايا الذين تم قتلهم من قبل الفرنسيين بعد سيطرتهم على المنطقة، فقد أشعلت جمار الثورة، وأججت الحس الوطني والديني في الصحراء ذلك الحس، وتلك الجمار خمدت إلى حين ولكنها لم تنطفىء وجعلت الأجيال يلتفتون إليها لأخذ قبس الحرية وإذكاء روح التضحية من جديد.



● المجاهد محمد كاوصن
رئيس المجاهدين في معركة أوباري ومرزق 1914
وقائد المجاهدين في حصار (أقدز) 1916 ـ 1917
وقائد ثورة الصحراء شمال النيجر 1916 ـ 1920
(عن كتاب الصحراء الطرابلسية)



● المجاهد محمد كـاوصـن بـين مجموعة المجاهدين الذين توجهوا إلى (أقدز)

(عن كتاب الصحراء الطرابلسية)





● المجاهد علي أغالي بين اثنين من التوارق وهو أحد قادة الحملة على أقدز 1916

(عن كتاب الصحراء الطرابلسية)

الفصل السادس

عودة الترك إلى ليبيا

وتأثير ذلك في القبلة

1916 -1918

ذكرت سابقاً أن الشيخ محمد العابد رجع مطروداً من القريات عندما منعه زعماء قبائل الجبل الغربي من التقدم نحو الجبل، وقد طلبوا منه سحب جماعته التي أرسلها إلى المنطقة المهدي السني، ومحمد هاشم وسالم بن عبد النبي، وقد سحبهم من المنطقة وعاد إلى فزان. في ذلك الوقت كان أخوه صفي الدين يطرد من مصراتة وبني وليد، ويتابعونه إلى الجفرة ليطردوا مندوب السنوسيين كاوصن قبل رحلته إلى النيجر.

ثم عاد السنوسيون إلى المنطقة (الجفرة) وعينوا غيث بوقنديل الزوي قائمقاماً عليها.

ولكن الأتراك عندما عادوا إلى تنشيط الجهاد في ليبيا والسيطرة على حركة الجهاد وتوجيهها لصالحهم رأوا أنه لا بد لإنجاح مهمتهم من السيطرة على فزان (القبلة).

أرسلوا لهذه المهمة ثلاثة ضباط أتراك هم: النقيب شكيب بك، والملازم السنوسي شوكت (وأصله من أجدابية)، ومحمد الأرناؤوطي (وأصله من ألبانيا). وكان مع هؤلاء الثلاثة ضابط الصف خليفة الدعيكي الزاوي وكلفوا بمهمة الاستيلاء على فزان وطرد عابد السنوسي منها والسيطرة عليها.

توجهت المجموعة إلى واو حيث يستقر عابد، وأوهموه بأنهم مرسلون من تركيا (الباب العالي) لمنحه الوسام المجيدي، وقرأوا على مسامعه فرمان سلطاني زوروه بهذا الشأن، فاطمأن العابد إليهم ووثق بهم. وكانوا في هذه الأثناء يقدرون قواته ويتفحصون معداته واستعداداته.

ثم انسلوا إلى مرزق حيث وصلوها، ورفعوا فوق ساريتها العلم العثماني، ووجهوا نداء إلى المواطنين بأن الدولة العثمانية قد عادت. ومن أراد أن يلتحق بالجندية تحت العلم التركي فإن الدولة ستتكفل له براتبه ومستلزماته.

وفي سرعة متناهية بدأ المواطنون يتقاطرون إلى القلعة للتجنيد، واستطاعوا أن

يجندوا (1500) جندي في فترة وجيزة، وعدوهم بالرواتب بعد تجميع الأعشار والضرائب من المواطنين.

سمع عابد بالموضوع واستشاط غيظاً وجهز حملة بقيادة خاله محمد بن علي الأشهب وتوجهت إلى مرزق. وكان الأتراك في ذلك الوقت قد استولوا على الجفرة بمساعدة عبد النبي بالخير، ورمضان السويحلي، وعينوا ألبرتو توفيق. وقام أولاد سيف النصر بالزحف على الجفرة لمساعدة السنوسيين واستولوا عليها وعينوا ـ كما ذكرنا ـ غيث بوقنديل الزوي، وجهزوا حملة واتجهوا صوب فزان لمحاربة الأتراك ومساعدة العابد للسيطرة عليها.

نشبت عدة معارك ضارية في فزان بين المجموعتين ولكن الشيخ أبا بكر قرزة تدخل في الموضوع وطلب من الجميع حقناً لدماء المسلمين العمل على الصلح والاستماع إلى صوت الضمير لأنَّ الوطن في حاجة إلى كل أبنائه.

اتفق الجميع على تقسيم فزان وإنهاء الحرب، فكانت الجفرة من نصيب عائلة سيف النصر والأتراك يديرون سبها، وأحمد العياط القائمقام من طرفهم على الشاطىء يستمر في إدارته، وعابد ومن معه يديرون مرزق.

رجع الجميع إلى مواقعهم، وأوقف القتال عدة أشهر، ولكن محمد الأشهب جهز حملة من مرزق وتوجه صوب سبها لإخراج الأتراك منها.

كان قائد الجيش التركي خليفة الزاوي يستعدّ لملاقاته في الوادي. ونشبت بين الطرفين معركة فاصلة يوم 20 أغسطس 1917، دارت الدائرة فيها على محمد الأشهب ومجموعته وتم تشتيتها، وهرب هو إلى (الأبيض) حيث التجأ إلى شيخ القرية الذي أبلغ عن وجوده فتم القبض عليه، وتمت محاكمته في سبها من قبل محكمة يرأسها أحد مشايخ أولاد حضيري، وتم إعدامه شنقاً يوم 28 أغسطس 1917.

وبذلك انتهت السيطرة السنوسية على فزان الغربي وزحف الأتراك على مرزق واتخذوها عاصمة للمتصرفية تتبعها كل من غات وبراك وسبها. أما الجهات الشرقية فقد بقيت تحت نظارة عابد (واو والقفرة). وكانت هذه التطورات من أسباب انقطاع المدد على حملة محمد كاوصن التي توغلت في صحراء النيجر، واستمرت تقاتل هناك في حرب عصابات مضنية.

وقد انتقل عابد السنوسي إلى (القفرة) ليبتعد قليلاً عن التماس مع الأتراك. ورأيناه ينتقل أيضاً في تصرفاته حيث كان يبعث برسائل إلى الحاكم الفرنسي في كوار يعلمه أنه من

دعاة السلام وأنه لا يوافق على الصدام مع الفرنسيين الذين يعتبرهم أصدقاء[1].

كما وجدنا أيضاً عابداً بعد هذه الأحداث قليل الفاعلية في المنطقة.

وقد عين الأتراك عدة موظفين في الدوائر التابعة لهم واستبدلوهم بأولئك الذين سبق تعيينهم من قبل عابد. وكان أحمد العياط البوسيفي من ضمن المعينين كقائمقام على الشاطىء من قبل الأتراك.

استمر هذا الوضع طيلة عامي 1917 ـ 1918 ولكن الحرب العالمية الأولى انتهت وخرجت تركيا من هذه الحرب في الجانب المهزوم، فكان عليها دعوة ضباطها من طرابلس الغرب ومن القبلة.

وهكذا عاد هؤلاء الضباط إلى تركيا، وبقي خليفة الدعيك أو كما سمي في ما بعد باسم خليفة الزاوي حاكماً لفزان.

خليفة الزاوي

هو خليفة الدعيك، من مدينة الزاوية الغربية، ذهب إلى تركيا ليدرس في كلية الضباط، ولما نشبت الحرب العالمية الأولى عاد إلى ليبيا مرسلاً إليها لتحريك الجهاد برتبة نائب ضابط. تسلل من مصر قادماً مع الشيخ سوف المحمودي، ووصل إلى صفي الدين السنوسي وهو يستعد لخوض معركة (القرضابية) الشهيرة فساهم خليفة في المعركة.

وعندما عاد أهالي ترهونة إلى بلادهم أمرهم صفي الدين بمصاحبة خليفة الزاوي حاملاً للراية، فساهم خليفة مع المبروك المنتصر في معركة الجراية الشهيرة التي أسر فيها المجاهدون عقيداً إيطالياً كتب كتاباً أسماه (مع البدو) وقال هذا الإيطالي في كتابه إنه شاهد الحروب وشاهد الدماء ولكنه لم يشاهد الدم يجري في الوادي إلا في هذه المعركة، ذلك الوادي الذي أسماه الضابط الإيطالي بؤرة الموت. وقال إنه خسر في هذه المعركة 2250 إيطاليا أبيض إلى جانب مجموعة كبيرة من الجنود الأرتريين، ويعتبرها من أكبر المعارك التي خاضها الطليان في ليبيا.

ساهم خليفة الزاوي في بقية المعارك التي خاضها المبروك المنتصر الترهوني على طول الساحل الليبي حتى رأس جدير. ولما أراد الأتراك العودة إلى ليبيا وشرعوا يرسلون ضباطهم وإمداداتهم وأسلحتهم وحتى دعمهم المادي كلفوا خليفة الزاوي بالذهاب مع شكيب بك لاحتلال مرزق باسم الأتراك، وقد تم ذلك بمنتهى الدقة والذكاء.

---

(1) انظر الملحق.

وقد استطاع خليفة أن يقود القوات المشكلة حديثاً للمتصرفية الجديدة ضد السنوسيين، وانتصر عليهم وأخرجهم من جميع غرب فزان.

وبقي حاكماً على فزان بعد ذهاب الأتراك يدير شؤونها ويجمع الضرائب والأعشار بواسطة مساعدين وموظفين من عرب المنطقة وسيلعب هذا الرجل دوراً بارزاً في أحداث القبلة في ما بعد.

الجمهورية الطرابلسية

قرر الأتراك الانسحاب من ليبيا، بعد الحرب الأولى، واجتمع رؤساء المجاهدين وقرروا الإعلان عن الجمهورية الطرابلسية وشكلوا لها مجلساً للرئاسة من أربعة أعضاء هم:

الشيخ سليمان باشا الباروني

رمضان السويحلي

عبد النبي بالخير

أحمد المريض

وشكلوا لها مجلساً من الأعيان برئاسة الشيخ المجاهد محمد سوف المحمودي، وعينوا الموظفين والقائمقامين في المناطق.

وقد أقرت الجمهورية خليفة الزاوي متصرفاً على مرزق، وربطته بمنطقة مصراتة.

أما منطقة (برقة) فلقد وقع ادريس السنوسي معاهدة مع الطليان يعترفون له فيها بالسيادة على الزوايا السنوسية، ويدفعون له راتباً ولمشايخ الزوايا شريطة أن يلقي السلاح ويهادن الطليان. وقد تم ذلك في (الزويتينة) حيث عرفت باتفاقية الزويتينة ثم جددت ووثقت عراها في اتفاقية (عكرمة) 1917، حيث تشكلت على هذا الأساس حكومة (أجدابية) التي يرأسها ادريس، وتكون أيضاً مجلس أعيان (برلمان) برقاوي تحت رعاية الوالي الإيطالي.

أما منطقة القبلة فإنها لم تخضع لهذا الأمر ولم يخضع رؤساء قبائل القبلة لتوجهات ادريس السنوسي، ولو أنهم يتبعون الجمهورية الطرابلسية إلا أن هذه التبعية اسمية لأن هذه الجمهورية لا تملك الوسائل والمادة التي تمكنها من السيطرة على هذه الصحراء

---

(1) أخبرني المهدي علوه الذي كان باش شاويش مع خليفة الزاوي في مرزق وحضر معه كل معاركه.

الكبيرة المترامية الأطراف، وإنما كان شغلها الشاغل هو محاربة الطليان في الساحل حيث خاض جنودها معارك شهيرة ضد العدو على امتداد الساحل الليبي من رأس اجدير إلى سرت.

إنَّ العدو استمر متقوقعاً داخل المدن الساحلية زوارة، طرابلس، الخمس، ولكنه كان يقوم بطلعات لعجم عود المجاهدين وسبر أغوارهم واختبار قوتهم بين الفينة والأخرى. وكان سكان القبلة يساهمون في هذه الحرب بمجموعات من المجاهدين يرابطون في الساحل ويقاتلون مع إخوانهم سكان السواحل كلما حاول العدو الزحف خارج أسوار المدن.

صلح سواني بن يادم 1919 ف

بضغوط من دعاة الاستسلام والمهادنة، وحصيلة المشاكل التي وقعت في المنطقة بتغذية من الاستعمار الإيطالي، اجتمع المجاهدون بل قادتهم مع المسؤولين الإيطاليين الذين أنهكتهم الحرب العالمية طلباً للراحة.

اجتمع الفريقان وتوصلا إلى اتفاقية أشبه باتفاقية عكرمة في (برقة) اعترف بموجبها المجاهدون بالسيادة الإيطالية على أن تترك للمواطنين أشبه بالاستقلال الداخلي، وأن يتقاضى موظفو هذه الدولة من الليبيين والزعماء رواتب من الإدارة الإيطالية ـ تعتبر كسلفة على الحكومة الجديدة ـ وأن يقيم داخل مدينة طرابلس مجلساً يتكون من عشرة أعضاء يديرون شؤون البلاد بالتنسيق مع الوالي الإيطالي.

ولكن بعض الزعماء رفضوا التوقيع على هذه الاتفاقية ومن هؤلاء مجموعة من قيادات القبلة. وقد أبلغ خليفة الزاوي بهذا الاتفاق. ويقول بيلاردنييلي إن خليفة الزاوي أرسل رسالة مع أحمد العياط إلى الوالي الإيطالي وكذلك إلى رمضان الشتيوي، ولكن العياط أخفى رسالة خليفة للوالي ولم يسلم رسالته إلى رمضان الشتيوي بل قابل الوالي على اعتبار أنه ممثل القبلة وحاكمها. وقام هذا الأخير بتعيين أحمد العياط متصرفاً على فزان وسلمه مجموعة من الأسلحة والذخائر والنقود.

وما إن سمع زعماء أولاد أبي سيف بهذا الحادث حتى تعرضوا لأحمد العياط في محاولة لمنعه من الارتباط بالطليان. وفي (بئر تاجمل) استعدوا لملاقاته، واجتمعوا به وهددوه فأذعن لهم، ولكنه في الليل تسلل مع مجموعته وتوجه إلى الشاطىء حيث سمع خليفة الزاوي بمقدمه كمتصرف على فزان من قبل الطليان، فجهز حملة بقيادة امحمد الغرياني لتهاجم العياط. وفعلاً وقع الصدام بينهما عندما كان العياط منهمكاً في جمع الأعشار من المواطنين. وانهزم العياط فكلف خليفة الزاوي علي السعداوي

بمطاردته، ولاحقه إلى (ثمد الزقزة) حيث اصطدم به وألحق به خسائر فادحة، فانسحب العياط نحو زمزم على رأس تلة صغيرة من أتباعه إلى وادي زمزم حيث جمع مجموعة أخرى وجندها وعاد إلى الشاطىء، فزحف عليه خليفة الزاوي من مرزق وشتت مجموعاته بعد معركة (الغريفة)، وانقلب بعدها الصراع إلى حرب عصابات، كل مجموعة تهاجم الأخرى وتستاق حيواناتها، وهي حرب أدت إلى انشغال الزاوي في منطقة الشاطىء وقد تفشى مرض (الملاريا) بين المتحاربين (الصمهود). وأمام ضغط سيف النصر الذي يطمح بحكم فزان دون منازع، والذي يدين بالولاء للسنوسية حيث إن ابنه أحمد ممثّل له في حكومة أجدابية، والعداء المستحكم بين السنوسيين ورمضان السويحلي الذي يعتبر خليفة الزاوي ممثلاً له في (فزان). لهذه الاعتبارات رجع خليفة إلى مرزق متنبهاً إلى الخطر الذي يلاحظه من الجفرة حيث تستقر أسرة سيف النصر.

وقد حاولت إيطاليا التدخل وصبَّت الزيت على النار فأرسلت الضابط السابق الذي استولى على مرزق باسم الأتراك السنوسي شوكت والذي استسلم لها بعد خروج الأتراك من ليبيا، وكانت أرسلته مع كمية من الأسلحة والذخائر إلى خليفة الزاوي، ربما وعدها السنوسي بأن يكسب الزاوي إلى جانبها. ولكن المجاهدين من قبيلة أولاد أبي سيف وعلى رأسهم أمحمد الأسود من لحمة (بو النيران) اعترض هذه القافلة عند تلاقي وادي (التفالغو) بوادي (سوف الجين) قرب (رويس الطبل) واستولى على القافلة وتم قتل الضابط التركي السنوسي شوكت أو كما يسميه الوطنيون (السنوسي سوفو).

واستطاع خليفة الزاوي أن يسيطر على الموقف وأن يطرد أحمد العياط من الشاطىء، وأن يبقى متصرفاً على فزان يدير شؤونها ويجمع الأعشار ويدفع رواتب الموظفين والجند معتمداً على مصادره الذاتية.

كما استطاع أن يرد غزوات قام بها عرب التبو من جبال تيبستي على المنطقة، وأن يتصدى لأنصار السنوسيين القادمين من مناطق النيجر وأن يدفع بهم إلى ماوراء الحدود التي يسيطر عليها الفرنسيون بالرغم من أنه لم نعثر على مكاتبات بينه وبين الفرنسيين كالتي وجدناها لعابد السنوسي يطلب فيها السلام وحسن الجوار مع الفرنسيين، ومساعدتهم على استتباب الأمن في المنطقة. وقد وقعت مشاكل وحروب أهلية في الشمال في الجبل الغربي وفي مصراتة وورفللة وكانت بدسائس الإيطاليين وصنع جواسيسهم لم تتأثر القبلة بهذه التيارات، ولو أن قبائل أولاد أبي سيف والمشاشية لم تكن بعيدة كل البعد عن هذه الحرائق.

مؤتمر غريان 1920 ف

اجتمع زعماء المناطق الغربية لتوحيد الصف في غريان وفي محاولة منهم لرأب الصدع الذي شرخته الفتن التي اندلعت في أغلب المناطق. وحاول المجتمعون توحيد الكلمة واختيار رئيس واحد للمجموعة، وبعد لأي وأخذ ورد وقع الاختيار على الشيخ أحمد المريض ليكون رئيس هذه الهيئة التي أسموها (هيئة الإصلاح المركزية) إذ إن أغلب الزعامات الفعالة قد غابت عن الساحة إما بالموت كرمضان السويحلي أو بالسفر كسليمان الباروني، الذي عاد بعد المؤتمر ولكنه كان على خصام مع المجموعة فنشبت فتنة أخرى ذهب ضحيتها خليفة بن عسكر باستسلامه للطليان حيث شنق فيما بعد رحمه الله. وبسفر سليمان الباروني إلى عمان والعراق وبقي هناك إلى أن توفي عليه رحمة الله.

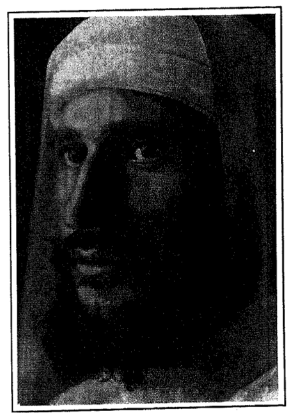
وكانت القبلة في كل هذه الظروف والزعازع في هدوء كالذي يسبق العاصفة.

ووصل الحزب الفاشستي إلى الحكم في إيطاليا، وقرر أن يصفي المسألة الليبية بالسلاح، وامتشق جنوده السلاح وبدأوا باحتلال الوطن في معارك ضارية بدءًا باحتلال قصر أحمد في مصراتة، ثم معارك (الوخيم) والجوش يونيه 1922 ثم معارك الجبل ويفرت وغريان في أواخر عام 1922.

واندفعت القوات الإيطالية تكتسح قوات المجاهدين التي أنهكها التعب والعري والجوع وقلة المواد وقلة السلاح والذخيرة وتشتتها الحروب الأهلية فتم احتلال الجبل الغربي وترهونة ومصراتة وبني وليد في 1923. وتراجع المجاهدون الصادقون إلى القبلة لينظموا صفوفهم، فما إن جاءت سنة 1924 حتى كان خط عرض 29° هو الخط شبه الفاصل بين الإيطاليين والأراضي المحررة في القبلة والتي يقطنها آلاف المجاهدين مع أسرهم وحيواناتهم الذين نزحوا من الساحل والجبل ومن مناطق ترهونة وبني وليد ومصراتة.

وقد تم احتلال غدامس سنة 1924 من قبل الطليان وبذلك قطعوا طريق التموين القادم من تونس، كما توصلوا إلى طريق الاتصال مع سلطان أزقر أبي بكر لقوي المقيم في غات فراسلوه وثبتوه في وظيفته وأمدوه بالسلاح ليقطع على المجاهدين طريق التقدم نحو الصحراء الكبرى، خاصة وأن الفرنسيين أعادوا الكرة واستولوا على جانت وطردوا منها السلطان أحمد آمود ومن معه من المجاهدين.

وقد حاول هذا الرجل أن يكوّن محلة من المجاهدين لمقاتلة الطليان، واشتركت في عدة معارك عام 1923 في سيناون ووادي الثلث وأولاد محمود.



• الضابط محمد الأرناؤوطي الذي تمكن مع ثلاثة ضباط أتراك من الاستيلاء على (مرزق) وطرد السنوسيين منها 1917
(عن كتاب الصحراء الطرابلسية)



• خليفة الزاوي في الوسط، وإلى يمينه يوسف خربيشة، وإلى يساره سليمان القره مانلي في حفلة تقديم السيف لموسوليني عند زيارته لطرابلس 1937

الفصل السابع

الاحتلال الإيطالي للقبلة

في المرة الثانية

استمرار المعارك

1931-1924

استغلت إيطاليا الهدوء النسبي الذي تجلّى في إيقاف المعارك بينها وبين الوطنيين بعد صلح سواني بن يادم، فقامت بالاتصالات بزعماء القبلة برسائل ووعود مستغلة العداوات القديمة بين القبائل. يقول بيلاردنييللي:

«قبل أن يصعد (قراتسياني) إلى الجبل بعث برسائل إلى زعماء المشاشي وأولاد بوسيف والقبلة المعروفين بعدائهم للزنتان في محاولة لجلبهم إلى جانبنا أو لحملهم على التزام الحياد، على الأقل بالنسبة للمرحلة الأولى من استرداد سيطرتنا على تلك البقاع.

فأتت هذه الرسائل بثمارها حيث وصلت ردود عديدة من الجوش من زعماء العشائر والزعماء يؤكدون فيها على ولائهم إلى أقصى حد.

وقد أفادنا في هذا التقرب منهم ما قدمه لنا أحمد العياط الذي استطاع أن يكسب إلى جانبنا جماعات من أولاد بوسيف فضلاً عن المشاشي ومنهم: أولاد سيدي أحمد الذين ينتمون إلى جماعات أبي بكر قرزة وأولاد سيدي عبد النبي (المنتمين إلى جماعة عبد الحفيظ النفار) وأولاد بو النيران (المنتمين لجماعة أحمد بن حسين بن علي) ونفر من أولاد سيدي بالقاسم (بزعامة محمد الشرع) وأولاد سيدي عبد الحفيظ (بزعامة محمد الربيب) والتيبور (بزعامة عبد السلام العريش).

وفي الوقت ذاته اتخذت موقفاً معادياً منا قبيلتا أولاد سيدي محمد الكبير وأولاد سيدي عبد القادر، وهُما بزعامة محمد بن بشير العدو الشخصي لأحمد العياط»[1].

ما إن وصل الإيطاليون إلى الجبل الغربي حتى ظهر على المسرح أحمد العياط كقائد باندة لصالح الطليان وقد استطاع تنظيم المجموعات المعادية للزنتان في محلات تشتغل لصالح الطليان مثل محمد جلبان الرياني، ومحمد بن حسن المشاي وغيرهما. أما يوسف خربيشة فانحاز إلى الإيطاليين منذ عام 1913. وقد حملت هذه المجموعات السلاح في

(1) انظر: القبلة لبيلاردنييللي، ص 172.

وجه المواطنين دفاعاً عن الاستعمار ومساعدة له لاحتلال وطنهم. وقد عين الطليان أحمد العياط متصرفاً على القبلة، ومحمد بن حسن المشاي مديراً على المشاشية الموالين للطليان.

غير أن أحمد العياط لم يدم به الحال إذ قتل يوم 9 مارس 1924 عندما بدأت القوات الإيطالية بالتوغل في القبلة. فقد تم قتله من قبل جماعة من الزوائد، التقت بهم الباندة في الحمادة الحمراء وحاول أحمد العياط (نصف البوتسعين) اقتحامهم على جواده فقتلوه. وبذلك أُزيح من الطريق أحد أخلص المخلصين لحكومة ايطاليا في القبلة. ويقول قراتسياني مؤبناً له في كتابه «إعادة احتلال فزان»:

«لو أنه بقي على قيد الحياة لأفادنا كثيراً في حل الوضع المتعب في القبلة وقد منح الوسام الفضي»[1].

ولم تنته سنة 1924 إلا وكان الإيطاليون على أبواب القبلة إذ احتلوا الشريط المار بين غدامس إلى بني وليد وانتقل المجاهدون إلى القبلة حيث اجتمعوا في فزان عند خليفة الزاوي، باستثناء مجاهدي ورفللة وأولاد سليمان ومن معهم حيث جعلوا من الجفرة مستقراً لهم ولعائلاتهم، وتمركزت قواتهم بين الشويرف وبئر الفطيمية.

هذا هو الوضع في عام 1924، ولو أن قراسياني يقول في كتابه «إعادة احتلال فزان» إنه راسل خليفة الزاوي في هذه السنة متخذاً من (النقيب خليفة خالد)[2] زميل خليفة الزاوي في الكلية العسكرية وسيطاً، غير أن هذه الوساطة لم تأت بنتائج ظاهرة لتقرب بين خليفة الزاوي والإيطاليين.

وقد بدأ الإيطاليون بعد عام 24 بالاستعداد لاقتحام القبلة، وزادوا من دعمهم لأبي بكر لقوي سلطان توارق أزقر في غات عن طريق غدامس. وبدأوا يدفعون بالزعماء الموالين لهم وقبائلهم المسلحة لفتح طريق القبلة لهم وضرب الليبيين بعضهم ببعض ليجني الإيطاليون ثمار هذه السياسة. وتمجيداً لأبي بكر لقوي يقول قراسياني في كتابه «إعادة احتلال فزان»:

«ولكن كانت هناك شعلة وحيدة من الإخلاص لإيطاليا تتألق في غات يجسدها أبو بكر لقوي من التوارق وهو الذي اجتذب إلى فلكنا منذ احتلال غدامس وقد عين

---

(1) إعادة احتلال فزان، قراتسياني، ص 70، منشورات مركز جهاد الليبيين.

(2) خليفة خالد: من منطقة كلكة قرية الجحيش. درس في الكلية العسكرية التركية وتخرج برتبة ضابط وساهم في المعارك الأولى 1911ـ 1912 ثم اشتغل مع الطليان ورقي إلى رتبة نقيب، وشارك في حربهم ضد مواطنيه ثم في حربهم ضد الحبشة.

قائمقاماً ومعه (50) بندقية بعثنا بها إليه، فرفع علمنا على القلعة القديمة وأبقاه مرفوعاً إلى حين وصولنا كما سنرى. . .»[1].

ويقول الخير تخمت دوه، من توارق غات وكان مع أبي بكر لقوي «بعث لهم أق لقوي إن الطريق مفتوح على إيطاليا بدون حرب وطلبت منه إيطاليا الجيش من الطوارق، كتب لهم (120) عسكرياً وسلم أسماءهم ذهبنا من ضمنهم إلى غدامس، المرحوم محمد بكده الحاج بوصلاح العربي، خمدن تاي، الخير اتخمت، دخان علي، مصطفى أخمدن، محمد كاتي، مع الحاج الحسيني أق لقوي وصلنا الماجوري وعطانا مساكن ـ ومع الزاد اللازم يومان أو ثلاثة ـ الماجور قال للحسيني لقوي كيف على المجموعة؟ بعث الحاكم إلى طرابلس. رجع الحاكم الإيطالي بطرابلس أنه عليك ببعض المجموعة منهم في حدود (12) أو (15) رجلاً منهم والباقي يرجعونْ حراسات عند الحسيني أق لقوي في غات.

وصرف الحاكم الإيطالي (الماجور) للحسيني أق لقوي (500) جمل معبأة منها ـ (250) جملاً عتاد وبنادق، و (200) جمل كتان وسكر معاش أق لقوي ـ (50) جمل بالرواحل معهم عتاد وبنادق»[2].

وهكذا يتضح دور أبي بكر القوي في منطقة غات المؤيد للإيطاليين.

وقد استطاع الإيطاليون بعد احتلال غدامس 1924 أن يدعموا لقوي عن طريق الرملة، وكان الخير تخمت خبير المجموعة التي وصلت بالدعم إلى غات.

وقد بدأ الإيطاليون بتحريك قواتهم باتجاه الحمادة الحمراء في محاولة لدفع المجاهدين إلى الخلف، ليتمكنوا من التقدم نحو القبلة. وقد أرسل أبو بكر لقوي ابنه (أخلاس) مع اثنين من أتباعه ليتصل بالإيطاليين في غدامس. ولكن (بانده) من الطليان شاهدته على البعد عند طرف الحمادة الجنوبي فأطلقت عليه النار وقتلته عن طريق الخطأ ظناً منها بأن المجموعة من المجاهدين. وقد أهدى أبو بكر لقوي ناقة ابنه المقتول فيما بعد إلى قراتسياني وكانت من نوع المهاري الجيد إذ وصلت من الحمادة إلى غات في مساء اليوم الثاني بدون راكب[3].

وقد وقعت عدة معارك مهمة سنة 1924 في المنطقة القريبة من مزدة، إذ تحركت القوات من جادو باتجاه بئر المرحان واصطدمت المجاهدين في يوم 9 مارس 1924 في

---

(1) قراتسياني: إعادة احتلال فزان، المصدر السابق، ص 128.

(2) مقابلة الخير تخمت دوه، مركز جهاد الليبيين، أجرى اللقاء أبو صلاح الحبيب.

(3) انظر: رواية الخير تخمت، المصدر السابق.

بئر الناصرة والطابونية ثم تحولت هذه القوات إلى (ودي الخيل) حيث نزلت للراحة. واستطاع المجاهدون أن يجمعوا محلة ويتبعوا الإيطاليين. وفي (ودي الخيل) كشفت استطلاعاتهم تواجد محلة الإيطاليين التي خيمت في الموقع وقد هبّت عاصفة شديدة حجبت الرؤية فهاجموها ليلاً في (ودي الخيل) واستطاعوا أن يسيطروا على ساحة المعركة طوال ضحى اليوم التالي. ولكن الإيطاليين استردوا المبادرة واستطاعوا إجبار المجاهدين على التقهقر وكان محمد جلبان، ومحمد بن حسن المشاي مع القوات الإيطالية برجالهم. ولما سألت بعض شيوخ المشاشية عن هذه المعركة أجابوا: إنّهم انضموا إلى العدو ليستردوا ثأر معركة (أم العجرم)!

وقد كانت هذه المعركة يوم 16 مارس، وعناصر المجاهدين الذين هاجموا القوات الإيطالية من مختلف القبائل التي نزحت إلى القبلة[1].

واستطاع الإيطاليون احتلال مزدة يوم 15 يونيو 1924 ونزحت مجموعات من الأسر إلى القبلة مقتفية آثار المجاهدين الذين سبقوهم إلى هناك، واستخدم الإيطاليون الطيران بكثافة.

وبعد سقوط (حكومة نفد)[2] نزح فريق من المجاهدين إلى سرت وذلك بقيادة الشاب الجريء ابراهيم رمضان السويحلي، كما كانت قوات المجاهدين بقيادة أحمد سيف النصر تجوب المنطقة من جدابية إلى سرت. وهنا قرر الإيطاليون مهاجمة تجمع المجاهدين وقد تم لهم ذلك يوم 23 نوفمبر 1924 حيث هاجموا ابراهيم السويحلي في قصر بوهادي، وهللوا للنصر لأن هذه المنطقة تمثل لهم كابوساً تاريخياً إذ فيها تحطمت غطرسة الإيطاليين وقواتهم في معركة القرضابية الشهيرة (قصر بوهادي) سنة 1915. وكان رمضان السويحلي أحد المتسببين لإيطاليا في هذه الهزيمة، وقد نزح أحمد سيف النصر إلى الجفرة قبل الهجوم بقليل.

وقد استمر ابراهيم السويحلي بمن معه من بقايا المجاهدين الذين بقوا معه في الانسحاب متوجهاً إلى (مرزق) حيث يستقر خليفة الزاوي، ذلك الرجل الذي كان يتبع رمضان السويحلي في متصرفيته بفزان أيام الجمهورية الطرابلسية.

غير أن عبد الجليل سيف النصر منع ابراهيم من التقدم بل وأرسل إليه مجموعة من محاربيه ونصبوا له كميناً في جبل (الرواغة) بالقرب من ودان، وقتلوه عليه رحمة الله. والتحقت مجموعته بالجبل الأخضر حيث بدأ الشيخ عمر المختار يعد العدة لمقاتلة

---

(1) انظر كتاب: الشيخ علي كله للمؤلف.

(2) المصدر السابق.

الطليان فانضموا إليه[1].

واستمر الإيطاليون يدفعون بقواتهم في اتجاه القبلة بعمليات صغيرة وقريبة من مواقع تجمعهم في القريات، وطبقة، وبئر المرة، وبئر تاترت، طوال عام 1925. وقد هاجم المجاهدون معسكر الإيطاليين في بئر تارسين يوم 26 مايو 1925 وكان ذلك بقيادة المجاهد امحمد بن بشير البوسيفي. واستمرت المعركة ثلاث عشرة ساعة تمكن فيها المجاهدون من سحق الموقع وغنيمة ما فيه من أسلحة وعتاد وحيوانات وقد وصل الناجون من الإيطاليين في اليوم الثاني فراراً إلى بني وليد[2].

وقد اشتعل الجبل الغربي بالجهاد ضد الإيطاليين ووقعت معارك شهيرة حيث تقدمت القوات الإيطالية واحتلت الجغبوب في 7 فبراير 1926 وذلك لتطويق الحدود ومنع الإمدادات عن المجاهدين كما فعلت مع الحدود الغربية.

ولقد وقعت في هذه الأثناء أحداث بعضها إيجابيّ وبعضها سلبيّ في حركة الجهاد في منطقة القبلة.

لقد وقع خلاف بين قراتسياني الضابط الإيطالي المكلف بالزحف على القبلة، وبين شخصية من أهم مساعديه من الوطنيين، تلك هي الشيخ محمد بن حسن المشايي.

ونتيجة لهذا الخلاف ارتحل محمد بن حسن مفارقاً السيطرة الإيطالية، ومعلناً انضمامه إلى حركة الجهاد. وقد تبادل مع قراتسياني رسائل مهمة تشرح هذا الموضوع أدرجناها في فصل الملاحق.

كما بدأ الشيخ أحمد البدوي الزنتاني في مخاطبة الطليان والانضمام إليهم مع بقائه في أرض القبلة ليفيد الإيطاليين من تحركات المجاهدين[3].

كما وقعت معارك بين خليفة الزاوي وأبناء سيف النصر وعبد النبي بالخير للسيطرة على فزان.

ما يجري في فزان

وصل إلى فزان آلاف الأسر القادمة من غرب ليبيا من الساحل وسهل الجفارة والجبل الغربي، وقد استقبلهم خليفة الزاوي وأحسن وفادتهم وقدم لهم المساعدات من التموين، كما استعان ببعضهم في إدارة المناطق وجند شبّانهم معه في القوات الخاضعة له وهي شبه نظامية.

---

(1) المصدر السابق.

(2) انظر كتاب: معارك الدفاع عن الجبل الغربي للمؤلف.

(3) انظر كتاب: الشيخ علي كله للمؤلف لمزيد من الاطلاع. وكتاب القبلة لبيلاردنيللي.

وكان على رأس هذه المجموعات قياديّون هاجر بعضهم مع قبائلهم، وبعضهم وصل وحيداً.

ومن هؤلاء القياديينّ الشيخ علي كله، والشيخ المبروك الغدي من الصيعان. وقد وضع المبروك نفسه في خدمة خليفة الزاوي ومساعدته ومنهم فرحات الزاوي، وغيث البلعرني، والبنيني وهويسة من الزاوية، ومحمد فكيني من الرجبات، وسالم بن عبد النبي من الزنتان والصويعي الخيثوني وغيرهم من الزعماء الأقل شأناً.

وقد توزعت هذه المجموعات في منطقة فزان الغربية مع أن مجموعات منهم تواجدت في الطابونية والخور وانضموا إلى محلات أولاد أبي سيف امحمد بن بشير وكونوا محلات خاصة بهم حيث هاجموا المراكز الإيطالية في مناطق درج.

مقتل فرحات الزاوي

وصل كمال فرحات إلى طرابلس بطريقة غامضة ورجع منها إلى فزان، حيث يستقر والده وعائلات أخرى من الزاوية قال كمال إن والده أرسله إلى تونس ليسحب له مبلغاً من المال له في مصرف هناك، ولكن دورية إيطالية قبضت عليه في غدامس وأحضرته إلى طرابلس، حيث تبين أنه يحمل رسالة من خليفة الزاوي إلى الوالي الإيطالي[1].

قال خليفة إن الرسالة مزورة وإنه لم يرسل كمالاً فوقعت بلبلة في صفوف المجاهدين. وكان الشيخ المسن كمال فرحات تشوهه هذه التصرفات التي قام بها ولده، ونتج عن عودة كمال مقتل فرحات الزاوي على أيدي اثنين من أبناء أعمامه ابن شعيب وشخص آخر.

بعضهم قال إن سبب القتل خوف خليفة من تواجد فرحات في المنطقة لأنه أكثر شهرة وأكثر معرفة للمنطقة وهو يخشى من سطوته وشعبيته؟!

غير أنني لا أقر هذه المبررات لأن فرحات الزاوي عندما وصل إلى فزان كان قد قارب الثمانين من عمره. وبالتالي يعتبر في حكم المنتهي لضعفه وشيخوخته. كما أنه وصل وهو عديم المال فقير الحال، والسيادة عند البدو وعند أهل الصحراء تعتمد على المال وعلى القوة وعلى العصبية. وفرحات لم يصل معه إلى فزان إلا مجموعة بسيطة من أهل الزاوية وهؤلاء يقسمون ولاءهم بينه وبين خليفة الزاوي.

إذن مقتله بهذا السبب يجب أن نحذفه.

وقال الشيخ الطاهر الزاوي إن فرحات رأى أنه من الخير لهؤلاء المهاجرين الرجوع

---

(1) إعادة احتلال فزان، قراتسياني.

إلى أوطانهم لأنه إذا احتل الطليان فزان فسيبطشون بهم البطشة الكبرى، وإذا جلوا عنها فستبتلعهم الصحراء ويموتون فيها جوعاً وعطشاً ـ وهذا ما حصل ـ ويقال إنه اقترح على خليفة أن يتصلوا بالطليان لعلهم يصلون معهم إلى حل فيه شيء من الراحة للمهاجرين، وحصلت اتصالات مع الطليان في طرابلس عن طريق غذامس ـ وكانت محتلة من قِبَل الطليان ـ قام بها كمال بن فرحات بك وبقي كمال في طرابلس نحو شهر ثم رجع إلى فزان ولم نعلم شيئاً عما اتفق عليه مع الطليان. .»[1].

وقد ذكر قراتسياني قصة قدوم كمال، ولا أظن أن فرحات لا يعلم بذهاب ابنه ولم يكن متفقاً معه على ذلك.

وقد ذكر لي امحمد وازينة السباعي قصة أخرى رأيت أن أدرجها هنا ربما توضح الحقيقة:

قال وازينة: «كنت فتى دون العاشرة بقليل عندما اجتمع مجموعة من قيادات المجاهدين في كوخ قريب منا في أدري واستدعوا خليفة الزاوي للاستفسار منه عن قصة الرسالة التي تروج الإشاعات أنه أرسلها إلى الطليان مع كمال فرحات»[2].

قال وازينة: «وقد قرر فرحات أن يقتل خليفة الزاوي في الاجتماع.

عندما اجتمعوا أخرج فرحات مسدسه ليطلق النار على خليفة الزاوي ـ وكان خليفة في قمة لياقته البدنية وهو عسكري ومتمرن، وفرحات شيخ ترتعش يداه ـ فانقضّ خليفة على فرحات ورفع يده التي يحمل بها المسدّس إلى سقف الكوخ حيث انطلقت منه رصاصة في الهواء». قال وازينة: «لقد سمعت الطلقة، وقد كنت مع الأطفال ألعب بالقرب من الكوخ.

وانتزع خليفة المسدس من يد فرحات واستاقه اثنان من المجندين خارج الكوخ وقتلاه بأمر منه».

وقد قتل فرحات اثنين من أبناء عمومته هما ابن شعيب وشخص آخر. وقد كتب الشيخ الزاوي رحمه الله أن قاتلي فرحات هم علي أبو ستة، وأحمد الدرتاوي وحسن بن رخا.

وقد كتب المرحوم علي أبو ستة وهو ضابط من النواحي الأربع في جيش الجمهورية، يكذب هذا الخبر ويتبرأ من مقتل فرحات، وقال إن قاتله ابن شعيب وشخص آخر وكلاهما من الزاوية. وقد كتب علي أبو ستة ذلك في جريدة (شعلة

(1) الطاهر الزاوي، جهاد الأبطال، ص 510 ـ 511.

(2) رواية الشيخ امحمد وازينة عند لقائي به في (قصر دله) 1985.

الحرية) حوالى عام 1951[1].

والذي يتابع الأحداث لا يستبعد أن يكون ذلك قد حصل لأن ذهاب كمال فرحات إلى طرابلس أثار الكثير من الشكوك بين المجاهدين المهاجرين ضد فرحات وضد خليفة الزاوي، وكل منهما يحاول أن يخرج من هذه المحنة نظيفاً بقدر الإمكان ويحاول أن يلوح الموضوع على الآخر.

أما بعض الكتبة فلا أدري لماذا يصرون على إلصاق تهمة مقتل فرحات بالضابط الوطني علي أبو ستة، الذي تبرأ من الموضوع وذلك في حياة الشيخ الطاهر الزاوي وذكر أسماء قاتلي فرحات وسواء هذا أو ذاك فإن فرحات الزاوي ذلك هو أجله ولم يعد له أي دور في الجهاد سواء أقتل أو مات موتة طبيعية. كما توفي الصويعي الخنيثوني عليه رحمة الله بحمى الملاريا هناك في الشاطىء، وكثيرون من مجاهدي الغرب الذين أضرت بهم الفاقة والعوز والحمى.

أما منطقة شرق فزان، فإن قبائل المغاربة ومن حولهم في منطقة أجدابية بقيادة زعيمهم صالح الأطيوش قد قطعوا الاتصال مع الإيطاليين. ذلك الاتصال الذي ورثوه عن مهادنة ادريس السنوسي للطليان بعد اتفاقية الرجمة 1917 وحكومة أجدابية.

وبعد رحيل ادريس السنوسي إلى مصر 1920 واستئناف المعارك العسكرية 1922 وقع صالح الأطيوش صلحاً مع الإيطاليين فتحت بموجبه أسواق سرت وأجدابية والنوفلية أمام قبائل المغاربة للتزوّد بالتموين وشراء ما يلزمهم على أن تدخل هذه القبائل تحت الطاعة الإيطالية ويتم تسليم سلاحهم.

وقد استفاد المجاهدون من هذا الصلح بالتردد على أسواق الساحل وشراء ما يلزمهم بحجة أنهم جميعاً مغاربة[2].

غير أن هذه المهادنة لم تدم طويلاً إذ نزحت قبائل المغاربة نحو الجنوب واستقرت بالهروج ومنطقة (جيفة) والسرير.

أما قبائل أولاد سليمان والقذاذفة ومن معهم فقد استقروا في منطقة الوديان القريبة من الجفرة. واتخذ عبد الجليل سيف النصر من (هون) عاصمة له، وترأس أخوه أحمد قيادة الجهاد واستقر في منطقة (الفطيمية) و (حقيفة دلم) وبدأ يشن الغارات على المناطق الشمالية، مع أن عبد الجليل لا يزال يطمح إلى امتلاك فزان وطرد خليفة الزاوي

---

(1) شعلة الحرية، جريدة وطنية تصدر عن حزب المؤتمر رئيس تحريرها أحمد زارم.

(2) انظر: رواية المهدي ابراهيم مخيون، مركز الجهاد، شريط رقم 10/13. ولم نستطع العثور على صيغة الصلح الذي عُرف باسم (صلح الأطيوش).

منها، بالرغم من أنهم لم يستطيعوا ذلك سنة 1917 عندما تعاونوا مع عابد السنوسي ضد خليفة.

وقد نزحت ورفللة من بني وليد وتوجهت نحو الجنوب وكان عبد النبي بالخير على خلاف مع أسرة سيف النصر منذ أيام حرب صفي الدين السنوسي في بني وليد وطرده من المنطقة ومعه أولاد سيف النصر أحمد، وعمر، وعبد الجليل، وقد طردهم أيضاً من الجفرة بمساعدة الأتراك ورمضان السويحلي 1916.

ولهذا لم تكن العلاقات على ما يجب من الصفاء، فنزل عبد النبي بالخير بمن معه من العائلات النازحة من بني وليد في منطقة الطابونية، واستقر بها قرابة السنة يميز الأحداث ويدير الأمور كما تتراءى له في الجفرة والجنوب والشمال وقد كانت علاقة عبد النبي بخليفة الزاوي حسنة أيام الجمهورية فبدأ يفكر في كيفية الوصول إليه[1]، ولكنه قبل أن يتخذ أي قرار أرسل قافلة لتجلب التمر من خليفة لمساعدة الأسر التي معه وتموينها. وكان أخو عبد النبي المسمى المبروك يقود القافلة ومعه مجموعة من رجال بني وليد.

وصلت القافلة إلى خليفة وأكرم الرجال، وأمرهم بتعبئة التمر. ولكن حادثة وقعت في المنطقة تسببت في مقتل رجلين من قبل مجهولين جعلت خليفة يغير رأيه ويعتقل رجال القافلة ثم يطلق سراحهم، ويأمرهم بمغادرة المنطقة بدون تمر.

قد تكون هذه المؤامرة من نسج عائلة سيف النصر لإفساد الجو بين خليفة الزاوي، وعبد النبي بالخير.

هنا قرر عبد النبي أن يرحل باتجاه (الجفرة) وينزل ضيفاً على عبد الجليل سيف النصر، الذي سحب الرجال من عبد النبي وأرسلهم إلى أحمد للجبهة، وترك عبد النبي معه شبه أسير وقد أساء معاملته وأمره بالإقامة في (ودان)، الأمر الذي جعل شيخ الطبول عبد السلام حقيق يبعث برسالة إلى عبد الجليل ينتقده على هذا المسلك، ويحذره من أن أي مساس بعبد النبي بالخير سيعرض الالتحام بين ورفللة وأولاد سليمان للتمزق[2].

استقر عبد النبي في ودان، وقد شهد حضور ابراهيم السويحلي إلى المنطقة ومقابلته عبد الجليل، وما حصل بينهما من سوء تفاهم. وكذلك إرسال عبد الجليل لمجموعة

(1) رواية يوسف عبد النبي بالخير.

(2) انظر: المرزوقي، عبد النبي بالخير.

من مجموعاته لنصب كمين لإبراهيم السويحلي في منطقة (الرواغة) ومقتله[1] عليه رحمة الله.

وكان عبد الجليل بعد أن ضمن انضمام ورفللة له في المنطقة أحيا حلمه القديم لحكم فزان، فأرسل قافلة (300) بعير لفزان يطلب من خليفة تحميلها بالتمر.

رد خليفة: «إن التمر الذي عندي لا يكفي العائلات التي وصلت إلي».

وأرجع القافلة بدون تمر، وكان هذا الموضوع كفيلاً بتعبئة الناس ضد خليفة الزاوي وعقد النية على مقاتلته وإخراجه من فزان، وسواء أأرسل التمر أم لم يرسله فسيقاتلونه.

وأمر عبد الجليل سيف النصر عبد النبي بالخير بمن معه من رجال ورفللة بمهاجمة الزاوي - والمنكسر منهما سيكون في صالح عبد الجليل -.

تقدم عبد النبي بالخير على رأس مجموعات ورفللة لمهاجمة خليفة الزاوي، ووقع الصدام بينهما في (سبها). واستطاع الزاوي بما له من خبرة عسكرية واستعداد للقتال أن يهزم عبد النبي ويطارده إلى (البوانيس) (سمنو وريغن). وقد أرسل عبد النبي يستنجد بعبد الجليل سيف النصر الذي حسب الاتفاق سيتحرك باتجاه الهروج ليطوق خليفة الزاوي من الخلف ويستولي على مرزق.

طلب عبد النبي إرسال الذخيرة وأن يتحرك عبد الجليل حسب الاتفاق، إلا أن عبد الجليل أرسل صندوقين من الذخيرة لحليفه مع عمر بن سلمى البوسيفي. وعندما فتح عبد النبي صندوقي الذخيرة وجد فيهما غير أنواع الذخيرة المطلوبة لبنادقه، فأخفى الأمر واستمر يقاتل في الزبغن وكاد أن يقع في الأسر أو يُقتل عندما اقتحمت مجموعات خليفة خيمته وانقشعت مجموعاته من حوله.

تحرك عبد الجليل عن طريق زويلة حيث صادمه فيها ممثل الزاوي (ممدو الرياحي) فَصَدَّ تَقَدُّمه عدة أيام، وأرسل يخبر خليفة الذي كان في معركة كادت أن تكون الفاصلة مع عبد النبي بالخير في الزبغن. وقد قال مرسول (رقاص) ممدو إن عبد الجليل في طريقه إلى مرزق، فانسحب الزاوي قبل اللحظات الأخيرة من انتصاره على عبد النبي بالخير.

عاد خليفة إلى مرزق وتبعه عبد النبي بالخير حيث احتل سبها، وواصل زحفه - باتجاه مرزق. كما وصل ممدو الرياص من زويلة منسحباً منها حيث احتلها أولاد سيف

(1) حديث الحاج حسن الطبولي الذي كان ضمن الحاضرين لمقابلة ابراهيم لعبد الجليل وكان أيضاً ضمن المجموعة التي نصبت كميناً لإبراهيم في (الرواغة).

النصر، وعند انسحابه مرّ على نجع للقذاذفة فاستاق حيواناتهم وأخذ ستة من رجال النجع أسرى من ضمنهم الشاعر القذافي (كنيش) حيث سجنهم خليفة داخل القلعة وقد أحسن إليهم.

وصلت قوات عبد النبي بالخير وقوات عبد الجليل سيف النصر وطوقوا خليفة الزاوي في مرزق وحاصروه، وكان كل مرة يخرج إليهم وتنشب معركة بين الطرفين، ويرجع إلى داخل أسوار القلعة.

أرسل صديقه المبروك الغدي للمقارحة مستنجداً بهم، وأحضر إليه حملة منهم استطاعت أن تفك الحصار إلى حين، ثم حوصرت داخل القلعة من جديد وحاول أن يرسل المبروك الغدي من جديد لإحضار حملة من المقارحة قائلاً له:

ـ ما زالت هذه المرة إما انتصرنا أو نتركها لهم.

ولكن المبروك قتله عمر بن سلمى غدراً وهو يستضيفه في بيته بتحريض من عبد الجليل سيف النصر.

استمر الحصار ثمانية أشهر كاملة في تلك القرية الصغيرة القابعة في الصحراء، أكل الناس فيها كل ما يؤكل وقضى المئات من الناس نحبهم داخل الأسوار، وخليفة يرفض الاستسلام وعبد الجليل سيف النصر، وعبد النبي بالخير ومن معهما يرفضون فك الحصار. وقد تسلل التوارق بقيادة خليفة حاكم من مرزق تاركين خليفة لمصيره. تدخل الشيخ أبو بكر قرزة في الصلح وسعى بين الطرفين واستطاع أن يوقف الحرب وبدأ الناس يستمعون إلى صوت المفاوضات، ولكن ذلك الشيخ الجليل توفي فجأة وهو يجري المفاوضات بين الطرفين ودفن أمام أسوار المدينة عليه رحمة الله. وأوقف المتحاربون الحرب لمدة ثلاثة أيام إكراماً لذلك الشيخ ثم عادت فاستمرّت. قال بعضهم إن أبا بكر قرزة مات مسموماً، ولكن ذلك هو أجله[1].

وتولى مهمة المصالحة في ما بعد الشيخ أحمد السني واستطاع بعد تنقلات بين الطرفين ومفاوضات ومواعظ أن يُقنع الفريقين بالإصغاء إلى صوت الدين والدم والقرابة. وتم له ذلك وفرض الشروط التالية:

1 ـ أن يغادر كل من سيف النصر وعبد النبي بالخير فزان.

2 ـ أن يعين أحمد السني متصرفاً على فزان تحت عبد الجليل سيف النصر.

3 ـ أن يترك خليفة الزاوي وشأنه ليذهب حيثما يريد ولكن بشرط أن ينسحب من السياسة تماماً.

---

(1) انظر: موسوعة روايات الجهاد.

هذه الشروط أوردها قراتسياني في كتابه «إعادة احتلال فزان»، ولكن بعض الذين التقيت بهم ممن حضروا هذا الاتفاق لم يذكروا ذلك، بل أخبروا أن خليفة الزاوي يجب أن يسلم الحصن وأن يعفى عنه وأن يسلم ما معه من أموال لعبد النبي بالخير لأن عبد النبي كان يحول مبالغ مالية أيام الجمهورية إلى خليفة الزاوي (متصرفية فزان).

فتح الباب، وخرج خليفة الزاوي وأجرى حصانه مع عبد الجليل سيف النصر بين الصفين كخروج محترم واجتمعوا في خيمة طلب فيها عبد النبي بالخير من خليفة ما معه من مال، وقد دفعه له.

وأصر عبد النبي على مقتل خليفة ولكن عبد الجليل أصر على عدم المساس به لأنه وعده والرجل عند كلمته. قال عبد النبي بالخير:

«والله سيلحق بكم مع الطليان ويسلب نساءكم».

وفتح الباب الغربي حيث خرجت العائلات، نساء وأطفال مهلهلو الثياب، عظامهم بارزة من الهزال وأجسامهم نحيلة لا يستطيعون المشي إلا خطوات قليلة ويجلسون للاستراحة. هكذا أخبرني أبو عجيلة الغدي الذي كان مع الخارجين وكانت والدته وأسرته مع هذا الجمع المهلهل، حتى إن أمه لم تستطع السير فجلست ولم تستطع اللحاق بالمجموعات.

دخل المتصرون القلعة واقتسموا كل ما فيها من سلاح ومهمات كغنائم حرب. والأموال أخذها عبد النبي بالخير بحجة أنه كان يحول مبالغ مالية إلى خليفة أيام الجمهورية وأبرز مستندات تثبت أنه سلم لخليفة (8000) ليرة ذهباً في تلك الفترة، ولم يكن عند خليفة إلا (6000) سلمها وسجل الباقي ديناً على خليفة.

كما تم تسليم خليفة الزاوي إلى أحمد السني وسالم بن عبد النبي ليبقى عندهما كرهينة مخافة أن يتصل بالطليان، وذلك بعد أن أجروا الخيل (ميز) بالمناسبة.

وجلس عبد النبي في خيمته وأحضر أسرى القذاذفة الشاعر كنيش ومن معه مِمن كانوا مسجونين في القلعة[1] وطلب من الشاعر كنيش أن يقول شعراً. فقام الشاعر عبد الله كنيش بإلقاء قصيدة طويلة يقول في مطلعها:

في خير ما بينا كدر لولاكم   قطعتوا الرجا يقطع الله رجاكم

*

---

(1) أحسن إليهم خليفة الزاوي وطلب منهم الدعاء له بالنصر، فقالوا له: نحن لا ندعو لك بالنصر على أهلنا، ولكن ندعو لك بأن تخرج من هذا الحصار (كالشعرة من العجين) وقد صدقت دعوة القذاذفة.

وأورد فيها قصة استنجادهم بعبد الجليل وعدم حضوره لنجدتهم، وسأل فيها الله أن يكافئهم بمثل ما حدث لنجع القذاذفة (يظلوا النصارى يسلبوا في أنساكم) وغضب عبد الجليل وأنهى الاجتماع.

أما خليفة الزاوي الذي أخذه السني إلى أدري فإنه في غيبة أحمد السني وسالم بن عبد النبي استطاع أن يفر ليلاً ويصل إلى الطابونية حيث يقيم محمد بن حسن المشاي وذلك في أول مايو 1926 وفي الطابونية طالبه أولاد بوسيف بالتعويض عما لحق بهم من هذه الحرب فأخذوا كل ما يملك، حصانه وبندقيته وخادمه وإبله وأشياء أخرى[1].

سكن في خيمة صغيرة بجانب محمد بن حسن المشاي، وأخبرني الحاج عبد الرحمن الحواسي قال:

«أرسلني محمد بن حسن لإحضار خليفة الزاوي ليتعشى معه، وكانت المسافة بعيدة نوعاً ما.

كنت أمتطي حصاناً، فنزلت وقدمته لخليفة ليركب عليه. رفض في إباء شديد وقال:

اللي نزّل سرزي قادر يردّه.

والله لاعليته».

ورفض الركوب وسار معي ماشياً»[2].

وبقي خليفة بالطابونية إلى بداية عام 1927 وكان يخاطب الإيطاليين من موقعه الذي تحميه مجموعات المقارحة. فمن خطابه للطليان:

«إذا أرادت الحكومة أن تتفق معنا فكراً وعملاً ولا تريد أن تدفع بقواتها إلى فزان في هذا الوقت فإنه يكفي أن تزودنا بالذخيرة وبما نحتاجه عن طريق المشاشية، وننصح المشاشية أنفسهم بأن ينضموا إلينا بجزء من قواتهم والحصول على مشاركة الأهالي الآخرين من فزان الموجودين في العويجة (المقارحة) وهذا يمكننا أن ننزل إلى فزان ونطرد المتمردين ونعيد الهدوء إلى البلاد.

وإذا أرادت الحكومة في ما بعد الذهاب إلى فزان فإننا نتعهد منذ الآن، باحتلاله واحتلال جميع المناطق الأخرى أي الجفرة وسوكنة والقطرون إلى الحدود».

---

(1) قراتسياني: إعادة احتلال فزان، المصدر السابق، ص 96.

(2) مقابلة مع الحاج عبد الرحمن الحواسي المشاي في فسانو، 1984.

ومن الطابونية تقدم خليفة الزاوي إلى مزدة حيث وضع نفسه بتصرّف القوات الإيطالية، فتم تجنيده على رأس قوة من الجنود غير النظاميين (باندة) وبدأ في مهامه منذ تلك اللحظة بقيادة الطليان كرفيقه في السلاح الذي سبقه إلى ذلك عاكف مسيك[1].

نتائج خروج خليفة الزاوي من فزان

لم ينته دور خليفة الزاوي في فزان بخروجه منها وهو الذي كان يدير شبه حكومة مستقلة لها إدارتها وموظفوها وجباة ضرائبها وأعشارها. وكان لها المؤيدون الذين قاتلوا معه وانهزموا أيضاً معه. وكانت هناك قبائل بأكملها تؤيده في المنطقة ستتحمل ولا شك نتائج هزيمته.

ومن هذه القبائل قبائل (الغرب) تلك المجموعات التي قدمت من منطقة الجهات الغربية من طرابلس وسهل الجفارة والجبل الغربي صيعان، يفرت، قواليش، الزاوية، ريانية، رحيبات، حرابة وغيرهم من مجموعات أخرى. إذ بعد أن حضروا معارك المشرك، والكراريم مع سعدون وابراهيم السويحلي، ومعركة بني وليد ارتحلوا صوب فزان، واستقبلهم خليفة الزاوي وأكرم وفادتهم وساعدهم بصرف التموين (التمر) لهم ولعائلاتهم، وأدخل الشباب منهم في جيشه النظامي.. وقد ساهموا في معارك الجهاد في كل من تارسين، ودي الخيل، الطابونية، القطار، الجعيفرى، الملاليح، سبخة غذامس وغيرها من المعارك التي جرت طيلة الأعوام 1925 ـ 1926 ـ 1927، وكان ذلك بقيادة زعمائهم أمثال: الشيخ علي كلة، والشيخ المبروك الغدي، والشيخ بلعيد كرم، والشيخ عمر بومليانة، والشيخ غيث البلعرني، والشيخ علي البنيني. وقد استقروا بمنتجعاتهم في منطقتي (الخور والطابونية) قرابة السنة بعد انهزام خليفة الزاوي، ووجدوا أنفسهم بين نارين: الإيطاليون الذين يزحفون من الشمال، ومجموعات سيف النصر التي احتلت فزان وتناصبهم العداء. وهنا قرروا الهجرة إلى تونس حيث انطلقوا في رحلات طوال عام 1926 وعام 1927 وقد صادفوا في رحلاتهم هذه صنوفاً مختلفة من الحظوظ، فبعضهم استطاع الدخول إلى تونس، وبعضهم سلمه الفرنسيون إلى الطليان وعادوا إلى أوطانهم تحت الحراسة الإيطالية من (المشيقيق) وقد تناولت ذلك تفصيلاً في كتابي (الشيخ علي كله، والشيخ المبروك الغدي).

أما الزنتان الذين كان خليفة الزاوي يحسن إليهم ويوظّف بعضهم في إدارات

(1) قراتسياني، إعادة احتلال فزان، ص 97.

فزان، فما إن انقلب ميزان القوة ضده حتى وقف الزنتان مع المنتصرين واقتسموا معهم الغنيمة واستطاعوا أن يكيّفوا أنفسهم مع الوضع الجديد، غير أن الشيخ أحمد السني الذي كان في أغلب مراحل الجهاد زعيماً للزنتان وقائد جهادهم قبض عليه عبد النبي بالخير وسجنه في مرزق بسبب هروب خليفة الزاوي منه والتجائه إلى الطليان، ولم يحرك الزنتان ساكناً لمناصرته أو الدفاع عنه. ولم تفد وساطة (والدته وعمته) اللتين جاءتا إلى مرزق في طلب العفو عنه (كعادة العرب في أن المرأة لا ترد وساطتها) واستمر في سجنه ستة أشهر كاملة.

ولقد كانت قبيلة المشاشية بقيادة محمد بن حسن في ذلك الزمن تحت سيطرة الإيطاليين، فما إن علموا بخروج خليفة الزاوي من فزان وارتحال الزوائد الذين كانوا يناصرونه نحو الحمادة الحمراء حتى جهزوا حملة قوامها (400) مسلح واتجهوا صوب الزوائد لتصفية حساب معهم. إذ سبق للزوائد أن قتلوا ثمانية مشاشية أيام وجودهم مع الزاوي بسبب قضايا اجتماعية حدثت بينهم في الشاطىء، واستطاعت هذه الحملة مباغتة الزوائد وأحدثت فيهم مذبحة مريعة. إذ تم سحقهم وقتل (70) رجلاً من غير النساء والأطفال، واستولوا على حيواناتهم وأثاثهم[1].

ولم يقتصر الموضوع على هذه المذابح التي تمت بين الأخوة في مناطق فزان المختلفة، بل إن أهالي فزان، الواحات المسالمين تعرضت أملاكهم ونخيلهم للنهب والإبادة. واعتبر الحكام الجدد بعد وصولهم إلى المنطقة أنهم يملكون الأرض ومن عليها[2].

كما أن قبائل المقارحة والحساونة والحطمان الذين يقطنون الشاطىء والذين كانوا على اتفاق مع خليفة الزاوي، وبعد خروجه من فزان عين أبناء سيف النصر عمر بن سلمى البوسيفي قائمقاماً على الشاطىء وبدأ هذا يسيء إلى هؤلاء الأقوام وينتزع أملاكهم وخيولهم وحيواناتهم، الأمر الذي جعلهم يصطدمون معه في معارك ضارية في (المحروقة) استنجد فيها بأحمد سيف النصر الذي هاجم الحساونة وأخضعهم. أما المقارحة فقد ارتحلوا نحو الشويرف[3] والطابونية وتحجل، كما ارتحل جزء من الحساونة وجزء من الحطمان نحو الشمال.

ويقول علي ضو مسعود الحطماني بخصوص الحطمان في موسوعة روايات

---

(1) رواية المهدي عمر جلغم، موسوعة روايات الجهاد.

(2) انظر: رواية الحاج محمد عبد السلام بومنيار، موسوعة روايات الجهاد.

(3) رواية حسن عبد الرحمن بوحليقة المقرحي، موسوعة روايات الجهاد، جمع علي البوصيري.

الجهاد: «إن التوارق منغساتن والزنتان ضايقونا وقتلوا بعض رجالنا واستاقوا إبلنا، الأمر الذي جعلنا نرحل باتجاه الشويرف ونسوق اثنين وثلاثين عصا[1] كل صبح نترك خمسين أو ستين حواراً نخلوهم في طبات ونايضين نوضان على الذراع ليت وصلنا القرية وصلنا الطليان وبنوا انجيبوا الطليان ولو كان لقيناه بنجيبوه من طاليا يحط هنا من دراه الكبد اللي هنا مقسمين السواني وتحب تكره يا اعطيني يا وسّع.

هذا اللي ساقنا، وين جينا غاديكه هيا يا طليان، هيا يا طليان قال هيا. جاب السعداوي وقال له ودار له ثلاثمية ومشى باش يثبتنا. احنا راس الحول روحنا هانا مشينا في لقصيّر روحنا في لقصيّر..»[2].

وهكذا كانت التصرفات غير المسؤولة وعدم احترام المواطن والتعديات ونهب الأموال وقتل الأرواح من أسباب انهيار المقاومة الوطنية في فزان، وكسب العدو من ذلك آلاف الرجال المقاتلين الذين امتشقوا السلاح معه ضد وطنهم ومواطنيهم.

كما أن الحزازات القبلية وحركة الصفوف القديمة والثارات التافهة ولأسباب تافهة، كل هذا ساهم في تمزيق وحدة المجاهدين في أرض القبلة.

ولو أنني أشجب الانضمام إلى العدو تحت أي ظرف وتحت أي سبب فلقد قال المجاهد محمد بن عامر المقرحي عندما قيل له يجب أن نذهب إلى الإيطاليين خوفاً من بطش أسرة سيف النصر أجابهم: «إن نعال سيف النصر على وجهي أفضل من حرير إيطاليا». ولقد قالها قبله المعتمد بن عباد رحمه الله: «لئن أرعى جمال العرب أفضل من أن أرعى خنازير الروم» وانتهى الجميع وبقيت المقولة الوطنية الخالدة.

أما سالم بن نصر فقد ارتحل شمالاً بمن معه ووضع نفسه تحت تصرف الإيطاليين وهو الذي جرح في معارك خليفة الزاوي ضد آل سيف النصر.

أما المجموعات التي خشيت الفتنة ورفضت الانصياع للإيطاليين من قبائل الغرب التي وصلت إلى فزان ووقفت مع خليفة الزاوي، فقد تجمعت في الخور وانتظرت، لعل المشاكل تنتهي أو تتضح الرؤية أكثر. وعندما شاهدوا مصادمات آل سيف النصر مع مجموعات الشاطىء مقارحة، حساونة، حطمان، وارتحال هؤلاء نحو الإيطاليين قررت تلك القبائل الرحيل إلى تونس والجزائر، ولاقت حظوظاً مختلفة في رحلتها المتعبة والمنهكة والقاتلة في بعض الأحيان.

---

(1) العصا: تعني إبل.

(2) لقصيّر: شهر شعبان.

تفجر الخلاف بين عبد النبي بالخير وآل سيف النصر:

لم تكن العلاقات بين عبد النبي بالخير وآل سيف النصر ودية على الإطلاق، فقد انضم كما هو معلوم عبد النبي بالخير إلى (صف البحر) وتعاون مع رمضان السويحلي ضدهم وأخرجهم من (الجفرة 1916) عندما كانوا مع السنوسيين. ويقولون إن سجنهم في (زوارة) باقتراح من عبد النبي بالخير (انظر «إعادة احتلال فزان» قراتسياني). ولهذا نجد وصول عبد النبي إلى الجفرة لم يتم إلا بعد هجرته من بني وليد بقرابة السنة. وبعد أن تعكرت الأجواء بينه وبين خليفة الزاوي (قضية القافلة) التي يُقال إن سبب الشكوك التي راودت الزاوي أسرة سيف النصر الذين افتعلوا حادثاً أدى إلى تلك النتيجة.

وحتى عندما وصل عبد النبي إلى (الجفرة) يُقال إن عبد الجليل عامله معاملة سيئة وتركه شبه معتقل عنده في الجفرة (انظر عبد النبي بالخير للمرزوقي).

وحتى عندما تحالف عبد الجليل وعبد النبي على مقاتلة خليفة الزاوي وقعت أحداث يشتم منها أن عبد الجليل يتمنى لحليفه الانكسار والموت إذ قذف به لمحاربة الزاوي ولم يدعمه، وعندما انكسر في سبها وبدأ الزاوي يطارده إلى السمنو والزيغن وأرسل عبد النبي يطلب الذخيرة أمده عبد الجليل بصندوقين من ذخيرة ليست للسلاح الذي يستعمله ولم يتقدم لنجدته حسب الاتفاق بالسرعة المطلوبة. كل هذه الأسباب توضح لنا أن الحليفين ليسا على وفاق.

وبعد خروج الزاوي من فزان تم تعيين عبد النبي بالخير متصرفاً على فزان ومحل استقراره مرزق. ورجع عبد الجليل إلى الجفرة وبدأ عبد النبي يعين الموظفين على المناطق التابعة له ويجمع الأعشار، وقد ترك أسرته في منطقة (الجفرة) مع مجموعات من عائلات ورفللة الأخرى.

وفي إحدى المرات ذهب عبد النبي ليتفقد أحوال أسرته في الأودية القريبة من الجفرة، فسمع أن عبد الجليل أرسل موظفين استولوا على فزان. فلقد أرسل عبد الجليل أحد عبيده المسمّى (عبد الله الهيبة) واستولى على مرزق وبدأ يجمع الأعشار وغير الأعشار من المواطنين.

كما أرسل عبد الجليل أيضاً علي شاهين الورفللي ـ الذي كان معه ضد عبد النبي ـ متصرفاً على سبها وقبض هذا على محمد حلمي الجحاوي المعين من قبل عبد النبي وقرر إعدامه لو لم تتجمع مجموعات من أهالي ورفلله وأطلقوا سراحه ومنعوا شاهين من إعدامه.

لهذه المعلومات عاد عبد النبي إلى سبها حيث طرد علي شاهين وأرسل عبد الهادي

زرقون مع مجموعة من المسلحين وطردوا (بالهيبة) من مرزق، وأرسل سراً من يختطف أسرته ليلاً ويرحل بها من الجفرة ليلحقها به.

وهكذا وقعت القطيعة النهائية بين الحليفين اللذين بانتهاء سبب التحالف انتهى التحالف بينهما.

واستقر عبد النبي في مرزق وسبها. وبقيت أسرة سيف النصر ومن معها في الجفرة، وحتى عند قدوم الطليان توجهت كل مجموعة إلى جهة دون أن يلتقيا، والتحقت مجموعات ورفللة المقيمة في الجفرة بعبد النبي بالخير.

أما علي شاهين بمن معه من قبيلة أولاد بوراس فقد بقوا مع آل سيف النصر حتى وصلوا إلى القطرون معهم، ولكن غزياً من التبو استاق إبلهم واستنجدوا بعبد الجليل سيف النصر فلم يحرك ساكناً لنصرتهم فذهبوا يستنجدون بعبد النبي بالخير، الذي أرسل مجموعة من ورفللة لاختطاف سلطان التبو في القطرون (مينا صالح) وابنه (بركه) ولما أحضروهما إليه في (دوجال) أحسن لمينا صالح وطلب منه أن يرسل ابنه بركة لإحضار الإبل وإعادتها لأصحابها. وبقي مينا مع عبد النبي وقد أرجع بركة الإبل. ولهذا ارتحل علي شاهين من القطرون ونزل مع نجوع ورفللة وتصالح مع عبد النبي بالخير، وهاجر معه إلى الجزائر ثم إلى تونس. أما عثمان خليفة سكيب ومجموعة من ورفللة فقد بقوا مع أسرة سيف النصر مخاصمين عبد النبي بالخير لأسباب أخرى قديمة وهاجروا معهم إلى تشاد حيث توفي عثمان رحمه الله في حادث في إحدى آبار تشاد. ووقع خلاف آخر بين أحمد سيف النصر وأحد مشايخ ورفللة في تشاد ويدعى (غيث) حيث تم نفي (غيث) إلى جنوب تشاد بأمر من الفرنسيين في ما بعد.

وكان الإيطاليون يراقبون الأحداث التي بدأت تسير لصالحهم في فزان. وانطلاقاً من مزدة بدأوا يستخدمون الطائرات بكثافة لقصف منتجعات المواطنين في الحمادة الحمراء واستخدموا في ذلك الغازات السامة في الطابونية وغيرها.

ويقول بيلاردنييللي:

«وفيما كان الوضع يتطور بهذا الشكل قدم الزنتان (مزبطة) استسلام تحمل توقيع جميع زعمائهم بمن فيهم سالم بن عبد النبي وكانت قد أعدت منذ 9 مايو سلمها إلى الجنرال قراتسياني في يفرت مبعوث أفلت بأعجوبة من مكامن القبلة وفخاخها»[1].

ويقول بيلاردنييللي: «إن الرائد قالياني كلف من السلطة القيام بالإجراءات اللازمة لاستسلام الزنتان فأجرى اتصالات بالشيخ أحمد البدوي عن طريق رسائل بعث بها

---

(1) القبلة، المصدر السابق، ص 185.

الأخوان المناعي أحمد ومحمد الشريف اللذان وضعا نفسيهما تحت تصرف الحكومة مع تكليفهما أيضاً بنشر الدعاية وإسداء النصائح للبدوي لحمله على الإسراع بالاستسلام الصادق والصريح، فرد أحمد البدوي مؤكداً على صدق موقفه بأسرع الضمانات وموقف أتباعه المخلصين له، مع إبداء تحفظات حول موقف بعض الزعماء كسالم بن عبد النبي الناكوع المرابط في الطابونية ومحمد فكيني في بئر الناصرة اللذين كان يظهر التردد عليهما الآن رغم اشتراكهما في التوقيع على مزبطة «الاستسلام»[1].

وقد وصل وفد الزنتان إلى مزدة للاستسلام في يوليو 1924 والمتكون من:

«الشيخ أحمد بن علي التير، اللافي بن بلقاسم، والحاج مسعود بن عمار (عن تيار النازحين عن مزدة) والطاهر بن محمد الإمام وأحمد بن علي محمد (عن اللاجئين إلى تغرمين) ومحمد بن سالم الجريو (عن زنتان الطبقة) والشيخ علي بن عيسى (عن قواليش كلكه). وتقرر في ذلك الاجتماع عودة جميع أهالي الزنتان المستقرين وكذلك البدو شبه الرحل وتسليم السلاح»[2].

«واستسلم مع المندوبين أحمد البدوي وغيره من صغار الزعماء..»[3]، غير أن القبلة لم تكن أحداثها كلها سلبيات. فلقد تجمع أولاد بوسيف واتفقوا على رئاسة امحمد بن بشير، وانقلب عمر بن سلمى على الطليان والتحق بصفوف المجاهدين بعد أن كان على اتصال بالإيطاليين بل وعينوه مديراً على أولاد بوسيف لديهم بالقبلة. ونشطت الهجومات من المجاهدين على نقاط ضعف الإيطاليين فهاجموا (الملاقي) و (أم السدر) قرب مزدة.

وقد كلف الشيخ فرحات بن أحميد الرياص الذي يقود باندة مع الطليان بمجموعة قبائل رياح بمطاردة المجاهدين واسترداد الإبل التي استاقوها من الطليان.

وقام الإيطاليون بتعيين موظفين تابعين لهم من الأفراد الذين تأكد لهم ولاؤهم.

فعينوا مسعود الشويشين مديراً على المشاشية المستسلمين وأحمد الشريف المناعي قاضياً على مزدة وعين أخوه امحمد الشريف المناعي رئيس بلدية. كما عين رؤساء قبائل في مزدة كلٌ من:

عبد الله بن بوعجيلة على قنطرار مزدة اللوطية

محمد بن الفقيه على قنطرار مزدة الفوقية

أحمد بن الحاج على التير من جماعة الزنتان المستقرين في مزدة

---

(1) بيلاردنييلي، المصدر السابق، ص 186.

(2)(3) بيلاردنييلي، المصدر السابق، ص 188.

ومحمد بن حسن عن الطوابين.

كما قدم إلى مزدة بعض من أولاد بوسيف في الفترة نفسها يعرضون الاستسلام وكان على رأسهم أحمد حسن بن علي وأحمد بن حسن الشريعة وامحمد بن عبد الله. ولكن استسلام هؤلاء المشايخ لم يغير من الموقف بل زاد حدته إذ هاجم أولاد بوسيف المستسلمين وبدأوا في مهاجمة نقاط تواجد الإيطاليين. وقد عين الإيطاليون بدلاً من عمر بن سلمى، الذي انتهج نهج الثورة امحمد بن الأمين مديراً على أولاد بوسيف المستسلمين.

ويقول بيلاردنييللي:

«الزنتان المتجمعون حول أحمد البدوي في الطيقة والطابونية وبئر الخرب وبئر جعفر، وكذلك حول الزعماء الأكثر شأناً كطاهر الإمام ومحمد شلغم وامحمد حنيتيش كانوا على صلة وثيقة وعلاقات مستقرة بسلطات مزدة وكانوا الوحيدين الذين كانوا يقدمون لها المعلومات بشأن ما كان يجري في القبلة»[1].

ويقول بيلاردنييللي:

«.. وإذا كان مصدر عدم قدوم البدوي إلى سلطاتنا خوفه من التعرض لإلقاء القبض عليه واعتقاله، فإن السبب الحقيقي، كما بين في ما بعد احتراسه وشعوره بأنه لو قام بمثل هذه الخطوة الرسمية لورط نفسه أمام الزنتان الآخرين وأمام بقية رؤساء القبلة ولعرض أتباعه للبطش. وإذا كان قيامنا بالزحف على الطابونية وحده مبرراً لإقدامه على الاستسلام بصورة رسمية وفعلية فإن امحمد حنيتيش والزعماء الآخرين كانوا قد وجهوا فعلاً دعوات متكررة إلى الرائد قالياني بالقدوم إلى الطابونية أو إيفاد ممثل عن الحكومة إلى هناك، ولو في حراسة قوات عسكرية، لأنه سوف يحصل على فوائد لا شك في ذلك وكذلك لأنهم كانوا يشعرون بعدم الارتياح على أمنهم وسط الجماعات المتمردة من أولاد بوسيف والمقارحة والزنتان من جهة والمشاشي الذين تدعمهم الحكومة من جهة أخرى»[2].

معركة الحشادية: 11 نوفمبر 1924 ف

كان الجانب الشرقي من القبلة تحددت فيه المسائل. فالذين بقوا تحت السيطرة الإيطالية بقوا، والذين رفعوا راية الجهاد استمروا في وضعهم يهاجمون النقاط الإيطالية

(1) بيلاردنييللي، المصدر السابق، ص 197.

(2) القبلة، بيلاردنييللي، ص 197.

ويمزقون وحداتها الصغيرة المتقدمة ويستاقون وسائل نقلها التي تعتبر في ذلك الوقت الوسيلة الوحيدة لنقل الإمداد والتموين والسلاح والذخيرة والماء.

موقعة الحشادية

وفي يوم 11 نوفمبر 1924 هاجم المجاهدون بقيادة أحمد سيف النصر موقع بئر الحشادية، واستطاعوا أن ينتصروا في هذه المعركة التي بدأت عند الفجر واستولوا على كثير من الأسلحة والذخيرة والأرزاق. ولكن قدوم الباندة التي يقودها عبد الله بن عبد الله بن قطنش لنجدة الإيطاليين سببت في خسارة المجاهدين وسقوط مجموعة من الشهداء. قال أحمد محمد صالح التومي: إنهم (75) شهيداً، ومجموعة كبيرة من الجرحى. كما سقط من الإيطاليين مجموعات كبيرة من الجنود الأرتريين وانسحب المجاهدون إلى عائلاتهم في الجفرة[1].

معركة تناروت: 13 فبراير 1925 ف

قامت مجموعة المجاهدين المقيمة في منطقة الخور بالتوجه نحو (درج) لمهاجمة الإيطاليين هناك. وعند وصولهم إلى وادي تناروت اصطدموا بقوة إيطالية من الهجانة وأسقطوا منها عدة أفراد وغنموا بعض الجمال، وفرت القوة حيث احتمت بمعسكر درج. وانسحب المجاهدون نحو فزان[2] ولم تخرج القوة الإيطالية لملاقاتهم.

موقعة بئر تاله: 6 مارس 1925 ف

تمركزت قوة من المجندين الإيطاليين في بئر تاله كـ(عسة) هناك. وقد قرر المجاهدون مهاجمة هذه البئر، وشكلوا لذلك قوة استطاعت أن تقتحم الموقع عند فجر يوم 6 مارس. وكادوا أن يبيدوا المجموعة الإيطالية التي تمركزت في الموقع واتخذت موقع المدافع وكانت هذه القوة الإيطالية برئاسة عبد الله بن عبد الله بن قطنش، وسقط عدة قتلى من الطرفين وانسحب المجاهدون. ويصف بيلاردنييللي عبد الله بن عبد الله وجماعته بقوله:

«والموقعة الأخيرة في بئر تاله (6 مارس 1925) حيث تصدى 40 مسلحاً من مجندينا غير النظاميين التابعين لعصابة فرسان بن قطنش وصمدوا ببسالة في وجه محلة قوية

---

(1) موسوعة روايات الجهاد، 1991، مركز جهاد الليبيين رقم 30، ص 100ـ 101.

(2) انظر: رواية خليفة حاكم، موسوعة روايات الجهاد، جمع علي البوصيري، مركز دراسة جهاد الليبيين.

لأحمد سيف النصر أكدت من جديد تفوقنا المعنوي، وبعثت الشعور بالفخر والإعتزاز في نفوس هؤلاء الأوفياء الذين قدموا دليلاً آخر على ولائهم لنا وتعلقهم بنا في الميدان»[1].

معركة تارسين: 26 مايو 1925 ف

كانت بئر تارسين من المواقع المتقدمة للإيطاليين وكانت تحرسها مجموعة من المجندين الليبيين وبعض الضباط الإيطاليين.

وفي صبيحة يوم 26 مايو عند الفجر هاجمت قوة من المجاهدين قادمة من فزان برئاسة المجاهد محمد بن بشير هذا الموقع واستمرت المعركة ثلاث عشرة ساعة سحق فيها أغلب القوات الإيطالية المتمركزة في الموقع. ولم ينج منها إلا القليل الذين وصلوا فارين إلى بني وليد، وغنم المجاهدون كل الأسلحة والذخائر وحيوانات النقلية والخيول التي في الموقع.

«وقد اعتبر الإيطاليون صمود جنودهم طيلة ثلاث عشرة ساعة نصراً محققاً، وأشادوا بولاء الخونة من الليبيين الذين قاتلوا معهم ذلك اليوم»[2].

معركة الملاحة: 23 أبريل 1926 ف

تحركت محلة من النجوع المقيمة في (الخور) و (الطابونية) باتجاه غدامس ودرج لمهاجمة الإيطاليين وقطع طرق تموينهم. وفي يوم 23 أبريل اصطدموا بقوة من الهجانة تمثل دورية إيطالية في الملاحة بالقرب من غدامس وأوقعوا فيها خسائر في الأرواح والحيوانات. كما استشهد بعض المجاهدين، وتراجعت الدورية باتجاه غدامس.

معركة القطار: 5 أغسطس 1926 ف

تحركت مجموعات من المجاهدين من منطقة الشاطىء بفزان نحو القوات الإيطالية المتمركزة في (درج) بغدامس.

وكانت هذه المجموعة تتكون من حوالى (300) مجاهد من مختلف القبائل المتمركزة في الشاطىء. وكانت بدون قيادة موحدة ولكن كل مجموعة من قبيلة واحدة يقودها شخص منها.

---

(1) بيلاردنيللي، ص 198.

(2) انظر تفاصيل ذلك في كتاب معارك الدفاع عن الجبل الغربي للمؤلف.

وفي يوم 3 أغسطس هاجم المجاهدون عسة للطليان في بئر (الجعيفري) واستولوا عليها. ولكن بعض الجنود فروا ووصلوا إلى درج حيث تحركت القوات الإيطالية نحو الموقع.

وفي يوم 5 أغسطس كان المجاهدون يستقرون (بالقطّار) جنوب درج حوالى ستين كيلومتراً، هاجمتهم القوات الإيطالية واستمرت المعركة إلى حلول الظلام، حيث فر الإيطاليون وتقهقروا بدون نظام (فراراً) والمجاهدون يطاردونهم ويغنمون أسلحتهم إلى أن وصلوا (درج) عند آخر الليل وقد غنم المجاهدون أسلحة وذخائر وتمويناً وعادوا إلى أدري.

مضى الإيطاليون في تخطيطهم لاحتلال منطقة القبلة، وبدأوا في تجهيز قواتهم التي ستنطلق من مزدة ومن أجدابية والنوفلية وقد حاول قراتسياني الخروج بقواته باتجاه القريات ولكنه عاد إلى مزدة بعد خروجه بيومين لأسباب قال إن ريح القبلي هي التي أثّرت في خطته فتراجع عنها.

وكان الشيخ محمد بن حسن المشاي الذي كان أحد مساعدي قراتسياني في القوات غير النظامية (الباندة) بدأ يبتعد نحو القبلة ويرفض القدوم إلى مواقع الإيطاليين ويتبادل الرسائل معهم، تلك الرسائل التي أصبح أسلوبها أخيراً يشوبه التحدي والتحرش والانفصال عن الإيطاليين.

وقد أدى ذلك أخيراً إلى قطع العلاقات نهائياً مع الطليان خاصة بعد أن سمع بالإعلان الذي أصدره الإيطاليون (قراتسياني) بفصل علاقاتهم معه وإنهائها وتعيين مسعود الشويشين المسمى (مسعود الحليقية) بدله مسؤولاً عن المشاشية الموالين للطليان.

انتقل الشيخ محمد بن حسن إلى فزان حيث تقيم مجموعة قيادات المجاهدين المهدي السني، محمد فكيني، أحمد سيف النصر، سالم بن عبد النبي وغيرهم، لم يكن معهم امحمد بن بشير الذي كان يقيم خارج المنطقة.

اجتمع الجميع وأخبرهم محمد بن حسن أنه اختصم مع الطليان وأنه ينوي مهاجمتهم مع المجاهدين.

كان رد المجموعة «إنك كنت مع الطليان، ولا نستطيع قبولك معنا ما لم تقم بهجوم على الإيطاليين يكسبك الشرعية لدى المجاهدين».

تكونت حملة قوامها حوالى الثلاثمائة مجاهد أغلبهم من المشاشين. وكان مع محمد بن حسن في رئاسة هذه الحملة الشيخ المهدي السني الذي تطوع للهجوم مع محمد بن حسن ومجموعة من المجاهدين من مختلف القبائل الأخرى.

كانت مزدة هي الهدف، لأن المجموعة تعرف المنطقة وأوديتها، وجبالها، كما تعرف تجمع القوات الإيطالية وأمكنتها وتقريباً عدد جنودها.

وصلت المجموعة قرب مزدة (جنوبها) في وادي الملاقي وخيمت هناك.

معركة أبو غرة: 12 يوليو 1928 ف

أرسل محمد بن حسن من مقر إقامته مجموعة من الفرسان للاستطلاع فوجدوا إبل الإيطاليين ترعى عند جبل (بوقرن) شرقي مزدة فاستاقتها وقتلت بعض جنود الحراسة.

ولهذا تنبه الإيطاليون لوجود المجاهدين، ولم يستطيعوا الخروج من ثكنة مزدة لملاحقتهم.

وعند مساء ليلة 11 ـ 12 يوليو هاجم المجاهدون معسكراً للإيطاليين في (خرمة بوغرة) التي تقع شمال مزدة واستمرت المعركة من الساعات الأولى للفجر من يوم 12 إلى الغروب وأبلى المجاهدون البلاء الحسن. ويقول بيلاردنييلي: «وقعت معركة طاحنة تواصلت في اشتباكات دامية حتى ساعات الغروب».

وتدخلت الطائرات والنجدات التي وصلت إلى الموقع ولكن المجاهدين استبسلوا في الدفاع عن الوطن وأعطوا للأجيال القادمة مثلاً كيف تكون التضحية.

بقي محمد بن حسن في المؤخرة، وكان الشيخ محمد المهدي السني هو الذي قاد المجاهدين في الهجوم.

استمرت المعركة طوال اليوم وكانت النجدات تأتي للإيطاليين في سيارات، وكان المجاهدون لا يملكون من الذخيرة إلا 9 طلقات لكل مجاهد، ولكنهم سرعان ما انقضوا على استحكامات العدو وغنموا الذخيرة.

ويقول المجاهد عمر سالم الفرجاني بن ضيف الله من قبيلة أولاد بريك «إن الذي استطلع لنا الموقع هو محمد عقاب المشاي وكان من مجموعة (مسعود الحليقية) المستسلم مع الطليان. وقد كلفه المجاهد محمد بن حسن بالاستطلاع لأن الإيطاليين لا يشكون فيه، فذهب إلى مزدة وأخذ إذناً بالذهاب إلى غريان لبيع جلب من الغنم فسمح له، وذهب يسوق الغنم حتى وصل إلى معسكر الطليان في (أبي غرة) وأخرج لهم الإذن. وبقي في المعسكر يبيع الغنم للعسكر حتى باعها جميعها ورجع إلى المجاهدين يخبرهم بأخبار المعسكر وتقسيماته»[1].

وعند الليل انسحاب المجاهدون يحملون معهم 50 جريحاً وسقط منهم 21 شهيداً،

(1) موسوعة روايات الجهاد، جمع المبروك الساعدي، ص 103.

ولاحقتهم الطائرات في اليوم الثاني ولكنها أسقطت حمولتها في الشقيقة على مجموعة مسعود الشويشين المتعاونة مع الطليان. كما قصفت المجاهدين وقتلت لهم مجموعة من الإبل فقط.

الاستعداد للزحف على القبلة

المتتبع لسير العمليات العسكرية التي قام بها (قراتسياني) في زحفه من جديد على فزان والتي شرحها في كتابيه (نحو فزان) و (إعادة احتلال فزان) يجد الحذر والخوف الذي يسيطر على الإيطاليين في تقدمهم هذا. (فقراتسياني) لم يتقدم لاحتلال أي موقع إلا بعد أن يرسل المجندين الليبيين لاحتلاله قبله وتطهيره، وبعدها يتقدّم بقواته من الإيطاليين ليلتقط الصور ويعدم الأسرى ويعين الموظفين، ويقطف ثمار النصر ليبرق به إلى رؤسائه في طرابلس وروما، وقد اعتمد في تقدمه من مزدة إلى فزان على كل من:

1 ـ خليفة الزاوي الذي يدفعه الحقد ضد مجموعة سيف النصر في فزان الذي أخرجه من مرزق وحاربه وكذلك عبد النبي بالخير.

2 ـ خليفة خالد وهو ضابط نظامي مع الإيطاليين.

3 ـ عاكف مسيك: وهو ضابط تركي سابق، وضع نفسه تحت أُمرة الإيطاليين وأصبح قائد باندة منذ وصولهم إلى غريان.

4 ـ حميدة فرحات الرياحي، وهو شيخ قبيلة رياح يدفعه الحقد ضد أسرة سيف النصر التي أخرجته من سوكنة مطروداً هو وقبيلته التي استقرت بسهل الجفارة منذ عام 1915.

5 ـ يوسف خربيشة: رئيس الباندات المطيع وعميد رؤساء الباندات لأنه وضع نفسه تحت تصرف الإيطاليين قبل الجميع منذ عام 1913.

وكان الإيطاليون يبثون روح التفرقة والحزازات القبلية ويغذونها لتحقيق مآربهم واحتلال الوطن.

6 ـ مجموعات من القبائل التي وصلت إلى مزدة مطرودة من (القبلة) أمثال المقارحة، والحساونة، والحطمان بعد مضايقة مجموعات سيف النصر لهم ومصادرة أملاكهم.

احتلال القريات: 15 يوليو 1928 ف

دفع قراتسياني بالمجندين الليبيين برئاسة خليفة الزاوي وحميدة فرحات وعاكف مسيك لمطاردة محمد بن حسن وتتبعوا أثره نحو القريات، حيث تخيم العائلات بالقرب

من القريات، وكذلك مجموعة من مخيمات الجعافرة. كما تقدم خليفة خالد من تارسين يقود مجموعة من الجند تساعده الطائرات التي تضرب المجاهدين وتعطي أخبار تحركهم. وقد انسحب المجاهدون من القريات باتجاه الطابونية بعد معركة حامية في وادي (خطاب) وأسر المجاهدون (أبا قرين الجعفري) المتعاون مع الإيطاليين واستمرت الطائرات في هجومها على المجاهدين[1]. وقد أصاب المجاهدون طائرة من هذه الطائرات سقطت في بئر جعفر وتم إنقاذ طاقمها من قبل بقية الطائرات، ومن قبل المجندين الإيطاليين الذين سارعوا إلى مكان سقوط الطائرة وحموا الطاقم. ويقول قراتسياني إن قائد الطائرة هو النقيب (مادزيتي) وهي من طراز (73).

هذا ما حدث في الجهة الغربية من القبلة، أما ما حدث في الجهة الشرقية فإن خلافاً وقع بين صالح الأطيوش والسنوسيين وسببه كما يرويه المجاهد محمد مفتاح عثمان التريه الملقب بالحول من منطقة القوارشة بنغازي:

«إن شخصاً ذهب للرضا السنوسي في الكفرة وأخبره أن فضيل المهشهش يقيم مع صالح الأطيوش، واستطاع أن يؤثر في تصرفاته بمنع الأعشار عن السنوسيين فأرسل السنوسيون إلى قجه بن عبد الله يطلبون منه إحضار الفضيل المهشهش، فتوجه فضيل هارباً إلى صالح الأطيوش واحتمى به فمنعه صالح وطلب من قجه أن يذهب صالح مع فضيل إلى السنوسيين ويتفاهما معهم[2].

وبدأت الأخبار تصل إلى المغاربة بأنّ السنوسيين غاضبون منهم، فاجتمعوا عند صالح الأطيوش وطلبوا منه الذهاب إلى السنوسيين لإرضائهم.

طلب صالح من الفضيل أن يرافقه إلى السنوسيين، فقال الفضيل إنهم سيقتلونني. أجاب صالح مقسماً إنهم لن يصلوا إليك إلا إذا قتلوني معك.. قال الفضيل: إذن ليذهب معنا كل مشايخ المغاربة.

توجهوا جميعاً إلى الكفرة حيث يقيم السيد الرضا ووصلوا إلى هناك ولم يستقبلهم أحد وكان معهم حوالى 300 رجل، بينهم (30) شيخاً.

جاءهم أحد الأصدقاء وأخبرهم أن السنوسيين يجمعون لهم في (محلة) من جخرة فقاموا وارتحلوا غاضبين، فجاءهم شخص يدعى (الحصينّ) وطلب منهم عدم السفر حتى يراهم الرضا، وذهب إلى الرضا وأخبره فأرسل رسالة لصالح الأطيوش يطلب منه الإقامة ومقابلته.

---

(1) انظر قراتسياني: إعادة احتلال فزان، ص 121.

(2) انظر رواية ضو علي بو حقيرة، موسوعة روايات الجهاد، جمع علي البوصيري.

ذهب صالح والفضيل وقابلا الرضا وقال لهما:

ـ لقد رضيت عنكم! ولكن بعد مدة قصيرة سأرسل لكم (الصدِّيق) ليجمع المحلات (الأدوار) ويصلح في ما بينكم وبين قجه بن عبد الله.

ارتحلت المجموعة وجاءها الصديق وجمع (الأدوار) وأقام دوريات إلى أن اطمأنت المجموعة. أرسل لفضيل المهشهش ونقله إلى جالو ثم أخذ صالح الأطيوش وأرسله هو الآخر دون علم الجميع وأركبوهما جملين وأرسلوهما إلى السجن.

بدأت مجموعة صالح تبحث عنه ولم تجده، وأرسلت إلى خيامه فلم تجده. وأخيراً قدم إليهم قادم من جالو قال لهم: لقد التقيت بصالح والفضيل (شايلينهم على زوايل وحاطينهم على حوايا عكارى متاعات ليف وراهم شايلينهم لجالو محابيس).

وبعد وصولهما أجروا لهما محكمة وحكمت عليهما بالإعدام وقرروا إعدامهما يوم الجمعة.

فجاء أحد أصدقاء صالح له في السجن وقال له إنني على استعداد لمساعدتك، فطلب صالح منه إرسال (رقاص) إلى المغاربة يحمل رسالة منه.

وصل البريد إلى المغاربة الذين قرأوا الرسالة وتجمّع (300) مسلح وركبوا على 150 جملاً كل اثنين على جمل، وساروا باتجاه جالو ليدركوا صالح قبل إعدامه يوم الجمعة.

وصلوا قبل الموعد، وكان صالح يجلس في المساء على باب السجن وبيده (منشّة) فشاهد اثنين من جماعته يحومان بجانب السجن، فقال للحارس: أرجوك أن تأتي لي بهذين الرجلين وأظنهما من فزان لأسألهما عن الأسعار في فزان.

أحضرهما الحارس، ولم يسلم عليهما صالح بحرارة وكأنه لا يعرفهما وسألهما:

ـ منين جايين؟

قالوا: من الفزازين.

قال:

ـ معاكم قوافل؟ والا برواحكم؟

قالوا:

ـ معانا قوافل.

قال:

ـ شن الغالي وشن الرخيص؟

قالوا:

ـ والله الغالي محمد، والرخيص إبليس، جايين لازمنا ما هو كذا وكذا وناخذوا شوية مير ونريد نعدوا.

قال لهما:

ـ باهي فيها خيرة. وحرك نشاشته إلى الأرض وقال لهم: راني هنا.

رجع الرجلان إلى مجموعتهما وأوضحا لهم مكان صالح، وعند الليل هاجموا السجن وقيدوا الحراس وأخرجوا صالحاً من السجن، فقال لهم مشيراً إلى فضيل المهشهش (على الطلاق من عيني العورة ما مشيت إلا بيه انحبست على شانه ويريد يعدموني عليّ شانه ما مشيت إلا بيه).

وكان الفضيل في سجن آخر، فتحركت المجموعة نحوه وأخرجوه وساروا بهما نحو منتجعهم وقاموا ليلة وصولهم بترحيل منتجع صالح من مكانه نحو دور المغاربة وكذلك حيواناته، إذ عندما استنجد الرضا بدور (قجه) وتحرك نحوهم لم يجد أحداً.

وبدأ الصدِّيق ولد الرضا يراسل المغاربة ويعطيهم الأمان ويتأسف على ما حصل، ولكن الجماعة لم يثقوا به وبكلامه وأرسل إليهم عبد الحميد العبار وسيطاً حيث اقترح ـ بعد رفض صالح القدوم إلى الصديق ـ أن يرحل المغاربة باتجاه سرت ويبتعدوا عن قرب دور الصديق حقناً لدماء المسلمين.

ارتحل المغاربة وسمع قجه ومن معه من دور الصديق بالخبر فرابطوا أمامهم على المعاطن ليمنعوهم الماء واستولوا على الإبل والغنم التي وردت أولاً. ففزع المغاربة نحو المعاطن واصطف كل فريق مقابل الآخر للحرب. فجاء شيخ يسمى (عبد الله الأشهب) واستطاع أن يفصل بين الفريقين ويرجع للمغاربة حيواناتهم وأن يفسحوا لهم عن الآبار حيث سقوا حيواناتهم وحملوا ماءهم وارتحلوا ناحية الغرب. وبذلك أصبح دور المغاربة لا علاقة له بدور السنوسيين وقجه، وبدأت معاركه منفصلة إلى أن وصل إلى جالو وارتحل السنوسيون قبل قدومه وسلم بعضهم للطليان[1].

احتلال النوفلية: 9 يناير 1928 ف

تلقى المجاهدون خبر تقدم القوات الإيطالية الزاحفة من الشرق قبل ذلك بيوم فقوضوا خيامهم وانتقلوا جنوباً باتجاه (جيفة) وكان الإيطاليون قد زحفوا لاحتلال (أبي نجيم) يوم 4 يناير 1928 واستولوا عليه في محاولة منهم لتطويق المجاهدين والقضاء عليهم. وكانت الطائرات تتبع (مراحيل) العائلات وتلقي القنابل عليهم والمناشير التي

(1) انظر موسوعة روايات الجهاد، رواية محمد مفتاح عثمان الترية، جمع رباب أدهم.

تطلب إليهم الاستسلام. ويقول قراتسياني بخصوص زعيم المجاهدين صالح الأطيوش الذي علم بتحركات القوات الإيطالية التي تنوي تطويقه والاشتباك معه في معركة فاصلة تهاجمه فيها القوات الزاحفة من برقة من الخلف يقول:

«ومن صباح اليوم السابع حتى مسائه كان هذا الزعيم على علم بتحركاتنا وكانت كل مفاجأة من جانبنا لا جدوى منها وكل ما كان باقياً لنا هو الأمل في أن يكون «صالح الأطيوش» على جهل بحركة العمليات التي تقوم بها قوات برقة المتعاونة معنا فيقبل الاشتباك في المعركة ويتجه بكل قواته نحونا»[1].

ويقول أيضاً:

«نستنتج أن قرار زعيم الثوار بإصداره أمره بانسحاب رجاله في الوقت المناسب كان قراراً حكيماً»[2].

وهاجمت الطائرات مخيمات المواطنين الراحلين إلى الشمال وألقت عليهم أطناناً من القنابل. واستطاع الإيطاليون أن يلحقوا بالرعاة ويستولوا على الأغنام التي لم تستطع السير بسرعة للابتعاد ويتبجح قراتسياني بأنهم استولوا على (20,000) رأس من الأغنام.

احتلال مردومة: 10 يناير 1928 ف

قامت القوات الإيطالية المتقدمة من برقة بقيادة (ماليتي) في محاولة لملاحقة زحف المجاهدين المنسحبين جنوباً نحو مردومة، واستطاعت هذه القوات أن تصطدم بمؤخرة مراحيل المجاهدين عدة مرات دون أن تؤثر فيهم، ووصلت إلى مردومة مساء يوم 10 يناير دون أن تجد أحداً فيها، وانطلقت السيارات المصفحة تتبع تقدم المجاهدين الذين يرتحلون بعائلاتهم على ظهور الإبل باتجاه (جيفة).

قسم الإيطاليون المهام على قواتهم بحيث تكون من مهمتها تطهير المناطق الواقعة ما بين بونجيم والنوفلية بالرغم من أن المجاهدين أخلوها منذ مدة. وكان هاجس الإيطاليين هو البحث عن السلاح الذي تم سحبه من المنطقة بحرص شديد واهتمام بالغ حتى إن الأسر التي استسلمت في المنطقة تقع تحت طائل التفتيش عدة مرات والذي يُضبط عنده سلاح يعدم فوراً.

ويقول قراتسياني إنه أرسل خطابات لصالح الأطيوش يطلب إليه التسليم. وقد رد صالح على هذه الخطابات بأن أرسل رسولاً منه يحمل الرد وهو ابن أخيه عبد القادر

---

(1) قراتسياني، نحو فزان، ص 209.

(2) قراتسياني، نحو فزان، ص 209.

الأطيوش الذي قبض عليه الإيطاليون أسيراً في سرت، وهو خروج على الأعراف في معاملة الرسول.

وباحتلال الإيطاليين (لوادي خرج) تم استسلام قسم من المغاربة (قبيلة شماخ) وتجريدها من السلاح.

وهكذا انزاح المغاربة جنوباً إلى أن وصلوا إلى منطقة تاقرفت حيث تقيم مجموعات من قبائل ورفللة وأولاد سليمان والقذاذفة وغيرهم من الأسر من قبائل أخرى مختلفة.

احتلال الجفرة (سوكنة ـ هون ـ ودان):
13 ـ 14 فبراير 1928 ف

تقدمت القوات الإيطالية نحو الجنوب باندفاع قوي تسهله الآليات والطائرات وآلاف الإبل التي تحمل الزاد (3524) جملاً حسب رواية قراتسياني.

وحدثني المجاهد عبد الرحمن بن محمد الذي كان مع عبد الجليل سيف النصر ومع أحمد سيف النصر، قال:

«أرسلنا مجموعة من المجاهدين للاستطلاع وكنت معهم. وفي الليل عندما وصلنا إلى كثبان الرمال جنوب (بونجيم) رأينا إشارات منورة تنطلق عن يميننا وعن شمالنا فعرفنا أن قوات إيطالية تزحف نحو الجفرة عن اليمين وعن الشمال فرجعنا في الحال حيث أخبرنا عبد الجليل بذلك فأمرنا بالعودة لمتابعة الاستطلاع ومراقبة العدو من بعيد. وفعلاً رجعنا وبدأنا متابعة سير القوات من بعيد إلى أن اقتربت من الجفرة فرجعنا إلى الجفرة فوجدنا قوات أخرى استولت على هون ووجدنا الناس يخرجون بغير انتظام وفي كل اتجاه فواصلنا سيرنا باتجاه زله»[1].

وأطلق قراتسياني أيدي الحاقدين على المجاهدين والذين لهم معهم سوابق عدائية، فعاثوا في البلاد الفساد من قتل ونهب وسلب. وكان خليفة الزاوي على رأس (باندته) يدفعه الثأر للانتقام، وكذلك فرحات حميدة الرياحي على رأس مجنديه الذين أسماهم قراتسياني (جماعة الجفرة غير النظامية) فلقد اندفعوا يتتبّعون فلول المجاهدين المنسحبين شرقاً ويخرقون الأسر والمراحيل ويعيثون الفساد في أهلهم وذويهم. ويقول قراتسياني في كتابه «نحو فزان» معتمداً على هذا العداء:

«وهكذا بدأ خليفة زاويه انتقامه من منافسه في حكم فزان، وسوف يستمر في

---

(1) في مقابلة لي مع عبد الرحمن في منزله بأوباري، 1981.

القتال إلى جانبنا دون انقطاع بشرف وإخلاص». ونسي قراتسياني أن الشرف والخيانة لا يلتقيان.

احتلال زله: 22 فبراير 1928 ف

وصلت مجموعات المجاهدين وأسرهم وحيواناتهم المنهكة إلى زله بعد خروجها من الجفرة في سير مضنٍ، وعند وصولهم إلى الواحة نزلت الأسر حول الواحة. وكذلك المجاهدون الذين بقوا وراء المراحيل وصلوا أيضاً ولم يتمكن استطلاع المجاهدين من تنبيه المواطنين إلا قبل وصول الإيطاليين بساعات.

انطلقت العائلات في ترحيل أثاثها وإبلها واتجهت صوب الهروج، واصطدم المجاهدون بمقدمة القوات الغازية ووقعت معركة ضارية أبلت فيها المجموعة الصغيرة من المجاهدين البلاء الحسن وأعطت الفرصة للعائلات بالابتعاد عن مواقع النيران، وسقط مجموعة من الشهداء، كما وقع بعض الأفراد في الأسر (2) رجلين[1]. وخرج عبد الجليل سيف النصر من القرية بمن معه باتجاه الهروج. وقد استولى الإيطاليون على مجموعة من الجمال المحملة بالخيام وبالأثاث ولم يستطيعوا دخول القرية إلا عند منتصف الليل وبعد انسحاب المجاهدين جميعاً.

معركة تاقرفت: 25 فبراير 1928 ف

تقدمت القوات الإيطالية من زله باتجاه (تاقرفت) كما تقدمت قوات أخرى من النوفلية باتجاه الموقع من الشمال وكان غرض الإيطاليين هو محاصرة القوات المجاهدة وخنقها في كماشة والقضاء عليها بالأسلحة المتطورة والمصفحات والطائرات.

وكان المجاهدون يستقرون بعائلاتهم كما ذكرت سابقاً حول آبار (تاقرفت).

وكان الموقع يتكوّن من منخفض من الأرض في الصحراء تكسوه أشجار الأثل والطرفاء وبه عدة آبار للمياه، بالرغم من أنها غير مستساغة للشرب إلا أنها هي الوحيدة في المنطقة التي يمكن أن يشربها الناس. ويصف قراتسياني الموقع فيقول:

«ولكن سرعان ما واجه الزاحفون مرتفعاً هائلاً من الأرض على شكل نصف دائرة يشرف على منخفض حوالى 200 متر يقع فيه مرج تاقرفت (حطية تاقرفت) وهو عبارة عن غابة موحشة وعرة تحيط بها من جميع الجهات أبراج متهدمة وكانت تبدو من بعيد

---

(1) قراتسياني، نحو فزان، ص 321.

(2) قراتسياني، نحو فزان، ص 330.

كأنها محاطة بسياج آخر يشرف على الآبار وفي نهايتها كثبان رملية تنتشر فوقها أعشاب وخمائل من جميع الجهات ويبلغ اتساع هذا المرج نحو 8 ك.م تقريباً»[1].

ولقد شاهدت هذه الحطية عندما زرتها عام 1980 أثناء إحياء ذكرى معركة تاقرفت، وكان الموقع كما وصفه قراتسياني.

كان هذا المنخفض مقراً لأسر المجاهدين من مختلف القبائل، وفي الليلة التي سبقت المعركة، شاهد المجاهدون نيران معسكر الطليان الذين عسكروا على المرتفع المقابل للمنخفض في الجهة الجنوبية، ولم يقم المجاهدون بأية حركة للهجوم على الإيطاليين ليلاً، بالرغم من أن الطليان قبضوا على اثنين من الرعاة وعذبوهما ولا بد أنهم حصلوا منهما على معلومات عن تواجد المجاهدين ومخيماتهم. عند الفجر قسم المجاهدون أنفسهم وتقدموا إلى حافة المنخفض حيث استتروا بأشجار الأثل وأكوام الرمال التي تكاثرت في المنخفض وحافاته.

وما إن تقدم الإيطاليون باتجاه الآبار حتى أصلاهم المجاهدون بنيران حامية كثيفة وثابتة ومن مكان قريب، الأمر الذي أوقع عدة إصابات في جنود العدو وفوجئوا بالهجوم فارتدوا على أعقابهم.

أعادوا الكرة ولم يفلحوا وسقط منهم مئات القتلى واستبسل المجاهدون في مواقعهم وأصبح النصر الساحق إلى جانبهم، حتى إن قراتسياني طلب طائرة ليقلع فيها من المنطقة (حسب رواية من كان معه حينذاك من المجندين).

الخيانة وحدها دائماً تقصم الظهر فلقد اقترح أحد الليبيين الخونة المتواجدين مع قراتسياني أن تساق الإبل في المقدمة بحيث يصيب رصاص المجاهدين الإبل ويسير الجنود خلفها.

بهذه الطريقة وعند منتصف النهار استطاع الإيطاليون الهبوط إلى المنخفض، بالرغم من خسائرهم الفادحة استطاعوا الوصول إلى الآبار.

تراجع المجاهدون إلى المخيمات للترحيل والدفاع. ونشبت معركة دامية سقط فيها عشرات من المجاهدين وهم يدافعون عن حريمهم، وسقط على رأس هؤلاء شيخ قبيلة الطبول الشيخ الساعدي رحمه الله.

وتقول الروايات إن تلك المعركة سقط فيها من المجاهدين حوالى الستين شهيداً. وقد ورد في كتاب معركة (تاقرفت) أن عدد الشهداء (55) شهيداً[2] عليهم رحمة الله.

---

(1) قراتسياني، نحو فزان، ص 340.

(2) تأليف عمرو سعيد بفني، والبوصيري وأبو شارب، إصدارات مركز جهاد الليبيين.

واستطاع الناجون من هذه المعركة الرحيل باتجاه (ثمد بوحشيشة) نحو الشرق. واستطاعت القوات الإيطالية المنهكة والتي خسرت الكثير في هذه المعركة أن تحتل الآبار وتسيطر عليها.

وقد وصف قراتسياني في هذه المعركة بأنها من أعنف المعارك التي خاضها في حربه الاستعمارية ليبيا. وبالرغم من المدافع التي استعملها الإيطاليون وكثرة عددهم فإن قراتسياني يقول عن المجاهدين:

«أما العدو الذي كان كثير العدد فسرعان ما عرفت عدد رجاله من الأسرى الذين أكدوا لنا أن قواته تبلغ حوالى (1500) بندقية وكان رجاله يخرجون من أسراب تظهر وتختفي بين الكثبان الرملية والخمائل والأحراج وتحاول تطويق جناحي الكتيبة الأرترية الخامسة والعشرين والعناصر الأخرى المتقدمة التي كانت قد انضمت إليها. .».

ويقول:

«كذلك أيضاً أن العدو يزداد عدداً ويهاجم بكل عنف. ومع هذا فإنه مهما بدت لي شدة هذا الموقف العصيب فإني كنت أعتبره موقفاً عادياً».

ويقول:

«وكذلك لم يسلم البرج الكبير الأول الذي تقع القيادة على انحداره من طلقات نارية عنيفة من رماة قريبين منه ولكن لا يستطيع أحد رؤيتهم. وعلى مسافة أبعد من هذه المسافة قامت أسراب من العدو بهجمات في غاية العنف».

ويقول عن إشارات الإغاثة التي كانت تصله من جنوده وضباطه أثناء المعركة (تلزمنا إمدادات)[1]. ويقول إن قائد الفيلق المشتبك يستنجد بقوله:

«تلزمنا إمدادات على وجه السرعة إنني أشتبك في قتال عنيف»[2].

إن معركة (تاقرفت) ستبقى نبراساً مضيئاً في سجل الجهاد الليبي تروي للأجيال قصة حفنة من الرجال الذين ينقصهم الطعام واللباس والمأوى والدواء والسلاح والذخيرة ولكنهم لقنوا إيطاليا التي كانت من الدول العظمى وقتذاك بدباباتها ومصفحاتها ورشاشاتها ومدافعها وطائراتها درساً في التضحية والجهاد وكيف يكون الدفاع عن الوطن.

---

(1) قراتسياني، نحو فزان، ص 345.

(2) انظر كتاب: قراتسياني، نحو فزان، ص 339ـ 340ـ 341ـ 342 إلى 352، حيث يذكر أحداث هذه المعركة المجيدة.

ووصل الإيطاليون ببقية قواتهم إلى حافة (الحطية) في الجهة الشمالية حيث باتوا ليلتهم هناك وهم يحملون جرحاهم على أكتاف المجندين الليبيين الذين استمروا يحملونهم إلى أن أوصلوهم إلى (النوفلية). وقد أخبرني الحاج رحومة بدروش الشبلي الذي كان ضمن المجندين الليبيين والذي حضر المعركة قال:

«أمرنا الإيطاليون أن نحمل الجرحى على أكتافنا، كل اثنين يحملان جريحاً ومن يتخلف منا أو يتعب يلهبون ظهره بالسياط. وكنا نقوم بكل ما يحتاجه الجريح حتى تنظيف أوساخه ونحن بدون تجربة إلى أن وصلنا النوفلية»[1].

وقد وصل الإيطاليون النوفلية بعد مسير ستة أيام حيث التقى قراتسياني وماريوتي الذي تحرك هو الآخر باتجاه (جيفة) ليطارد مجاهدي المغاربة الذين يتجمعون هناك بحيواناتهم، ولكنه لم يستطع التصادم بهم لأنهم انسحبوا جنوباً مبتعدين بحيواناتهم وخيامهم كلما اقترب العدو من أماكنهم.

معركة الفطيمية: 7 يناير 1928 ف

تحركت مجموعة من المجاهدين قوامها سبعون رجلاً بقيادة عبد الحفيظ النقار من أولاد أبي سيف، ومحمد بن عامر من المقارحة تبحث عن الإيطاليين. وأثناء استطلاعها للطرق اكتشفوا وجود الإيطاليين يستريحون بالقرب من بئر الفطيمية متوجهين إلى الجفرة.

قامت المجموعة بالهجوم على الإيطاليين، وقد كانت القوة الإيطالية كبيرة بحيث لم يستطع المجاهدون التأثير فيها ففكوا الاشتباك بعد أن غنموا أحد عشر جملاً وحصان وبغل وبعض الأسلحة والذخيرة[2].

وتقول المصادر الإيطالية إن هذا الصدام تم يوم 7 يناير 1928.

احتلال أوجله وجالو: 24 فبراير و25 ـ 1928 ف

تقدمت قوات برقة لاحتلال الواحات وذلك لمحاصرة المجاهدين الذين تضغط عليهم القوات الإيطالية في الجفرة وزله وصحراء سرت.

ووصلت هذه القوات إلى أوجله وجالو في فبراير 1928 كما احتلت مراده في يوم

(1) في لقاء تم مع رحومة بدروش بخيمتنا في سهل الجفارة عام 1966.

(2) رواية عبد النبي أحمد عبد النبي من أولاد بوسيف، موسوعة روايات الجهاد، جمع المبروك الساعدي، ص 137.

18 مارس 1928، ولم تجد مقاومة تذكر في هذه الواحات لأن أغلب المجاهدين يتمركزون في الهروج وصحراء سرت وينشبون في المعارك التي دارت حول الجفرة وفي تاقرفت وجيفة.

وفي أواخر عام 1928 تحركت القوات الإيطالية من كل من الواحات مراده وزله، وكذلك من النوفلية ومن وادي العقيلة لتطهير المناطق المحصورة بين الواحات والجفرة والنوفلية وسرت من المجاهدين ولم تصادف هذه القوات مجموعات من المجاهدين ولكنها كانت تسلب المواطنين العزل أينما وجدتهم وتقتل الرجال وتسبي النساء في عملية نهب وسطو تقوم بها دولة.

معركة رواوص: 9 أغسطس 1928 ف

رواوص هو وادٍ يقع بين بونجيم وبئر الرشيدية وهو مرعى جيد للإبل والأغنام يستغله المواطنون للمرعى في سنوات الخصب في فصل الربيع.

ولما استقر الإيطاليون في أبي نجيم والجفرة وزله كانوا يرسلون بدورياتهم لنقل الأخبار وللتردد بين المواقع المحتلة لنقل المعلومات عن سير المجاهدين وتنقلاتهم.

وفي يوم 9 أغسطس عندما كانت فرقة إيطالية من السبابيس تقوم باستطلاع المنطقة نصب لها المجاهدون كميناً تم سحقها فيها. ويقول قراتسياني: إن هذه المجموعة تتكوّن من 16 فارساً مهمتهم الاستطلاع، وكان رئيس المجاهدين حسن الدرويش البوسيفي.

وهذه المعركة جعلت الإيطاليين يأخذون حذرهم واستعدادهم لأن المجاهدين في الأماكن القريبة من الجفرة. وقد غنم المجاهدون أربعة جمال وسبعة من الخيول وأسلحة.

معركة البغله: 2 سبتمبر 1928 ف

هاجمت مجموعة من المجاهدين المجموعة الإيطالية من فرسان السبابيس التي تحرس بئر (البغلة) وذلك طيلة 2 سبتمبر وأسقطت منها عدة قتلى وانسحبت المجموعة سالمة.

معركة جنوب بونجيم: 28 سبتمبر 1928 ف

تمركزت فصيلة من الرشاشات وبلوك من المسلحين بالبنادق في الطريق بين بونجيم وهون وذلك لحماية الطريق وسلامة مرور القوافل.

وفي فجر يوم 28 سبتمبر هاجم المجاهدون هذا الموقع وأوقعوا فيه الخسائر

الفادحة. ويقول قراتسياني: «وبعد نجاح مبدئي أحرزه العدو قامت قواتنا بمهاجمة مضادة في غاية الشدة على أحد جناحيه وأجبرته بعدئذٍ على التقهقر»[1].

معركة جنوب زله: 2 اكتوبر 1928 ف

اصطدم المجاهدون مع دورية إيطالية راكبة وأنزلوا بها عدة خسائر في الأرواح والإبل، وانسحب المجاهدون جنوباً والذي يقدرهم قراتسياني بـ (70) رجلاً. وقد عاودت الكرة هذه المجموعة بهجومها على واحة (مدوين) ليلة 6 اكتوبر واستطاعت أن تحمل ما يكفيها من التمر بالرغم من حراسة الإيطاليين للموقع. وقد قسم المجاهدون أنفسهم إلى قسم يطلق النار وقسم يجمع التمر، وتم لهم ذلك بمنتهى النجاح وانسحبوا دون خسائر.

معركة بئر قطيفة: 26 اكتوبر 1928 ف

أرسل الإيطاليون من الجفرة دورية للاستطلاع نحو بئر قطيفة وذلك عندما علموا بتحرك المجاهدين في المنطقة وبان محلة كبيرة يجمعها سيف النصر في المنطقة. وعند وصول الدورية إلى بئر قطيفة أطلق عليها المجاهدون النار وصدوها عن التقدم. ويقول قراتسياني إن المجموعة من قبيلة القذاذفة كانوا يسحبون الماء من البئر. وانسحب المجاهدون إلى الجبال السوداء إذ قرر الإيطاليون تتبعهم فكلفوا (الكولونيل أماتو) باللحاق بهم، إذ قام يوم 30 اكتوبر بتتبعهم باتجاه الموقع الذي انسحبوا إليه[2].

كان الإيطاليون يخشون سطوة المجاهدين، وبذلك قرروا تتبع مجموعة من الرجال يسحبون الماء من البئر لا بد أنهم لن يكونوا أكثر من عشرين أو ثلاثين رجلاً يحشد الإيطاليون لتتبعهم هذا العدد:

- الكتيبة الليبية السادسة 645 بندقية ـ 6 رشاشات.
- الفرقة الصحراوية الثانية 213 بندقية ـ 3 رشاشات.
- القسم الثالث من المدفعية الليبية التي تحملها الجمال 34 بندقية و2 مدفعان.
- جماعة ورفللة غير النظامية ـ 186 بندقية.

وتبلغ في مجموعها 1078 بندقية و9 متراليوزات وقطعتين من المدفعية.

تقدمت هذه القوات لمتابعة مجموعة (الواردة) القذاذفة الذين سبق أن أطلقوا النار

---

(1) قراتسياني، نحو فزان، ص 384 ـ 385.

(2) رواية ابراهيم محمد علي البوسيفي.

على فرقة الاستطلاع الإيطالية في بئر قطيفة. . وفي مساء يوم 30 أكتوبر وصلت الفرق الإيطالية إلى مرتفع بالقرب من بئر (عافية) حيث قررت المبيت.

معركة بئر عافية: 31 أكتوبر 1928 ف

كانت استطلاعات المجاهدين تترصد تحرك الإيطاليين وكانت أيضاً المجموعة التي أطلقت النار على الإيطاليين في بئر (قطيفة) هي فصيل من محلة المجاهدين وأخبروا المجاهدين بالواقعة التي وقعت بالأمس.

ولما نزلت القوات الإيطالية في (قارة عافية) بالقرب من البئر كان ذلك يوم ثلاثاء وعند الصباح يكون يوم أربعاء من آخر الشهر.

هذا اليوم يتشاءم البدو من عمل أي شيء فيه. وقد دار نقاش بين المجاهدين بين الهجوم على القوات الإيطالية وبين تأجيل الهجوم إلى اليوم التالي. كان رأي عبد الجليل بعدم الهجوم لأنه يوم (أربعاء) وفي آخر الشهر، وكان رأي (قظوار السهولي) الهجوم وأيام الله كلها واحدة.

وأخيراً اتفقوا على الهجوم.

تَمَّ الهجوم في سرية تامة حتى وصل المجاهدون إلى أعلى المرتفع الذي ينام فيه جنود الطليان، واستخدموا السلاح الأبيض في المعركة حتى لا يستيقظ كل جنود الطليان إذا ما استخدموا الطلقات النارية.

قبض (قظوار) على الضابط الإيطالي وأمسكه كتافاً وساقه أمامه وهو يستنجد بصراخه.

قدم مسرعاً عبد الله بن قطنش رئيس المجندين من ورفللة مع الطليان.

لما وصل بالقرب من قظوار صاح فيه هذا وهو يقول:

- يا عبد الله خلينا لك بني وليد كلها ولاحقنا إلى هناي؟

وهجم عليه بخنجره المسلول.

قبض عبد الله على الخنجر بيده مما مزق أصابع يده واستنجد بالجنود الذين هبوا لنجدته وطعنوا (قظوار) بالحراب فخر شهيداً عليه رحمة الله، وفر الضابط الإيطالي ويداه مقيّدتان.

استمرت المعركة إلى الصباح وبعد شروق الشمس تدخل الطيران في المعركة.

ويقول قراتسياني الذي وصف المعركة وصفاً مسهباً:

«ولما كان قائد الفيلق مقتنعاً بأنّه إذا ما استمر في موقفه الدفاعي البحت ـ نظراً لعنف العدو الهائل وتعصبه ـ فقد تكون نهايته الهزيمة، لذلك قرر القيام بهجوم مضاد».

ويقول في ختام المعركة:

«ولقد كانت خسائرنا في الضباط والجنود فادحة للغاية بالنسبة لعدد رجال القوات التي تم استخدامها في هذه العملية. . .»[1].

وبالرغم من قول قراتسياني أنهم صدوا الهجوم وأنهم انتصروا إلا أن المجاهدين بقوا في مواقعهم إلى أن دفنوا شهداءهم وتزودوا بالمياه محتلين البئر. وقد انسحب الإيطاليون عائدين إلى الجفرة ولم يبرح المجاهدون الموقع إلا بعد ثلاثة أيام، بالرغم من أن الإيطاليين استخدموا الطيران بكثافة ضد المجاهدين الذين انسحبوا صوب الجنوب وقسموا أنفسهم إلى مجموعات صغيرة خشية أضرار الطيران.

مذبحة هون

بعد معركة (قارة عافية) ونتيجة لخيانة أحد مواطني هون المدعو (. . .) والذي قدم تقريراً إلى الإدارة الإيطالية في المنطقة يخبرهم فيها بأن أهالي هون عن طريق قياداتهم على اتفاق مع المجاهدين في أنهم سينقلبون على القوات الإيطالية عندما ينتصر المجاهدون في قارة عافية.

قدم هذا الخائن أسماء مشايخ وقيادات هون وما كان من الإيطاليين إلا أن قبضوا على المجموعة (20) شخصاً وشنقوهم في سوق هون أمام مرأى جميع أهالي هون الذين دعوا إلى حضور هذا المشهد المؤلم[2].

ثم استاقوا جميع أهالي هون منفيين بمصراتة والخمس وتحت الإقامة الجبرية، وبقيت مدينتهم خاوية على عروشها ولمدة ثمانية عشر شهراً.

ويقول قراتسياني عن هذه الحادثة في كتابه نحو فزان:

«وبعد أيام قليلة من هذه المعركة اكتشفت في هون مؤامرة تم تدبيرها للإضرار بنا بالتفاهم منذ الصيف الماضي مع زعماء الثوار. وكانت هذه المؤامرة ترمي إلى إثارة أهالي هون للانضمام إليهم بعد نجاح المهاجين والعمل ضد قواتنا.

---

(1) قراتسياني، نحو فزان، ص 293.

(2) انظر الملحق حيث يذكر أسماء الشهداء.

وسرعان ما تم تنفيذ أحكام بالإعدام في كبار المسؤولين كما تم نقل جميع الأهالي إلى الساحل الشرقي»[1].

وقد التقيت ببعض الشيوخ في هون وسألتهم عن صحة هذا النبأ، أجابوا إن الموضوع لم يتم وليس هناك أي اتفاق مع قيادات المجاهدين الذين خرجوا من هون ولم يعودوا إليها وأن الطليان كانوا يشددون الحراسة على المنطقة فلم يستطع أي من المجاهدين التسلل إلى داخل هون، ولكن هذا المواطن السيىء ارتكب هذه العملة الشنيعة في حق مواطنيه لأسباب أخرى لا علاقة لها بالجهاد.

ويعود قراتسياني للحديث عن مذبحة هون هذه في كتابه (إعادة احتلال فزان) ويربطها بنتائج معركة قارة عافية حيث يسرد في كتابه أن هناك تنسيقاً بين محمد بن حسن المشاي في الحمادة الحمراء وعبد الجليل سيف النصر وأهالي هون الذين سيهاجمون مؤخرة القوات الإيطالية في حالة نشوب المعركة ويقول:

«وعقب ذلك اكتشفت في هون المؤامرة التي قام بها الأهالي الذين كلفتهم خيانتهم ثمناً غالياً، فقد وقعت عقوبة الإعدام على عشرين من الأعيان الأكثر تورطاً وعوقب جميع أهالي الواحة بالإبعاد إلى مصراتة»[2].

وكان انسحاب المجاهدين إلى واو صعباً وشاقاً وذلك لندرة المياه في المنطقة التي تفصل بين الجفرة وواو وقد اضطر المجاهدون إلى نحر جزء من إبلهم وشربوا ما في بطونها من مياه في رحلة الوصول إلى واو هذه.

1929 ف

كانت الأوضاع في بداية هذه السنة في منطقة القبلة على النحو التالي:

● المجاهدون النازحون من غرب ليبيا يستقرون في منطقة الشاطىء ومجموعاتهم تجوب منطقة الصحراء الشمالية لفزان وتتماشى في كثير من المناطق مع الخطوط التي استولى عليها الإيطاليون في القريات وغدامس والجفرة.

● محمد بن حسن المشاي ومجموعاته ما زالوا بعد معركة (أبي غرة) الشهيرة يجوبون منطقة الحمادة الحمراء بين الطابونية، والخور، والملاليج يتحينون فرصة للانقضاض على العدو. كما أن العدو بدافع الحقد على شخص محمد بن حسن بسبب ارتداده عن الطليان يترصده ويلاحظ تحركاته بالطيران الذي استخدم بكثافة في منطقة الحمادة

(1) قراتسياني، نحو فزان، ص 393 ـ 394.
(2) قراتسياني، إعادة احتلال فزان، ص 125.

الحمراء وضد مخيمات المجاهدين.

● مجموعات المغاربة بزعامة صالح الأطيوش استقروا في الهروج وفي (قرارة امحمد) جنوب الهروج.

● مجموعات أولاد سليمان وورفللة وقذاذفة نزحوا من الجفرة واستقروا في (واو). أما المجاهدون فإنهم يجوبون المنطقة من الهروج إلى الجفرة.

● أما أحمد سيف النصر فلا يزال يتواجد بمجموعاته في شمال الصحراء في خطوط التماس مع الإيطاليين بين الشويرف وأبو نجيم يزعج الإيطاليين ويحاول قطع امداداتهم في المنطقة. وكان قياديّو المجاهدين يحاولون الاتفاق على إيجاد صيغة للتعاون فيما بينهم وتوحيد مجهوداتهم.

وفي بداية هذا العام في أواخر يناير 1929 عقد اجتماع بين مجاهدي منطقة الغرب أولاد بوسيف، والمشاشية، والزنتان، والرجبان، والحساونة، والمقارحة، وقد توصل المجتمعون إلى الاتفاق على توحيد القيادة وكلفوا أحمد سيف النصر بأن يكون رئيساً على الجميع يتبع الرضا السنوسي والذي هو وكيل الأمير محمد ادريس الذي هاجر إلى مصر ولم يعد.

وقد وقع الجميع على وثيقة تتكوّن من إحدى عشرة مادة تنص على تشكيل شبه حكومة وإداراتها، وأن يساعد الرئيس مجلس من ثمانية أعضاء.

وقد وقع الحاضرون على الاتفاق وكان أشهر الموقعين محمد بن حسن المشاي، محمد فكيني، أحمد الصيد، محمد بن عامر، عمر بن سلمى، علي بن تربح، محمد بن أحمد ودان، عبد الحفيظ النفار[1].

ويقول بيلاردنييللي إن سالم بن عبد النبي وعبد النبي بالخير اتفقا على مقاومة هذا الاتفاق ومنع أسرة سيف النصر من جمع الأعشار.

وقد وقع أحمد سيف النصر على الوثيقة باعتباره رئيساً مكلفاً من الجميع، وكان توقيعه (نائب الأمير، الرئيس أحمد بن سيف النصر). وتشكلت بعد هذا الاجتماع ـ الذي يتضح تاريخه من الوثيقة أنه يوم 20 من شعبان 1347 الموافق 1 فبراير 1929 افرنجي ـ محلتان لمهاجمة الإيطاليين، إحداهما بقيادة أحمد سيف النصر والأخرى ضمت كلاً من محمد فكيني، ومحمد بن حسن المشاي، وسالم بن عبد النبي الزنتاني وتوجهتا صوب المناطق المحتلة من قبل العدو[1].

---

(1) انظر ملحق الوثائق. ويقول سلاردنييللي إن الأخوان السني (يقصد أحمد والمهدي) كانا ضمن المجتمعين، ولكن الوثيقة الموقعة لم يظهر عليها توقيع أي منهما.

وكان الإيطاليون يراقبون هذه التجمعات عن طريق جواسيسهم إذ نجد قراتسياني يقول:

«.. ولكن سرعان ما قام أحمد سيف النصر الذي كان يعتبره الجميع من الآن فصاعداً أوسع زعماء الثورة سلطة ونفوذاً بالاتفاق مع محمد بن حسن المشاي، والشيخ محمد فكيني المتقدم في السن، وزعماء آخرين أقل أهمية في اجتماعين انعقدا في فبراير في (محروقة) و (برقن) على الشاطىء الغربي، وأخذ يعمل الاستعدادات لحملة جديدة يقوم بها نحو الشمال»[1].

وتحركت الحملتان باتجاه الشويرف.

وما أن سمع الإيطاليون بهذه الأخبار حتى كثفوا مجهوداتهم لمتابعة سير الحملتين وبثوا عيونهم لتسقط الأخبار واستعدوا للمجابهة وكثفوا من طيرانهم لاستطلاع المنطقة. وقد تمركز الإيطاليون في كل من أبو نجيم، مزدة، درج، سرت، هون وبني وليد، ودعموا هذه المراكز بقوات جديدة، إذ سينطلق من كل هذه المراكز فيلق بكامل معداته وتسليحه باتجاه (القبلة). وإلى جانب هذه الفيالق النظامية ينطلق فيلق غير نظامي من المجندين الليبيين يقوده خليفة خالد.

وقامت الطائرات يوم 6 أبريل باستطلاعات مكثفة للبحث عن محلات المجاهدين ولم تستطع العثور على أي من المحلتين.

في هذه الأثناء كانت محلة محمد بن حسن المشاي ومن معه تتقدم باحتراس متسللة بين أماكن تواجد القوات الإيطالية التي تفصلها عن بعضها البعض مسافات شاسعة، وكانت هذه المحلة كُلُها من الذين يخبرون مجاهل الصحراء ومن سكان منطقة (القبلة).

واقتربت المحلة من (درج) ودار نقاش بين القيادات في إمكانية الهجوم على درج أو غيرها.

ولكن الشيخ محمد فكيني أصر على مهاجمة (بئر علاق) حيث تتمركز مجموعة صغيرة من المجندين الليبيين برئاسة عمرو بيالة وقد وافقته المجموعة، إذ إنه أوضح لهم أن هذه المجموعة هي التي قتلت ابنه حُسَيْناً في معركة الوخيم ومن قبله ابنه حسن في تاردية.

(1) قراتسياني، نحو فزان، ص 411.

معركة بئر علاق: 9 أبريل 1929 ف

وصلت المجموعة إلى الجبل المطل على بئر (علاق) من الناحية الجنوبية مساء يوم 8 أبريل، وراقبت تجمع المعسكر الصغير المتمركز على ربوة شرقي بئر علاق بحوالى 500 متر وكانت المجموعة 50 فارساً وعشرة رجال مع الجمال، أي (60) شخصاً مسلحاً بقيادة الأمباشي عمرو بيالة من باندة الكوالير يوسف خريبْشة.

شاهد أحد أفراد المجموعة الإيطالية وميض نار في الجبل، فأخبر مجموعته بذلك. وكان الوميض من سيجارة أشعلها أحد المجاهدين، ولما لم تشاهد المجموعة النار مرة أخرى كذبوا صاحبهم وردوا إشعال النار إلى أحد الرعاة الذين ربما يتواجدون في المنطقة.

قبل انبلاج الفجر انقسمت محلة المجاهدين إلى ثلاثة أقسام حسب القبائل. قسم الرجبان ومن معهم يرأسه محمد فكيني، وقسم المشاشية ومن معهم يرأسه محمد بن حسن، وقسم الزنتان ومن معهم يرأسه سالم بن عبد النبي. وكانت المحلة تتكون من حوالى (350) مجاهداً حسب رواية عبد الرحمن الحواسي الذي كان مع المحلة.

استمرت المعركة إلى منتصف النهار وسحقت كل المجموعة المجندة سحقاً كاملاً، واستسلم ثمانية عشر جريحاً من ضمنهم عمرو بيالة، ولكن جماعة المجاهدين الذين لهم أقرباء استشهدوا ذلك اليوم، قتلوا الأسرى باستثناء عمرو بيالة الذي أنقذه من القتل ابن فلوس الرجباني وعاد إلى جادو على قدميه.

وقد غنم المجاهدون كل أسلحة المجموعة وخيولها وإبلها وذخيرتها.

ويقول قراتسياني عن هذه الواقعة متحدثاً عن محلة المجاهدين: «ولكن سرعان ما ظهرت فجأة في منطقة احتلالنا إذ إنها في يوم 9 قامت بالهجوم فجأة على مراكزنا الأمامية من بئر العلاقية (على مسافة 100 ك.م جنوب جادو). وكانت هذه المحلة تتألف من 50 فارساً بقيادة الأمباشي البربري (عمرو بيالة) وبعد دفاع باسل وعنيف انهزمت الفصيلة الصغيرة وتم سحقها»[1].

معركة المويلح: 9 مايو 1929 ف

يقول الحاج عبد الرحمن خليفة الحواسي الذي حضرها مع المجاهدين بعد معركة بئر علاق:

(1) قراتسياني، نحو فزان، ص 415.

«إن المحلة عندما وصلت إلى (قرعة الحطب) انقسمت وكذلك اقتسمنا الغنيمة وسافر سالم بن عبد النبي ومن تبعه من الطوارق والرجبان إلى فزان.

أما البقية فقد اتجهنا جهة الشرق وكنا نريد أن نساعد بقية النجوع على الرحيل إلى فزان، ولكن معركة المويلح ألحقت أضراراً بالأهالي والمجاهدين». وعن تفاصيل المعركة قال:

«كان يرافق عساكر الإيطاليين محمد الوحيشي الزنتاني واتخذ بهم طريقاً عبر زمزم إلى أن وصل إلى المويلح، وكان المجاهدون في ذلك المكان واستعدَدْنا لملاقاتهم وحدث بيننا اشتباك كانت الغلبة للإيطاليين وعساكرهم وقد استشهد من المشاشية عبد القادر الكياشي وأخوه المبروك والمبروك بن زهمة وأبو القاسم بن سالم بن ميشة وعلي البصباص ومحمد لحلح وامحمد عريقيب. واستشهد من الزنتان الباروني بن أحمد ومسعود الأشتر. وخسرنا تلك المعركة لوجود طريق وعر أردنا الصعود إليه وأطلق العساكر نيران بنادقهم على الإبل فلم تتمكن من الصعود وأصيب منها الكثير وهربنا من المعركة فرادى وجماعات ولم نجتمع إلا في الحمادة»[1].

معركة أبي أجدارية: 6 أبريل 1929 ف

انطلقت محلة من الهاروج حيث ترابض قبائل المغاربة وغيرهم من القبائل، وتقدرها المصادر الإيطالية بـ (400) مجاهد وعندما وصلت المحلة إلى قرب قارة صويد انقسمت إلى مجموعات: مجموعة هاجمت الإيطاليين في (قارة صويد) وذلك يوم 5 مارس 1929.

والمجموعة الثانية هاجمت النوفلية في يوم 14 مارس 1929. أما المجموعة الكبيرة فبقيت تقلق راحة الإيطاليين بمهاجمة طرق مواصلاتهم بين أجدابية والعقيلة ووادي الفرج.

وقد بدأ الإيطاليون يستطلعون بالطائرات موقع هذه المحلة إلى أن كشفوها وهاجموها يوم 6 أبريل في (بئر بوجدارية) ونشبت بين الفريقين معركة ضارية. وتقول المصادر الإيطالية التي اعتمد عليها الأستاذ التليس: «استشهد من المجاهدين في هذه المعركة (160) شهيداً واستولى الإيطاليون على 138 بندقية و150 جملاً»[2].

إن اتساع الأرض وضعف وسائل الاتصال وقلة التنسيق بين محلات المجاهدين

---

(1) موسوعة روايات الجهاد، المبروك الساعدي، ص 245.

(2) انظر: التليس، معجم معارك الجهاد الليبي، ص 136 ـ 137.

جعل الإيطاليين يستغلون هذا لضرب المحلات واحدة بعد الأخرى. وقد كلف قراتسياني كلاً من خليفة خالد بمن معه من المجندين الليبيين، وكذلك عاكف امسيك بمن معه من المجندين الليبيين أيضاً مع الأسف بتمشيط المنطقة الواقعة بين درج والشويرف وتأمينها والبحث عن الثوار في هذه المنطقة وأن ينتقل خليفة الزاوي من مزدة لاحتلال آبار (الخور) التي هي المورد شبه الوحيد للمياه في المنطقة لمحلة محمد بن حسن إذا ما وصلت إلى تلك الأماكن.

معركة كاف المتكية: 17 أبريل 1929 ف

عندما كان الإيطاليون منشغلين بتتبع تواجد محلة محمد بن حسن، الذي يعتبره قراتسياني عدوه اللدود ويريد أن يثأر منه، كانت ترابط قوات (باندة) لخليفة الزاوي في كاف المتكية بالقرب من القريات لتحمي طريق القوافل المتوجهة إلى القريات.

وفي فجر يوم 17 أبريل هاجمت محلة أحمد سيف النصر خليفة الزاوي في موقعه ذلك ونشبت معركة من أشرس المعارك تحطمت فيها دفاعات الزاوي وكاد أن يقع في الأسر، وتدخل الطيران الذي استغل هذا اليوم بكثافة، وتحركت القوات الإيطالية من القريات لنجدة الزاوي، وكذلك من مزدة، واستولى المجاهدون على حصان خليفة الزاوي وفر هو إلى الجبل. وعند آخر النهار انسحب المجاهدون بعد أن كبدوا العدو خسائر فادحة. وتقول المصادر الإيطالية إن خسائرهم ذلك اليوم 50 قتيلاً و24 جريحاً، وكما هي العادة يضخمون خسائر المجاهدين ويقولون إنها 60 شهيداً و40 جريحاً[1].

ويروي قراتسياني أن خليفة الزاوي قال يمتدح قائد الطيران الذي هاجم المجاهدين وألقى عليهم أطناناً من المتفجرات:

«وقال خليفة زاوية في ما بعد معبراً عن امتنانه للعقيد رانزا بأبي أنت وأمي، فبعد الله وبعد اللواء قراتسياني تأتي أنت بالنسبة لي»[2].

وقد غنم المجاهدون خمساً وسبعين بندقية[3].

ويقول قراتسياني عن هذه المعركة:

«وقد امتدت المعركة الدامية والعنيفة طوال النهار، وانتهت لمصلحتنا في آخر الأمر واستطاعت القافلة الوصول إلى القريات في نفس ذلك المساء»[4].

---

(1) انظر: التليس، معجم معارك الجهاد في ليبيا، ص 440.
(2) قراتسياني، إعادة احتلال فزان، ص 137.
(3) رواية ضو علي أبو حقيرة الحطماني، موسوعة روايات الجهاد، جمع علي البوصيري.
(4) قراتسياني، إعادة احتلال فزان، ص 419.

ومع الأسف وظف الكثير من ضعاف النفوس أنفسهم لصالح العدو، وبدأوا يمدونه بالمعلومات عن المحلات التي ضربت بئر علاق وضرب كاف المتكية. ويقول قراتسياني الذي كثف البحث عن هذه المحلات:

«.. وقد علم مساء يوم 21 سواء من رجال الطيران أو من المرشدين من رجال الزنتان الذين وصلوا إلى قيادة الفيلق أو من الأخبار التي بعث بها الموظفون من رجال المشاشي أن المحلة تستقر في جهة (أم ملاح)»[1] كما كرر الصيغة نفسها في كتابه «إعادة احتلال فزان» في الصفحة (137).

معركة (أم ملاح): 23 أبريل 1929 ف

كان المجاهدون يستقرون قرب مخيمات للعائلات المشاشية والجعافرة في منطقة (أم ملاح) (الملاحة).

وعند الصباح من يوم 22 أبريل هاجمت القوات الإيطالية الموقع بالطيران ثم بالقوات الأرضية. ونشبت معركة من أشرس المعارك حيث دافع المجاهدون عن الأسر وعن الحريم، وبالرغم من رصاص العدو المنهمر من كل جهة ومن قنابل الطيران تمكّنوا من ترحيل العائلات والابتعاد بها عن مدى نيران العدو، وقد استمرت الطائرات في ملاحقة المراحيل وقصفهم.

وانسحب محمد بن حسن بمن معه إلى مكان قريب من (نزالي) المشاشية المتواجدين في (أم الخيل)، واستقروا بجانبهم للراحة إذ إن المجاهدين أضر بهم شرب الماء المالح وقلة الزاد، وقد تحول أغلب المجاهدين إلى أسرهم في فزان.

وفي يوم 8 مايو علم محمد بن حسن بتقدم القوات الإيطالية نحو (النجع) من منطقة درج فأمرهم بالرحيل، ولكن سكان النجع اعتذروا لأنّهم لن يستطيعوا تجميع إبلهم في ذلك اليوم وأجلوا الرحيل إلى اليوم الثاني.

معركة نجع (العقبّة): 9 مايو 1929 ف

استقر محمد بن حسن ومن معه من مجموعة المجاهدين القليلة العدد بجوار نجع (العقبّة) مشاشية طالباً منهم الرحيل إلى الجنوب ولكنهم اعتذروا للبحث عن إبلهم الضالة. في مساء يوم 8 مايو قدم شخص من العقبة اسمه (تير) ومعه ابنه للنجع وأخبرهم بقدوم الطليان الذين رآهم يتقدمون عندما كان يبحث عن إبله. ووصل إلى

---

(1) قراتسياني، المصدر السابق، نحو فزان، ص 420.

محمد بن حسن وأخبره وطلب منه أن يساعدهم على الرحيل وألاّ يتركهم للعدو.

انتقل محمد بن حسن إلى مكان قريب من النجع واتفقوا على الرحيل في صباح الغد إلى فزان.

كانت القوة الإيطالية (الهجانة) تتقدم من درج. عند شروق الشمس شاهد المجاهدون القوات الإيطالية تتقدم فأسرعوا إلى تقويض الخيام وحمل الأمتعة، واستطاعوا ذلك في فترة قصيرة وشرع المرحول في المسير، غير أن القوات الإيطالية انقسمت إلى قسمين. فالفرسان جاءوا من جهة الشرق، أما الهجانة فقد طوقوا المرحول من جهة الغرب.

وانقسم المجاهدون إلى قسمين ليتلقي كل قسم ما يقابله واستمر النساء وبعض الرجال في سوق المرحول، وكان عدد المجاهدين حوالى (60) مجاهداً.

استطاع الإيطاليون تطويق المرحول بإبله وأغنامه ونسائه وأطفاله، وبدأت المعركة حامية وبدأ المجاهدون يتساقطون وكذلك الإبل والحيوانات الأخرى.

قرر المجاهدون فك الطوق واستياق الإبل والحيوانات والتوجه نحو جهة واحدة لفك الحصار.

استطاع المجاهدون الخروج من الطوق ببعض الإبل، وسقطت كل الحيوانات والإبل والأثاث والبيوت بيد العدو.

كما سقط مجموعة من الشهداء منهم علي الوسارة، ودخيل عقاب الذي كان يمتطي فرسه ولما سقط هربت الفرس نحو الأعداء فأطلق عليها النار وقتلها، وعلي كاجمان، ومحمد بن احمد. وقد علم ابن كاجمان باستشهاد والده بعد خروجهم من الطوق فعاد إلى العدو وقاتل إلى أن استشهد عليه رحمة الله ويدعى احمد بن علي كاجمان.

واستمرت المجموعة المجاهدة تسير على غير هدى الأطفال والنساء والرجال بدون أثاث وبدون خيام ويسوقون قليلاً من الإبل إلى أن وصلوا إلى (غدير) ماء فشربوا واستراحوا. وقد روى المشاي بن محمد بن حسن المشاي الذي كان حاضراً تلك المعركة قائلاً:

«وابتدأنا سيرنا وكانت تتقدمنا الإبل وتخلفت أنا قليلاً عن القافلة وابتعدت عني حوالى 250 متراً وعندما أردت اللحاق بها شرد الجمل الذي كنت أركبه واتجه إلى الأعداء وحاولت أن أغير وجهته ولكن دون جدوى وفكرت في قتله. وأنا في تلك اللحظة علمت بوجود فارس قريب مني وحين التفت وجدته والدي وبسرعة غير

وجهة الجمل وكنا قد اقتربنا من الأعداء وسمعت بعضهم يقول (هو محمد بن حسن . . اضربوه) وكانت المسافة بيننا تقارب خمسة عشر متراً فقط وجرح الجمل والحصان وابتعدنا عنهم قليلاً وذهب والدي إلى مقدمة النجع وكان قد تمكن من المرور»[1].

عند غدير الماء استراحت المجموعة المنهكة. ويقول الحاج عون وازينة السباعي الذي حضر المعركة إن جواده نفق بعد أن شرب الماء من ذلك الغدير، ولم يبق للمجاهدين إلا جواد محمد بن حسن.

ولم تتبع القوات الإيطالية المنسحبين واكتفوا بالغنائم ومن ذلك الموقع أمر محمد بن حسن بقية رجال النجع بأن يتوجهوا بالنساء والأطفال إلى نجوع المشاشية القريبة من ذلك الموقع (مجموعات مسعود الشويشين) وارتحل هو ومن معه باتجاه (عوينة ونين) وكاد أن يفتك بهم العطش، وقد أرسل محمد بن حسن رجالاً لجلب الماء، فأحضروا لهم الماء بمساعدة الشيخ البدوي الزنتاني.

وبعد أربعة أيام وصلت مجموعة المجاهدين المنسحبين ـ في أشد حالات التعب ـ إلى (عوينة ونين).

وقد أرسل المشاشية إبلاً لحمل العائلات والأطفال من ذلك الموقع بعد ذلك بعدة أيام.

ويقول قراتسياني عن نتائج تلك المعركة:

«وسرعان ما أسرع ثوار (الزنتان) بإرسال وفد لكي يعبر عن رغبتهم في الاستسلام لمارشال إيطاليا الذي أظهر أنه يعرف كيف ينفذ بكل إخلاص وبكل همة تهديده بإخماد الثورة بالطريقة التي عرف بها كيف يمنح العفو. .»[2].

وقد كانت هذه المعركة من المعارك الأخيرة لمحمد بن حسن المشاي الذي تشتتت محلته بعدها وقد كاتب الفرنسيين لإمكانية قبوله كلاجىء في المناطق الفرنسية.

معركة وادي الرتم: 22 أبريل 1929 ف

تقدمت مجموعات من مجاهدي المغاربة لحصد الشعير في مناطق جنوب النوفلية. وقد سمعت بذلك القوات الإيطالية التي تقدمت لمنع المجاهدين من حصد الشعير في خطة لتجويعهم. وفي يوم 22 أبريل نشبت معركة بين المجاهدين والقوات الإيطالية الزاحفة لهذا الغرض من النوفلية ونتج عن هذه المعركة انسحاب المجاهدين نحو الجنوب.

---

(1) روايات موسوعة الجهاد، جمع المبروك الساعدي.
(2) قراتسياني، نحو فزان، ص 421.

معركة أم الريش: 22 أبريل 1929 ف

تقدمت مجموعة من المجاهدين تقدرها المصادر الإيطالية بمئتي مسلح من مناطق (القبلة) الشرقية من (جيفة) باتجاه الغرب. وقد كشفتها الطائرات الإيطالية فتحركت القوات الإيطالية المرابطة في (مرسى العويجة) باتجاه تحرك المجاهدين.

وفي يوم 22 أبريل وقع الصدام بين المجاهدين والقوات الإيطالية الزاحفة في بئر (أم الريش) فكانت معركة ضارية سقط فيها 32 شهيداً حسب الرواية الإيطالية. كما سقطت من الإيطاليين مجموعة من القتلى تكتم الإيطاليون عنها وانسحب المجاهدون.

معركة الشويرف: 26 مايو 1929 ف

تحركت القوات الإيطالية في معركة متناسقة من غدامس وهون ومزدة وبونجيم.

وكانت هذه المجموعات تتجه نحو آبار الشويرف لتطويق المجاهدين الذين يحتلونها بقيادة أحمد سيف النصر. وعند الصباح الباكر بدأت المعركة حيث تقدمت مجموعة الجبل واصطدمت بالمجاهدين، وكانت معركة حامية الوطيس أبلى فيها المجاهدون البلاء الحسن. . وقد وصلت إلى المعركة القوات الإيطالية القادمة من غدامس وهاجمت المجاهدين من جهة الميمنة.

حاول المجاهدون أن ينسحبوا بانتظام باتجاه (أم الخيل) ولكنهم اصطدموا أيضاً بمجموعة من الإيطاليين قادمة من هون. واستمرت المعركة طيلة الأيام 26 ـ 27 ـ 28، وقد شارك الطيران في هذه الملحمة الليبية الرائعة. واستطاع المجاهدون إسقاط طائرة أصابها المجاهد علي النعير العلاقي الذي كان أحد ضباط جيش الجمهورية، والذي استشهد ذلك اليوم عليه رحمة الله[1].

واستطاع المجاهدون أن يخرجوا من الحصار ويكسروا الطوق الذي ضربته حولهم القوات الإيطالية المتحالفة والقادمة من ثلاث جهات. وقد سقط في ساحة الشرف عشرات الشهداء ذلك اليوم عليهم رحمة الله. كما سقط من العدو عشرات القتلى. وقد هاجم الإيطاليون في هذه المعركة مخيمات الجعافرة الذين كانوا يخيمون قريباً من الشويرف. ونشبت عند الخيام مذبحة من الطرفين واستطاع الجعافرة إنقاذ أسرهم

(1) رواية الحاج سليمان الجدي الورفللي الذي حضر المعركة وقابله المؤلف في منزله بطرابلس.

وتوجهوا نحو الجنوب، بالرغم من الخسائر المادية التي سقطت في أيدي العدو من أثاث وحيوانات[1].

وهكذا سقطت الشويرف في أيدي الإيطاليين ليتخذوا منها مركزاً لانطلاقهم نحو فزان في مرحلة قادمة.

وقد وصل المجاهدون المنسحبون من الشويرف إلى براك الشاطىء وكان وصلها قبلهم محمد بن حسن المشاي وقد عرف المجاهدون هذه المعركة بمعركة يوم العيد لأنها وقعت ثاني أيام عيد الأضحى المبارك.

مذبحة أباصير الجريد

كان هناك نجع لأولاد بوسيف لحمة (أباصير الجريد) يقيم بالقرب من منطقة الشويرف. وبعد المعركة قدمت إليه قوات إيطالية وأبادت الرجال وأخذت الخيام والأثاث والإبل وتركت النساء والأطفال بدون مأوى ولا طعام ولا شراب. ويحكي علي محمد عبد الحفيظ الصيد هذه المأساة التي كان أحد شهودها. يقول:

«ومع شروق شمس ذلك اليوم حدث القتال في الشويرف واشتركت الطائرات والخيول والرجال والإبل في الحرب، وقد أسقط أحمد سيف النصر إحدى الطائرات وأسرع امحمد التمتام وأخوه عبد الرحمن ومعهما بعض الفرسان لنجدة قائد الطائرة إذ إن هؤلاء يحاربون في صف الإيطاليين.

وفي تلك الأثناء ذهبنا نحن إلى الإبل لإحضارها وكانت قريبة منا وحملنا أمتعتنا وخيامنا ولم يبقَ إلا خيمة عبد الرحمن بوسيف وقبل أن نحملها رأينا جموعاً قادمة فاعتقدنا أولاً أن النجوع قد رحلت ثم اعتقدنا أنها قطيع من الإبل في طريقها إلى الماء. وبعد أن اقترب لاحظنا الخيول فأيقنا أن هؤلاء عساكر الإيطاليين، وجمعنا الإبل وكانت مثقلة بأحمالها واقترب منا رجال الهجانة في الوقت الذي التف حولنا خمسة من الفرسان من بينهم إيطالي.

وبدأ الرجال يتشاورون في حين كان رجال العساكر قد توقفوا حولنا وطلبوا منا الاستسلام.

وأخيراً قرر الرجال المقاومة حتى الموت لقناعتنا بأن الموت مصيرنا في كل الأحوال فليكن ذلك ونحن ندافع عن شرفنا، وأطلق أحدنا إطلاقة وانهال علينا وابل من

---

(1) رواية علي محمد عبد الحفيظ الصيد من لحمة أباصير الجريد، أولاد بوسيف، موسوعة رواية الجهاد، جمع المبروك الساعدي، ص 191ـ 196.

الرصاص وتساقطت الإبل والتجأ النساء إلى إحدى الجهات، وأصيب أحمد أبو القاسم وأبو القاسم بن أحمد، وكان الأخير قد أصيب بجرح في إبطه فبقي جالساً وأخذنا بندقيته ووجدناها غير صالحة. واتجه عبد الرحمن وعبد الرحمن بوسيف ومحمد وعبد القادر إلى الهجانة، وكان عبد الرحمن بوسيف يطلق النار على أصحاب الخيول الذين كانوا في موضع أبعد من مدى بندقيته وكنت أنا أمشي بين الرجال وقد طلبت من بوسيف بندقيته فأبى ذلك وأصيب ابراهيم الهامل بثلاث إصابات وهو يملك بندقية جديدة حصل عليها من (المكيمن) وبقي بها رصاصتان فقط. وفي تلك اللحظة استدعاني عبد الرحمن بوسيف وأعطاني البندقية والذخيرة نظراً لإصابته في بطنه، كما أخذت بندقية ابراهيم الهامل وجاء إلي عبد القادر بن أحمد وطلب مني أن أحاول النجاة حتى لا نقع في أيدي العساكر. وقبل أن نبتعد أصيب عبد القادر إصابة قاتلة وبينما أنا أحاول أخذ بندقيته اقترب مني اثنان فأطلقت النار عليهما ولم يبق في البندقية التي بيدي إلا رصاصة واحدة فأطلقتها وأصبت أحدهما. وكان زيد يقف إلى جانبي وهو يحمل بندقيتين فطلبت منه أن يطلق النار على الرجل الآخر، وبعد قليل أصيب زيد ووقع شهيداً وكان معي علي بن عبد الرحمن وأخي محمد وهربنا فلم يتبعونا ولكن الرصاص كان يتساقط حولنا..».

«.. وذهبنا إلى الجبل وأخذ العساكر الإبل وذهبوا، وفي الليل رجعنا إلى موقع الحادثة فوجدنا النساء ووجدنا أبا القاسم وابراهيم وعبد الرحمن بوسيف ما يزالون أحياء. وحين قدمت إلى عبد الرحمن بوسيف نصحني بعدم البقاء في هذا المكان حتى لا أقع في أيدي الأعداء. ثم ذهبت إلى ابراهيم فطلب مني أن أحمله فوعدته بذلك إذا وجدت الوسيلة، ثم جئت إلى أبي القاسم فتحدث معي. كما وجدت النساء يخترن الغالي من متاعهن ويقمن بردمه في التراب وطلبت من النساء أن يتبعنني فترددت نساء الأسياف لوجود عبد الرحمن بوسيف على قيد الحياة.

ذهبت أنا ومعي حوالى (26) من النساء والأطفال ومعي رفيقي إلى (أم السنون) فوجدنا مجموعة من الجعافرة كما وجدنا عبد الرحمن بوسبيحة المهدي وطلبت منهم أن ينقلونا فأعطونا جملاً حملنا عليه الأطفال وذهبنا معهم، وبعد مسافة تعبت النساء فاسترحنا بينما استمر الآخرون. وعند منتصف اليوم التالي التحقنا بهم، وهناك جاء إلينا محمد بن سالم والحبيب، وعبد الرحمن بونعامة فارين من العساكر. وعند الفجر ذهبت مع هؤلاء إلى (الفاتية) علنا نجد أحداً من أقربائنا ووصلناها عند منتصف النهار فلم نجد بها أحداً إلا أثراً لنجع كان قد مر عليها في الصباح فاقتفينا أثره والتحقنا به في (السدرة) وحين رأونا من بعد تخوفوا ولكنهم فرحوا بنا لما تعرفوا إلينا. وكان بن

جديدة الذي استشهد عم هؤلاء الرجال فأخبرتهم أن نساءه معنا وعليهم أن يساعدونا في حملهم أو يعطوني عدداً من الجمال لنقلهم، فأجرت منهم جملاً بست مجيديّات ورجعت إلى القافلة وبتنا حيث التقينا. وفي الصباح تزودوا بالماء من (الفاتية) أما أنا وعلي فقد ذهبنا إلى مكان آخر ولم نرجع إلا في صباح اليوم التالي. وكذلك رجع الذين ذهبوا إلى الفاتية واستأنفنا سفرنا وبعد مسافة استرحنا وطلبت من النساء أن يجمعن مبلغاً مالياً لنشتري به من الجعافرة بعض التموين فأعطونا مقداراً من التمر. وذهبنا إلى (أم العجرم) وهناك التقينا برجل بوسيفي من أولاد عبد الحفيظ كما وجدت توصية من عبد الله بوسيف بالبقاء في هذا المكان حتى يعود إلينا من فزان.

وفي (أم العجرم) طلب منا الجعافرة عدم مرافقتهم فبقينا هناك سبعة أيام حتى جاء إلينا عبد الله بوسيف ومعه خمسة من الجمال وخمس عشرة (قربة) وعاء للماء.

سبق لأخي أن ذهب إلى فزان، ومن (أم العجرم) ذهب علي بن عبد الرحمن ومعه رجل آخر مع النساء في طريقهم إلى فزان واستراحوا في الحطية.

أما أنا وعبد الله بوسيف فقد رجعنا إلى موقع الحادثة ووجدنا بالقرب من الموقع خيمة بها بعض العساكر، واستطعنا أن نتفقد قبور الشهداء والعساكر في غفلة ورجعنا إلى (أم العجرم) واسترحنا بها ثم استأنفنا سيرنا، وحين وصلنا إلى (أم الطلح) تركت رفقائي بعد أن ضربت موعد اللقاء في مكان معين وذهبت إلى سعيدان واصطدت غزالين ثم ذهبت إلى الطريق في انتظار رفيقيّ حتى لحقا بي واسترحنا قليلاً ثم استأنفنا رحلتنا إلى فزان».

هذه القصة أوردتها كلها حتى تعرف الأجيال مقدار المعاناة التي عاناها أجدادهم في سبيل هذا الوطن.

ولقد سقط رجال النجع شهداء عليهم رحمة الله، وهم مجموعة قليلة: عبد القادر أحمد وعبد الرحمن أحمد وأبو القاسم أحمد وابراهيم محمد الهامل وزيد بوخشم وأحمد بن جديدة وأحمد أبو القاسم وابنه عمر وعبد الرحمن بوسيف ومحمد بوسيف ومحمد الشريع وأحمد الجامط. ولم ينج من رجال النجع إلا راوي هذه القصة ومعه شخص آخر كما يذكر.

ولهذه القصة قصص أخرى مماثلة أقربها للموقع قصة مذبحة (العقبّة) وهم نجع آخر بالجمادة من قبيلة المشاشية، أحاط به الإيطاليون وأبادوا أغلب رجاله وأطفاله ونسائه، واستولوا على إبلهم وتركوا النساء والأطفال ممّن بقي منهم حيا بدون ماء، وبدون طعام، وبدون وسيلة ينتقل عليها سبق ذكره.

معركة بئر العلقة: 26 مايو 1929 ف

عند انسحاب المجاهدين من آبار الشويرف بعد المعركة الشهيرة مع الإيطاليين انسحبوا صوب بئر العلقة للتزوّد بالمياه، فتتبعهم القوات الإيطالية القادمة من غدامس ودرج واصطدمت بهم هناك. وجرت بين الطرفين معركة شديدة طاحنة، استخدم فيها الإيطاليون الطائرات بكثافة. وتقول المصادر الإيطالية إن المجاهدين فقدوا في هذه المعركة 260 شهيداً ولكن هذا الرقم فيه الكثير من المبالغة.

بعد المعركة التي استطاع المجاهدون التخلص منها انسحبوا إلى فزان.

واستقر الإيطاليون في الشويرف يقيمون المذابح في مخيمات المجاهدين ويستاقون الإبل ويطهرون المنطقة حسب قولهم.

ولما كان الإيطاليون يخشون إعادة الكرة إلى المجاهدين وإعادة أحداث ثورة 1915 عندما انتفضت الصحراء والقبلة والجبل الغربي وبني وليد وسرت ومصراتة وترهونة ضد الإيطاليين وأبادوا حامياتهم وحاصروهم في المدن الساحلية.

لهذا خطط قراتسياني لكي ينزع السلاح من أيدي أولئك الذين كانوا مع الطليان ومن المخلصين لهم مخافة أن تتكرر الكارثة.

وهنا هاجمت القوات المتواجدة في الشويرف مخيمات المواطنين الذين لجأوا لحماية الطليان، والذين سلم بعضهم الطليان أسلحة ساهمت في احتلال القبلة وطوقوهم ونزعوا أسلحة المشاشية والمقارحة وأولاد بوسيف وذلك في الشقيقة ووادي زمزم، وقد أورد قراتسياني هذا الخبر بقوله:

«.. لقد قام اللواء غراتسياني في مزدة باتصال مستمر مع الزعماء أحمد قرزة شيخ أولاد بوسيف ومسعود شويشين شيخ المشاشية وسالم بن نصر شيخ المقارحة وهم الذين حضروا في الحال كلما استدعوا وقدموا معلومات مفيدة، مما ساهم في العثور على المحلات المتمردة وتدميرها».

«وهكذا لم يتردد في أن يسلم الوجيه سالم بن نصر بناء على طلبه بعض صناديق الذخيرة التي أعيدت دون المساس بها يوم نزع السلاح»[1].

وقد حدد للقبائل التي نزع سلاحها أماكن يقطنونها ولا يمكن لهم مغادرتها.

وقد أصر قراتسياني على أن يجمع الزعماء المنضوين تحت لوائه من الليبيين في بئر (تاجمل) والتي يقول إنها وقعت بها موقعة منذ سبعين سنة بين قبائل القبلة بسبب

(1) قراتسياني، إعادة احتلال فزان، ص 151.

العداوة القائمة بين هذه القبائل، حيث أبلغ أحمد قرزة ونصر بن سالم قرار نزع السلاح.

وبدأت القوات الإيطالية تتنقل بين مخيمات القبائل المستسلمة تستلم السلاح فاصطدمت بمجموعة من المجاهدين يحملون عائلاتهم إلى الجنوب في 24 يونيو بين الشويرف وأبي نجيم، ووقعت معركة غير متكافئة سقط فيها عشرة شهداء وجريح واحد من مجموعة المجاهدين الذين يبلغ عددهم خمسة عشر مجاهداً، كما استولى الإيطاليون على أربع عائلات و8 بنادق ومائة بعير وكانت المجموعة من أولاد بوسيف.

وسحب الإيطاليون البنادق من الذين كانوا يقاتلون معهم بالأمس ضد وطنهم ومواطنيهم. ويفتخر قراتسياني بأنه سحب (2450) بندقية. ويقول إن الطريق إلى فزان أصبح مفتوحاً أمامهم.

ويروي الأمين الصغير حسن العزومي:

«إن الإيطاليين قبضوا على سالم بن نصر وطلبوا منه مكاتبة المقارحة في تسليم الأسلحة، فأرسل إليهم رسالة يقول لهم فيها: لقد قبض الإيطاليون علي وأنتم إذا كنتم مستعدين للدفاع عن أنفسكم فدافعوا وإن لا سلموا، والناس كانوا مستريحين ولهم قوافل بطرابلس.

عند الصباح أحاطت بهم القوات الإيطالية بالرشاشات والمدافع وطلبت منهم تسليم الأسلحة وهكذا تم التسليم»[1].

وهكذا يتضح أن الثقة غير موجودة بين الإيطاليين والليبيين، سواء انضموا إليهم أم قاتلوهم.

لما كانت هذه الأحداث تجري في منطقة الشويرف، كانت هناك أحداث مهمّة تجري هي الأخرى في منطقة فزان البعيدة، إذ تحرك أبو بكر لقوي بتكليف من الإيطاليين بمهاجمة المجاهدين المتواجدين في القسم الغربي من فزان وشكل عدة غزوات لاستياق إبل المجاهدين. واستياق الإبل يعني تجريد المجاهدين من وسائل النقل وتركهم في انتظار العدو لأنهم لا يستطيعون الحركة.

فلقد كلف ابنه (قوللي) بمهاجمة المجاهدين في (وادي الآجال) واستاق إبلهم وقتل عدة أفراد أثناء دفاع الرعاة عن الإبل.

تحركت غزوة من المجاهدين باتجاه غات لتأديب أبي بكر لقوي ورد الإبل المنهوبة،

---

(1) رواية الأمين الصغير حسن العزوي، موسوعة روايات الجهاد، جمع علي البوصيري.

فاستولت على غات وهرب أبو بكر لقوي في لباس امرأة وعلى ظهر حمار حيث صعد الجبل مبتعداً عن الخطر وترك أهالي غات المساكين الأبرياء يدفعون ثمن أخطائه وركونه للطليان.

وعند عودة الغربي التقى بابنه (قوللي) يسوق قطيعاً آخر من الإبل في الليل ومعه مجموعة من توارق أوراغن فوقعت بين الطرفين معركة سقط فيها ابنه جريحاً وقتل عدة أفراد من غزيه وأرجعت الإبل.

كما أرسل المجاهدون غزياً قوامه (300) مجاهد للحاق ببقية الإبل التي وصلت إلى (جانت) وكاد هذا الغزي أن يموت رجاله عطشاً. وأخيراً استطاعوا الوصول إلى الماء، وأن يستردوا مجموعات من الإبل كما استاقوا إبل أبي بكر لقوي نفسه. وقد حدثني حديث هذا الغزي الحاج إسماعيل الوكواك التارقي الذي كان ضمن الغزي.

ولم يكف أبو بكر لقوي عن مناوشة المجاهدين في منطقة الوادي وكانت آخر إبل استاقها من المجاهدين والإيطاليون يصلون سبها. فقرر عبد النبي بالخير عدم إرسال أي غزي إلى غات، ويرحل الجميع وينزل في غات ويتم القبض على أبي بكر لقوي وتسترد منه المنهوبات.

أما تبو القطرون فلأسباب مجهولة قام غزي منهم واستاقوا إبلاً لأهالي ورفللة المتواجدين في منطقة (أم الأرانب) مع نجوع المجاهدين الأخرى من القذاذفة وأولاد سليمان.

وقد وصل أصحاب الإبل إلى عبد النبي بالخير يستنجدون به، فأرسل مجموعة إلى القطرون لخطف سلطان التبو (مينا صالح) وتم لهم ذلك حيث اختطفوه مع ابنه (بركة) ولما أوصلوه إلى عبد النبي بالخير، أكرمه وأنزله في خيمة مخصصة للضيافة وطلب منه إرسال ابنه لإرجاع الإبل. وفعلاً أرسل ابنه بركة واستطاع أن يجمع الإبل ويرجعها وبذلك أطلق سراحه[1].

استياق إبل المقارحة

عندما سمع المجاهدون بتسليم السلاح من القبائل الموالية للطليان، وذلك في الشاطىء اجتمعوا وتدارسوا الأمر في مهاجمة المقارحة واستياق إبلهم، وكان أكثرهم من أولاد بوسيف.

---

(1) التقيت بابن مينا صالح المدعو (جلاوي) وأكد لي صحة هذا الخبر وجلاوي هو الآن شيخ تبو القطرون.

عرضوا الأمر على سي امحمد بن بشير فرفض ذلك الموضوع وأمرهم بعدم المساس بالمقارحة لأنهم سيثيرون فتنة ويجعلون المقارحة يهاجمونهم في الشاطىء.

غير أن امحمد بن بشير لم يلبث بعد هذا الرأي إلا أياماً معدودة، وتوفي عليه رحمة الله. فأعاد أولاد بوسيف طرح الموضوع على أحمد سيف النصر، الذي رفض هو الآخر إطاعتهم في الرأي، وقال لهم:

«لقد تحركت قواتنا داخل مخيمات المقارحة في هجومنا على المكيمن والقريات والشويرف، وكانوا يزودوننا. وكانت نساؤهم تزغرد لنا، فلا داعي لعداوتهم وتحريكهم ضدنا»[1].

غير أن المرابطين رفضوا هذه النصيحة وقرروا مهاجمة إبل المقارحة واستياقها. جهزوا حملة قوامها 80 مجاهداً وتوجهوا بها حيث تستقر نجوع المقارحة واستطاعوا أن يستولوا على 7 آبال حوالى (800) ناقة بدون أي مقاومة وتوجهوا بها إلى الشاطىء.

غضب المقارحة، واتجه سالم بن نصر صوب الطليان يطلب منهم تسليح مجموعته للدفاع عن أنفسها ولاسترجاع الإبل.

هذا الأمر ينتظره الإيطاليون لضرب الليبيين ببعضهم بعضاً. سرعان ما استجابوا له ومنحوه (150) بندقية بذخائرها حيث سلح بها مجموعات من المقارحة. وتحركت هذه المجموعة نحو الشاطىء يدعمها مجموعة رياح بقيادة علي السعداوي واتجهت إلى الشاطىء، وبدأت الدعاية لشحن المقارحة ضد المجاهدين وتسريب أخبار، الغرض منها زيادة الحقد بينهما. إذ قيل لهم إن أولاد بوسيف أوصوا رعاة الإبل بعد استياقها بأن يبلغوا النساء أن يطحن السويق لأنهم سيأتون في المرة القادمة الخيام وسيجدون الطعام (العيش) في انتظارهم وعليهن بتعصيده.

كل هذا لزيادة صب الزيت على النار وتأجيجها.

ويقول المهدي ابراهيم مخيون المقرحي:

«توا منين جن لسعاي يجي أربعة أيام والا خمسة جت لعين أقار هذاك الوقت تفلت ساقية لين نقصت المية من جري الآبال يجي سبعة آبال والا ثمانية لين الماء اللي يجري قطعاته ونادوا محمد بن عامر أولاد بوسيف. قالوا له يا محمد بن عامر ما تكونش اتقول حقروني أولاد بوسيف وإلا أنت الأول التالي الياكان هذي إبل المقارحة كان عندك فيهم أمل وتعرف اتجيبهم وازيها ها هي من توّا نديروا لها حتى من يرعاها وبراً قوللهم تعالوا

---

(1) رواية الأمين الصغير حسن العزوي.

لإبلكم تضمن أنت الضامن زين ومليح. كان ما هذا الله غالب ما عندك حق علينا».

قال المهدي رد عليهم محمد بن عامر قائلاً:

«قال للهم أنا ماني مهبول أنا هالوقت هذا حتى ولدي كانا غادي ما نقدرش انقول انجيبه. ما نجيباش ملزوم إلا بنفسي. أنا هاني معاكم موت أو حياة والباقي مانيش الله غالب..»[1].

وهنا نرى أن استياق الإبل ناتج عن انضمام المقارحة إلى الإيطاليين وبدورهم يستخدمون الإبل للحاق بالمجاهدين.

تقدم العدو باتجاه فزان

جمع العدو قواته في منطقة الشويرف واعتبرها نقطة انطلاقه وأرسل لفتح الطريق مجموعتين من المواطنين الليبيين المتعاونين مع الطليان للاستيلاء على الشاطىء.

1 - من الشويرف تحركت (150) بندقية من مجموعة خليفة الزاوي بقيادة الشنباشي علي السعداوي الرياحي، و100 مسلح من المقارحة بقيادة القائمقام سالم بن نصر.

2 - من الجفرة تحركت مجموعة من هون (164) بندقية بقيادة المهدي موسى (وهو من سوكنة).

وقد تحركت هاتان المجموعتان يوم 16 أغسطس من الشويرف ويوم 20 من هون على أن تلتقيا في 25 أغسطس في وادي زلاف.

واستطاع المهدي موسى أن يتحرك عن طريق الشب وأشكدة ويصل إلى وادي زلاف بدون أن يلتقي بالمجاهدين ولكن المهدي لا بد وأن يقدم شيئاً للطليان يدل على إخلاصه فقبض على تسعة رجال من الزيغن وحملهم معه كأسرى ونهب ثلاثين جملاً من القرية، ثم واصل سيره إلى سبها التي وجدها خالية. فرجع إلى الزيغن حيث اصطدم في القرية بمجموعة من المجاهدين نشبت بينهما معركة تخلص منها وواصل سيره إلى (أم العبيد) حيث هاجمه المجاهدون فيها يوم 29 أغسطس ونشبت معركة يصفها قراتسياني بأنها (حامية) واستطاع الانسحاب منها حيث وصل إلى هون راجعاً، ولم يستطع الالتحام بمجموعة الشويرف.

أما جماعة الشويرف التي يدفعها أيضاً حماس آخر قديم لتصفية الحساب مع أسرة سيف النصر من جهة، وإلى استياق (800) بعير من المقارحة من قبل مجاهدي أولاد

(1) رواية المهدي ابراهيم مخيون، مركز جهاد الليبيين، شريط رقم 14/10.

بوسيف قبل هذا التحرك بأشهر كما ذكرنا آنفاً.

وصلت هذه المجموعة يوم 28 أغسطس إلى (قيرة) في الشاطىء حيث يتمركز مجاهدو الجعافرة وأولاد بوسيف وعكاره وغيرهم من المجاهدين الذين يتواجدون بالشاطىء.

ووقعت بين الطرفين معركة حامية استمرت طوال اليوم، ومنعت المجموعة الإيطالية من التقدم إلا في اليوم الثاني حيث وصلت المجموعة إلى براك.

وسمع أحمد سيف النصر المتواجد بمحلته قرب سبها، بالخبر، فركب على (مهريه) وجاء إلى المنطقة وأرسل رسالة إلى سالم بن نصر يطلب منه الانسحاب ويعده بإرجاع الإبل التي نهبها أولاد بوسيف.

غير أن سالم بن نصر كان رده:

«إن عائلاتنا تحت سيطرة الطليان، ولا نستطيع الرجوع، لقد فات الأوان».

وهنا يئس أحمد سيف النصر من عودة الجماعة إلى جادة الصواب. وقامت مجموعة أولاد بوسيف والجعافرة ومن معهم بمهاجمة براك من جديد في 3 سبتمبر، واستمرت المعركة 24 ساعة دون انقطاع.

كانت الطائرات تحاول مساعدة المجندين بإلقاء القنابل حول القرية وتمكنت من إنزال الإمدادات إلى مجنديها.

ووصلت محلة أحمد سيف النصر إلى المعركة وزادت من تأججها. وانضمت مجموعات من الحساونة والمقارحة المتواجدين بالشاطىء والعثامنة إلى سالم بن نصر وهو تأييد فرضته اللحمة القبلية والعداء المشترك لأسرة سيف النصر. وتمركزت وتخندقت المجموعة الإيطالية في الواحة وحوصرت هناك.

وبدأ سالم بن نصر في إرسال المراسيل إلى قراتسياني في الشويرف يطلب الدعم والذخيرة بعد أن حوصر في الشاطىء.

أرسل قراتسياني إلى سالم بن نصر يطلب منه العودة إلى الشويرف، ولكن سالماً رد بقوله:

«.. إنه تعهد بأن لا يترك المقارحة والحساونة الذين أيدوه وحدهم كي لا يعرضهم لانتقام المتمردين ووحشيتهم. وقد صرح باعتزاز أنه وأتباعه على استعداد من أجل الحفاظ على عهد الشرف هذا للموت في الموقع ولن يتقهقروا»[1].

(1) قراتسياني، إعادة احتلال فزان، ص 185.

وحاول المجاهدون الضغط على المجندين الطليان للخروج من براك. ولكن ضغوطهم لم تأت بطائل وذلك لتحصن المجندين، وقلة الذخيرة عند المجاهدين. واستمرت المعارك طيلة شهر أكتوبر، وتضعضع موقف سالم وأرسل بأنه لا يستطيع الصمود ما لم تصله تعزيزات.

وتمت محاصرة سالم بن نصر ومن معه في (برقاو) الشاطىء لمدة شهرين. ولما وصلت استغاثته إلى قراتسياني جهز له (60) مسلحاً يقودهم عبد الله الغويزي وأرسلهم إليه من الشويرف، حيث وصلوا واشتركوا في المعركة. ويقول عبد الله الغويزي أن الإيطاليين أسقطوا من الطائرات أسلحة وذخائر إلى مجموعات سالم بن نصر لدعمهم[1].

غير أن الموقف لم يتغير، واستمر الحصار المضروب على سالم بن نصر في الشاطىء. وكان قراتسياني يخشى أن ينقلب الليبيون عليه إذا دعمهم أكثر من اللازم. ويخشى من دعم خليفة الزاوي وإرساله منفرداً إلى فزان فربما عاوده الحنين لحكم فزان خارج نطاق الطاعة الإيطالية.

وأخيراً يقول قراتسياني تغلبت الثقة في هؤلاء؛ وأرسل خليفة الزاوي على رأس مجموعته التي تبلغ (1000) مقاتل من بينهم سرية رشاشات. وكان خليفة يتوق إلى هذه في براك ساعة وصوله لإنقاذ سالم بن نصر من الحصار ولكسر شوكة المجاهدين الذين ينقصهم الذخيرة والسلاح والطعام.

وكان الزاوي يتصرف بأكثر من ألف بندقية وسرية من الرشاشات. ولم يكن للمجاهدين غير بنادق ومدفع صغير تنقصه الذخيرة، أجّروه من سالم بن عبد النبي الزنتاني كل إطلاقة بناقة[2].

استمرت المعركة يوماً كاملاً، وعند الليل أرسل خليفة بمجموعة لاحتلال قرية (الأبيض) وخليفة على معرفة تامة بفزان وطرقها، وحتى بأشخاصها الذين يعرفونه وأرسل مجموعة أخرى أغلبها من الملتحقين به في براك من أولاد عثمان بقيادة التمتام البوسيفي إلى زلاف قوامها 200 بندقية وذلك لتطويق المجاهدين من الخلف وقطع طرق الإمداد عليهم.

ولم يستطع المجاهدون المستقرون في (واو) إرسال أي دعم قتالي للمجاهدين

---

(1) رواية عبد الله الغويزي، مركز جهاد الليبيين، شريط رقم 10/13. وقد عين الإيطاليون عبد الله الغويزي مديراً على المقارحة تحت إمرة سالم بن نصر (رواية المهدي مخيون).

(2) رواية حسن عبد الرحمن بو حليقة، موسوعة روايات الجهاد، جمع علي البوصيري.

المشتبكين مع العدو في براك. وذلك لأن أغلب الرجال في خط الحرب ولم يبق في المخيمات إلا القلة.

وكانت سرية من الأرتريين وصلت إلى (المحروقة) لحماية جناح المجندين الذين يشتبكون مع المجاهدين في براك وقد عادت هذه السرية إلى الشويرف بعد أن انسحب المجاهدون من المنطقة حيث وصلت إلى الشويرف في 17 نوفمبر.

وضع التمتام نفسه تحت السيطرة الإيطالية وبدأ بملاحقة المجاهدين حيث اصطدم مع مجموعة منهم منسحبة باتجاه جبل الحساونة جنوب وادي زلاف.

وتقدم خليفة الزاوي لملاحقة المجاهدين وبدأ بنهب قطعان الماشية، والقبض على العائلات وإرجاعها للسيطرة الإيطالية.

وقد انقسمت مجموعة المجاهدين إلى قسمين:

قسم يرأسه أحمد سيف النصر تحول إلى زويله في شرق فزان، والقسم الثاني برئاسة محمد بن حسن المشاي توجه إلى وادي الآجال في غرب فزان ومعه أولاد بوسيف والمقارحة وغيرهم.

أما عبد النبي بالخير فيقيم بمن معه في (امساك) شرقي غات.

يقول قراتسياني واصفاً هؤلاء المجاهدين (في «إعادة احتلال فزان» ص 188): «ولعله من نافلة القول أن نلاحظ كيف أن هذه التشكيلات الأخيرة للمتمردين وهي الأقوى والأشد تعصباً وعناداً والتي لا تلين، مما بقي من التنظيمات المنشقة في طرابلس»[1].

وقد جهز مجموعات المشاشية وأولاد بوسيف والمقارحة مجموعة محمد بن عامر غزياً قوامه (300) مجاهد. واتجه نحو طرق القوافل بين الشويرف والشاطىء حيث استولى على قافلة للحطمان محملة بالتموين والقماش واستولوا على مجموعات من الإبل للمقارحة والحساونة. وقد وصلوا بهذه الغنائم إلى الرملة واقتسموا الإبل بحيث حصل كل مجاهد على بعير ونصف ـ يعني أنهم أحضروا قرابة (450) بعيراً ـ ولكنهم وجدوا أن العائلات دخلت الحدود الجزائرية فاستقبلتهم القوات الفرنسية وتسلمت أسلحتهم وألحقتهم بالنجوع[2].

أما سالم بن عبد النبي فقد انتقل من أدري إلى عوينة ونين حيث استسلم هناك للملازم (كاسو) وأحمد الصيد. ويقول بيلاردنييللي: «.. وبعدها وبناء على شفاعة

---

(1) رواية المهدي ابراهيم مخيون، المصدر السابق.

الشيخ البدوي والشيخ أحمد قرزة صدر عنه العفو من جديد وأمر بالانتقال مع أتباعه للإقامة بعوينة ونين حيث كان في استقباله قائد السرية الصحراوية الخامسة الملازم «كازو» وبرفقته الشيخ أحمد الصيد».

في يوليه 1930 أرسل إلى براك للبحث عن الأسلحة المخبأة في مكان هناك لا يعرفه إلا هو، وأيضاً لحل بعض المشاكل المتعلقة ببعض الأراضي التي كان يدعي ملكيتها الزوائد والقوائدة (أو القوائضة) وكان متورطاً فيها أكثر من غيره.

إلا أن سالم بن عبد النبي سواء بدافع من قلقه على مستقبله ومصيره الغامض، أم بسبب إفراط سلطاتنا في ملاحقته والإلحاح عليه ليكشف عن مخابىء أسلحة أخرى، أو من واقع خوفه من تهمة الاستيلاء على أراضي ونخيل بدون وجه حق، التي وجهها إليه عدوه اللدود «التمتام» مدير أدري أو لغير ذلك من الأسبابْ والملابسات اختفى فجأة وانقطعت أخباره في الكامل.

وعلم في ما بعد أن سالم بن عبد النبي عندما وصل بالقرب من مرعى دوابه (حوالى 50 رأساً من الإبل بقيت في الشاطىء بعد أن سلم نفسه). استغل سذاجة حراسه ورعاته وغفلتهم وتمكن من الهروب والإفلات بكل سهولة وبرفقته حفيده وصهره واثنان من خدمه، اجتاز الحدود التونسية القريبة من سيناون، بعد أن سلك دروباً ومسارب غير مطروقة كثيراً ولا يعرفها إلا القليل من أبناء المنطقة.

ولم يثر فراره أية دهشة أو صدى وانتهى أمره عند هذا الحد. أما أفراد عائلته بعد عودتهم إلى ديارهم في القرية الغربية، فاستأنفوا حياتهم العادية تحت مراقبة رئيس القرية ولزموا الهدوء دون أن تحوم حولهم أية شبهات في قيامهم بدعاية أو غيرها أو ربط صلات أو علاقات مريبة»[1].

تجمعت القوات الإيطالية في الشويرف بعد أن وصلتها أخبار مطمئنة عن احتلال سالم بن نصر وخليفة الزاوي لمنطقة براك، وسبها وأن الطريق آمن.

تقدمت القوات الإيطالية بقيادة قراتسياني بعد أن ألقى خطبة عصماء في جنوده يحثهم على أن هذا العمل يثلج صدر الزعيم الفاشستي ويعيد أمجاد روما.

تقدم رتل الشويرف ببنادقه ورشاشاته ومدافعه تحمله:

قافلة قوامها (700) بعير

رتل هون وتحمله (286) شاحنة

---

(1) بيلاردنيللي، المصدر السابق، ص 237.

رتل من درج

وكان الأمير الإيطالي (دوق بوليا) الذي يمجده قراتسياني كثيراً على رأس رتل الشويرف.

ويعترف قراتسياني بأن احتلال خليفة الزاوي وسالم بن نصر لبراك (شكلا نوعاً من التغطية المتقدمة لقواتنا).

وتقدم الرتل الإيطالي حيث وصل براك يوم 4 ديسمبر. وبدأ قراتسياني يستعرض عضلاته كأي منتصر على المواطنين الضعفاء ويبحث عن جثث ضباطه وجنوده الذين سقطوا في معارك 1913 و1914 عندما فرت جنوده من القبلة كالجرذان مذعورة أمام هجمات المجاهدين الموفقة عندما كانوا يداً واحدة ضد العدو.

وبدأ يستعرض استسلام العائلات المتبقية في براك أمام الأمير الإيطالي معتبراً ذلك مفخرة ونصراً حقّقهما بسلاحه، وهو يعلم والجميع يعلم أنه لولا الخيانة الوطنية لما وصل قراتسياني ولا غيره إلى أصقاع القبلة، ولكن علينا أن نأخذ من الماضي عبرة.

وأحس المجاهدون، الذين فقدوا كل شيء وأسرهم التي تعيش في المجاعة تضعف موقفهم، وأنهم لا يستطيعون مصادمة هذا الزخم الجرار من الجيوش المحمولة وأعتدتها المتدفقة والمتطورة والتي لا تنضب. وهذا الحماس لخدمة العدو من قبل المأجورين والذين يصفون أحقاداً قديمة.

ويقول قراتسياني في كتابه «إعادة احتلال فزان» عن نتائج وصولهم إلى براك:

«أحدث تحرك رتل الاحتلال إلى براك الاستسلام الفوري من الزنتان التابعين لأحمد البدوي، وأحمد الصيد فهذا الأخير كان قد وحد في السابق قضيته مع البدوي.

وكما سبق ذكره كانت تجرى منذ وقت بعيد علاقات مع أحمد البدوي وهي علاقات زادت وثوقاً بعد الإعلان عن العفو».

ويستمر قراتسياني في حديثه قائلاً:

«وبعد وصولنا إلى براك وعقب حوار جرى في هذا المكان بين المارشال بادوليو الذي وصل إلى هناك بالطائرة من طرابلس وأحمد الصيد حيث وضع ذلك الزعيم الماكر في وضع مريح، أصبح استسلام الزنتان وحشدهم في الطابونية أمراً واقعاً مع تسليم 300 بندقية في الحال..»[1].

وتقدم إلى زلة مجموعة من أسر المغاربة مستسلمين وتقدم إلى هون مجموعة من

(1) قراتسياني، المصدر السابق، ص 199 ـ 200.

القذاذفة يقودهم الشيخ ضو بن رمضان وسلموا 80 بندقية[1].

وهنا يصدق قول أبي فراس الحمداني رحمه الله.

فقال أصيحابي الفرار أو الردى   فقلت هما أمران أحلاهما مر

لقد أصبحت وضعية المجاهدين صعبة للغاية. وصرح زعماء الجهاد لاتباعهم الذين لا طاقة لهم ولا قوة لدخول الصحراء والذين تنقصهم الإبل ووسائل النقل بالاستسلام للعدو، على أن تقوم المجموعات القادرة على الهجرة بالهجرة إلى البلدان المجاورة.

ولكن قبل أن يتم ذلك، وجب خوض عدة معارك حاسمة فمن المعيب أن يترك المرء مسقط رأسه أو مقر قبيلته دون أن يدفع ثمنه من الدم الفوار ودون أن يسمع العدو طلقات الرصاص.

إخلاء سبها

من المعلوم أن المجاهدين بعد معركة براك أخلوا سبها وانقسموا كما ذكرنا، واحتلها خليفة الزاوي لصالح الإيطاليين. وهكذا تقدم الإيطاليون باتجاه سبها دون حدوث أي معركة، وقد كانت الطائرات ترصد تحرك المجاهدين ومخيماتهم وتكشف الطريق أمام القوات الزاحفة.

احتلال سبها: 14 ديسمبر 1929 ف

وصل الإيطاليون إلى سبها التي كانت خالية تماماً من المجاهدين وفي صبيحة اليوم الثاني جمع قراتسياني عائلات المواطنين في الواحة في سفح قلعة سبها (القاهرة) ليلقي عليهم خطاباً يطفح بالحقد والكراهية مصرّحاً بأن هزيمتهم عام 1914 في هذا الموقع لم تكن بسبب جبن جنودهم بل بسبب خيانة هؤلاء المواطنين قائلاً: (بسبب خيانتكم) وأردف أن علم إيطاليا الذي سيرفعه اليوم لن ينزل إلى الأبد!!

وعندما وصل الإيطاليون إلى سبها كان وضع المجاهدين على النحو التالي:

1 ـ قبائل المغاربة ومخيماتها ترابط في منطقة الهروج.

2 ـ قبائل أولاد سليمان والقذاذفة وبعض ورفللة تخيم عائلاتهم في (واو) والرجال يشكلون محلة ترابط بين أم الأرانب وزويله بقيادة أحمد سيف النصر.

---

(1) موسوعة روايات الجهاد، مركز دراسة جهاد الليبيين. وقراتسياني في كتابه إعادة احتلال فزان، ص 200.

3 ـ ورفللة بقيادة عبد النبي بالخير ومن معه في وادي الآجال شرقي غات.
4 ـ المشاشية والجعافرة وأولاد بوسيف ومن معهم من المجموعات الأخرى يتواجدون عند بئر سويس في الرملة شمال غربي (أوباري).

احتلال أم الأرانب: 9 يناير 1930 ف

تقدمت القوات الإيطالية باتجاه أم الأرانب التي وصلتها يوم 9 يناير. وكانت ترابط بجانبها محلة أحمد سيف النصر التي هاجمتها الطائرات حيث تمكن المجاهدون من إسقاط طائرة وانسحبوا باتجاه (واو الكبير) حيث تقيم عائلاتهم لحملها بعيداً إلى أرض الهجرة وانتظار ساعة أخرى في زمن آخر يكون النصر حليفها.

وتقدم أحمد سيف النصر من جماعته وأخبرهم أنهم لم يعد باستطاعتهم الحرب، فلا يملكون أي شيء وأجسامهم منهكة ومتعبة من السير والجوع وحتى قلة الماء.

طلب مِّن يريد أن يهاجر معهم ويملك الإبل والقرب والصحة فليتفضل، ومن لم يستطع عليه أن يتقدم من الإيطاليين للتسليم، وهو مسموح منا لأنه كان مضطراً إلى ذلك ونحن جميعاً مضطرون إلى هذا الإجراء.

بين الألم والحزن والدموع وتحت ضغط الحاجة والفاقة وقلة الزاد والمركوب والذخيرة، انسحبت مجموعة من المجاهدين عائدة إلى حيث يتمركز الإيطاليون الأعداء مستسلمين وليلتقوا بأسرهم بعد أكثر من سبع سنوات قضوها في الحرب بالقبلة.

وواصل أحمد سيف النصر بمن معه سيره إلى (واو) غير أن المقادير تجري بما لا يتوقع الإنسان، والدنيا إذا أدبرت تسير في اتجاه معاكس من الصعب تحمله وتبريره لدى ضعاف النفوس. وبدأ يستعرض استسلام العائلات المتبقيّة في براك أمام الأمير الإيطالي معتبراً ذلك مفخرة ونصراً حققه بسلاحه. وهو يعلم والجميع يعلم أنّه لولا الخيانة لما وصل فراتسابي ولا غيره إلى أصقاع القبلة. ولكن علينا أن نأخذ عبرة من الماضي.

وأحسّ المجاهدون الذين فقدوا كلّ شيء وأسرهم التي تعيش في المجاعة بضعف موقفهم. وأنهم لا يستطيعون مصادمة هذا الزخم الجرّار من الجيوش المحمولة. وهذا الحماس لخدمة العدو من قبل المأجورين والذين يصفون أحقاداً قديمة.

وتقدّم إلى زلّه مجموعة من أُسر المغاربة مستسلمين وتقدّم إلى هون مجموعة من القذاذفة يقودهم الشيخ صنو بن رمضان وسلّموا 80 بندقيّة.

وهنا يصدق قول أبي فراس الحمداني رحمه الله:

وقال أصيحابي الفرار أو الردى　　فقلت هما أمران أحلاهما مُرُّ

لقد صرّح زعماء الجهاد للأشخاص الذين لا طاقة لهم بدخول الحرب كيف يكون الدفاع عن الوطن.

جهز الإيطاليون قواتهم وشحنوا طائراتهم بالقنابل الحارقة وتوجهوا بسرعة نحو واو، حيث تستقر العائلات بعيداً عن حماتها. وتسابق الخونة في خدمة المستعمر يزودونه بالأدلاء الذين يخبرون أقصر الطرق لمباغتة العائلات في خيامها.

احتلال (واو): 13 يناير 1930 ف

عند صباح يوم 13 يناير بدأت الطائرات تلقي بقنابلها على الخيام الآمنة تمزق أشلاء الأطفال والنساء والشيوخ واندفعت أرتال السيارات المصفحة والرشاشات تحصد الأبرياء في تلك القرية الهادئة النائية.

ويصف قراتسياني تلك المعركة التي لم تدر إلا في مخيلته لأن أغلب رجال المخيمات خارج المخيمات، والهجوم تم على العائلات. يقول قراتسياني:

«وكانت طائرات (رو) تقصف دون هوادة وهي تذهب وتعود بين النقطة التي دارت فيها المعركة وبين القاعدة المؤقتة للإمدادات.

ويجري إلى اليمين إطلاق نار البنادق بكثافة أكثر، تلك كانت السرية الطليعية فهي تهاجم مخيم عائلة سيف النصر. وكانت الكتيبة الصحراوية الثالثة تضغط من اليسار على الجانب المعادي بحيث أصبحت من العبث أية محاولة جدية للمقاومة، كان إطلاق النار الذي يقوم به القسم الثاني من المدفعية والرشاشات الثقيلة يسند العملية في حين تلوح على الصفحة الرمادية للمنخفض الرملي نقاط قائمة تتبعثر في كل مكان، إنه العدو يتقهقر. وفقد النقيب مادزيني طائرته على جبهة الكتيبة الثالثة في هبوط للمرة التاسعة وانقلبت طائرة أخرى عند انطلاقها فأصدرت أمراً باستمرار التعقب حتى الليل..».

ويستطرد:

«وكان الأمر متشائماً لأن طائرة أخرى انقلبت قبل قليل ولم يعد السرب صالحاً..».

وقراتسياني يجد المبررات لإصابات طائراته من قبل المجموعة القليلة من المدافعين عن المخيم.

وفي اليوم التالي بدأ قراتسياني يجمع غنائمه: بلح وشعير وقمح وذخيرة وخيام. ولم تغب ـ كما يقول ـ إلا الكنوز الحربية التي سافرت قبل قليل.

(1) إعادة احتلال فزان، ص 227.

ويقول: «كان هناك أربعمائة أسير كادوا يكونون كلُّهم من النساء والأطفال والشيوخ».

ويبرر عدم وجود الرجال من ضمن الأسرى بقوله لقد سقط الرجال في القتال.

هذه هي بطولة الإيطاليين والمارشال ـ في ما بعد ـ قراتسياني ولا يستحي إذ يقول:

«وقد راعى العساكر الذين أذنت لهم بالسلب والنهب بدقة ذلك الإذن الذي تلقوه».

وجاءه رسولان من مخيمات المغاربة المقيمة في الهروج (قرارة المحمد). ولكن قراتسياني بالرغم من طلب هؤلاء الرجال الاستسلام يوثقهما معه وينتقل بهما إلى المخيمات.

16 يناير مهاجمة مخيمات المغاربة في (قرارة المحمد)[1]

طوق قراتسياني بقواته (المخيمات) حيث يتواجد النسوة والأطفال والشيوخ، وأمر قراتسياني بإطلاق النار على العائلات وبدأ يجمع النساء والأطفال والشيوخ على اعتبار أنهم أسرى وبدأ في استجوابهم. ثم يقول عن مجموعة الرجال الذين استسلموا له في المخيم:

«وتم إعدام عمين من أعيان أولاد سليمان و13 رجلاً ممن أسروا وأسلحتهم في أيديهم وذلك بإطلاق النار عليهم مرة واحدة من جميع المدافع الرشاشة التي كانت تحت تصرفنا»[2].

يا لها من بطولة!!!

ويقول أيضاً معدداً بطولاته:

«ونستأنف السير وقد ترك للملازم (جوا) إنهاء عملية التطهير وتدمير معسكر قرارة المناصير الذي أضرمت فيه النار»[3].

ويفرض الإيطاليون على هذه العائلات التعِسة التي فقدت معيليها وفقدت مؤنها وأثاثها ووسائل ركوبها أن تسير على الأقدام والسياط تلهب ظهورها باتجاه التجمع الذي حددته إيطاليا لهم في سرت.

---

(1) قرارة المحمد منخفض من الأرض تنبت فيه أشجار الأثل وتتجمع فيه مياه الأمطار. يقع في الركن الجنوبي للهروج منطقة (المهرشمة) زرتها عام 1979.

(2) إعادة احتلال فزان، ص 234.

ويقول لي الحاج محمد التمامي الذي كان ضمن أطفال مخيم واو. لقد فررنا على الأقدام، الرجال المتبقون والنساء والأطفال بحيث وصلنا إلى (أوزو) بعد ستة أيام.

وقد تعبنا من السير، فأمر أبي أمي أن تلقي بأختي من على ظهرها وتتركها حتى تستطيع مواصلة السير، تركتها في الصحراء، بعد أن امتنعت في البداية. وكانت تسير قليلاً وترجع إليها عندما تسمع بكاءها فينهرها أبي لمواصلة السير فتلحق أمي بنا باكية ثم تعود. وأخيراً اسْتَمْرَرْنا في السير وبكاء أمي المتلاحق وبكاء أختي لا يزال يرن في أذني وهو يبتعد إلى أن انقطع.

توجّهنا إلى أوزو في اليوم السادس، وكان العطش قد قتل منا عدة أشخاص في الطريق. ولما وصلنا القرية منعنا (التبو) من الشراب إلا بمقابل، فكانت النسوة يدفعن ما بقي لهن من حليهن مقابل شربة ماء، حتى لحق بنا الرجال وأحمد سيف النصر الذي استولى على القرية وطرد الذين يمنعوننا من الشرب وسمح للناس جميعاً بأن يشربوا بدون مقابل.

أما في موقع المخيمات فقد بقي الخيام المحروقة والأثاث المبعثر وجثث الموتى وأشلاء الممزقين والجرحى والمشوهون الذين يئنون في الصحراء دون أن تجد الشفقة إلى قلوب جلاديهم طريقاً، تنهشهم السباع وهم يتألمون ويتناثر الأطفال حول الخيام المحروقة دون ماء أو طعام.

وقد أخبرني أحد المجندين مع الطليان ذلك اليوم قائلاً: لقد شاهدت أوراق المصاحف والكتب تنثرها الريح خارج الزاوية وتدوسها الإبل والخيول.

تلك هي مدنية روما!!

احتلال مرزق: 24 يناير 1930 ف

عادت القوات الإيطالية باتجاه مرزق حيث دخلتها يوم 23 يناير، ووصل والي إيطاليا (بادوليو) بالطائرة من طرابلس ليرفع العلم الإيطالي على سارية القلعة، ذلك العلم الذي مزقه المجاهدون فيها أواخر عام 1914.

وذكر قراتسياني بخياله الذي لا يحد بطولة شنباشي يمني خائن حافظ على ولائه لأسياده الطليان حتى بعد أن هربوا من القبلة وتركوه لمصيره بمرزق وقد حملوا أبناءهم البيض. ذلك الشنباشي يدعى محمد بن عبد الله الحبيشي كان نموذجاً لولاء البهائم لأسيادها.

تحركات المجاهدين
1931

عندما وصل الإيطاليون إلى (مرزق) لم يكن للمجاهدين أي وجهة يمكن أن يتوجهوها إلا اللجوء خارج الحدود.

تحرك محمد بن حسن والحاج محمد فكيني ومن معهما من المجاهدين من أغلب قبائل الغرب الليبي باتجاه (ليزي) القرية الواقعة قرب الحدود الليبية من الأراضي الجزائرية التي كان الفرنسيون يسيطرون عليها ذلك الوقت.

وتحرك عبد النبي بالخير بمن معه من قبائل ورفللة والمقارحة محمد بن عامر وقبائل أخرى متفرقة باتجاه غات، حيث تمكن أبو بكر لقوي في الأيام السابقة لوصول الإيطاليين إلى مرزق من استياق قطعان من الإبل للمجاهدين من ورفللة. فقرر عبد النبي عدم إضاعة الوقت في إرسال غزي لاسترجاعها والتوجه جميعاً نحو غات لاسترجاع الإبل أو أثمانها والخروج باتجاه الحدود الجزائرية (جانت).

أما مجموعات أولاد سليمان أحمد سيف النصر وإخوته عبد الجليل وعمر فقد توجهوا بمن معهم من قبائل أولاد سليمان وورفللة وقذاذفة باتجاه (أوزو) ودخلوا الأراضي التشادية حيث تسيطر فرنسا. ولكن عبد الجليل رفض تسليم أسلحته وعاد بمن معه إلى القفرة حيث استقر بها مع صالح الأطيوش.

أما مجموعات المغاربة بقيادة صالح الأطيوش فبرحت إلى جالو حيث تمركزت هناك في انتظار ما سيطرأ، خاصة وأن معارك الجبل الأخضر بقيادة الشيخ عمر المختار بدأت أصداؤها تصل إلى جميع أرجاء الوطن.

باتجاه غات

كلف الإيطاليون خليفة الزاوي بالتوجه من مرزق عن طريق وادي برجوج نحو

غات. كان خليفة الزاوي يتوق إلى ملاحقة عبد النبي بالخير الذي حاصره في مرزق قبل سنوات وأذله وطالب بإعدامه. وتقول بعض الروايات إنه قتل أحد أولاده وأحد عبيده، وسلبه ما يملك من مال بحجة أن ذلك كان ديناً عليه منذ أيام الجمهورية.

اندفع خليفة الزاوي في طريق مختصر قليل المياه وعر المسالك، ومع ذلك اندفع بدون تردد، وكان في معيته 600 مسلح. وكان خليفة هذا هو الذي احتل سبها ومرزق والقطرون لصالح القوات الإيطالية قبل قدومها إليها.

توجهت بقية القوات الإيطالية من سبها باتجاه أوباري العوينات. وفي أوباري استسلم الشيخان أحمد السني، ومحمد المهدي السني اللذان نقلا إلى مزدة مع والدهما الشيخ المسن محمد السني بطل معارك تشاد ضد فرنسا، وبقوا تحت الإقامة الجبرية.

وصل عبد النبي بالخير إلى غات بمراحيل المجاهدين وخيّم خارجها. واستدعى أبا بكر لقوي إلى خيمته وطلب منه استرداد الإبل التي استاقها ابنه وجماعته وأعطاه مهلة يومين، استطاع فيها أبو بكر لقوي أن يجمع الإبل المتواجدة في المنطقة، وأن يدفع أثمان الإبل التي ذهبت بعيداً لبيعها في أسواق جانت وليزي، وأن يدفع أقمشة وتمراً وزرعاً وكل ما يؤكل بديلاً عن الإبل.

عندما امتنع بعض المجاهدين عن تسليم أشياء نظير إبله قال له عبد النبي:

«إن العدو خلفنا، ولن نستطيع البقاء حتى ترجع الإبل وأن لقوي متفق مع الطليان وسيحمونه منا. عليكم أن تقبضوا أي شيء لأننا راحلون إلى الأمام».

والإبل التي لم يستطع أبو بكر لقوي دفع ثمنها كتب مستنداً فيها لعبد النبي بالخير، وابتاع المجاهدون من سوق غات ما ينقصهم. ويقول الخير تخمت إن الإيطاليين أرسلوه هو و (امغار تكينو) و (يحيى شوخمد) و (باخد محمد) من الشويرف إلى غدامس ومنها توجهوا في قافلة إلى غات حيث صادف وصولهم وصول عبد النبي بالخير إليها[1].

صادف أن نزل الجراد بجانب غات، فجمع منه المجاهدون مجموعات وأكلوها. وكان الجراد قد أكل نبات (الفلجلج) وهو نبات مخدر فأصيب أغلب الذين أكلوا الجراد بالسكر وباتت المخيمات في ليلة ليلاء[2] إلى الصباح.

الإيطاليون يتبعون مراحيل المجاهدين في محاولة لتطويقهم وإبادتهم وطائراتهم تلقي بقنابلها على مراحيل المجاهدين المهاجرين فتصيب الإبل والنساء والأطفال، والمجاهدون يدفعون المراحيل إلى الأمام وأصابعهم على الزناد واستطاعوا في إحدى

---

(1) انظر مقابلة الخير تخمت، المصدر السابق.

(2) رواية الحاج ريش البعباع للمؤلف.

المرات أن يسقطوا طائرة قرب الحدود الجزائرية[1].

وفي 4 فبراير 1930 وصلت مجموعة مقدمة مراحيل محمد بن حسن المشاي إلى (ليزي) حيث سلمت أسلحتها. وسمحت لها السلطات الفرنسية بالدخول إلى الأراضي الجزائرية، إذ إن محمد بن حسن سبق له أن أرسل وفداً من المشاشية من ضمنه ابنه علي يحمل رسالة إلى الحاكم الفرنسي يطلب منه السماح للمهاجرين بدخول الأراضي الجزائرية. وقد جاء الرد بقبول الطلب وقد كان ذلك في فبراير 1929[2].

استمع قراتسياني عبر اللاسلكي إلى برقية أرسلها مركز (طارات) الفرنسي يبلغ رؤساءه وصول المهاجرين. وكان قراتسياني في (العوينات) يطارد المهاجرين ففوجىء بالخبر وعبر عنه في كتابه (إعادة احتلال فزان) بقوله (صوت على غير انتظار).

استمرت الطائرات تقصف مراحيل المهاجرين، وجنود استطلاعه تشتبك مع مؤخرة المهاجرين في معارك منعت العدو من التقدم لتطويق الراحلين. وقد كانت هذه الاستطلاعات وأغلب الجنود من المجندين الليبيين الذين نسوا في غيبة الضمير أن هؤلاء الذين يطاردونهم هم صفوة مواطنيهم.

يوم 14 فبراير غادر عبد النبي بالخير والمجاهدون الذين معه غات باتجاه (طارات) عند الحدود الجزائرية.

وفي يوم 15 فبراير وصل خليفة الزاوي إلى غات حيث رفع العلم الإيطالي على الزاوية القرآنية في غات[3]. وقد أرسل قراتسياني رسالة إلى آمر حصن طارات الفرنسي يقول فيها:

تاخيوميت 18 فبراير 1930 السنة الثامنة.

من اللواء قراتسياني إلى آمر حصن طارات.

أعلمتني حكومتي أن سفارتكم في روما أكدت أنه قد صدرت أوامر إلى السلطات العسكرية على الحدود بالسماح بمرور المجموعات المتمردة من الطرابلسيين بشرط تجريدهم من السلاح.

إنهم يفرون منذ 13 فبراير نحو الحدود تحت ضغط قواتي حيث شاهدتهم طائراتي هذا الصباح ولم تقصفهم برغبة منها.

---

(1) رواية عبد الرحمن المريض البوسيفي.

(2) مذكرات محمد بن حسن المشاي (مقابلة) كتبها حسن خشيم.

(3) أخبرني الحاج أحمد العربي عبد القادر أن المواطنين احتجوا فأنزل الإيطاليون العلم من على الزاوية.

ما أزال باستطاعتي أن أتعقبهم بيسر ولكني أمتنع عن ذلك لأتوصل إلى أن يكون هذا الجلاء إلى أراضيكم يتم بانتظام تحت رقابتكم من أجل نزع الأسلحة للصالح المشترك.

عملاً على تسوية أعمالي اللاحقة، سأكون شاكراً جداً لكم إذا ما تكرمتم بتزويدي عن طريق مراسيلي بالقواعد الكاملة التي تحكم مرور القبائل وشيوخها إلى ما وراء الحدود.

وتفضلوا بقبول شكري سلفاً وتحياتي القلبية.

اللواء رودلفو قراتسياني

ملحق خبر: بشأن أية اتصالات باللاسلكي من حضرتكم أفيدكم بأن محطة اللاسلكي التابعة لي تسمى كالآتي (ح. ت. ت) ويمكنها الإذاعة بأطوال الأمواج التالية 750 ـ 900 ـ 1250 وتسهيلاً للاتصال باللاسلكي سأكلف بإجراء مكالمات على الموجة 900م ابتدأء من صباح الغد، 9 كل ساعتين ابتداء من الساعة 08.

*

وقد أرسل قائد الحصن الرسالة التالية لقراتسياني.

طارات 20 فبراير الساعة 3 صباحاً

عزيزي اللواء:

يشرفني أن أفيدكم باستلامي لخطابكم

لظروف تخرج على إرادتي، واجه العسكريون التابعون لكم بعض طلقات البنادق من العرب الذين لم يدخلوا بعد الأراضي الفرنسية. اعتباراً من اليوم ستتولى دورياتي تطهير المنطقة وتجميع كل النازحين بطارات، حيث سيجردون من السلاح ويحرسون، وقد تم القيام بجزء من هذا العمل نهار الأمس.

أمرت بأن أسمح لقواتكم بالمرور للقيام بالدوريات وبإمكاني إذا ما رغبتم أن أفيدكم بشأن نزع السلاح وعدد الأهالي الذين غادروا (فزان).

سأرافق أنا بنفسي العسكريين التابعين لكم إلى الحدود وسأخصص لهم دوريتين من مجموعتين كحراسة إلى أن يصلوا إليكم. فاسمحوا بإفادتي بتعليماتكم الخاصة بأماكن توقفكم وتاريخ وصول قواتكم.

وإذا ما احتجتم إلى مرشدين فيمكننا تقديم خدماتنا لك.

وإني أيها اللواء تابعكم المخلص.

الملازم لاني

ويقول المجاهدون الذين رافقوا مراحيل عبد النبي بالخير، إنهم هددوا الضابط الفرنسي بأن يطرد الجنود الإيطاليين الذين وصلوا إلى طارات مرسلين من قبل قراتسياني وإلا فإنهم سيفتعلون معركة معهم. وهذا هو حديث الملازم الفرنسي في رسالته حيث يقول «سأرافق أنا بنفسي العسكريين التابعين لكم إلى الحدود وسأخصص لهم دوريتين من مجموعتي كحراسة إلى أن يصلوا إليكم..».

تجمعت العائلات المرافقة لمحمد بن حسن المشاي من مشاشية وجعافرة وعكاره وطوابين وغيرهم. والعائلات المرافقة لمحمد بن عامر من مقارحة ومن معهم في ليزي. كما تجمعت العائلات الراحلة مع عبد النبي بالخير في وادي (تهاوت) بالقرب من جانت حيث حوصروا هناك انتظاراً للأوامر الفرنسية ولمدة أكثر من أربعة أشهر وسيطر الإيطاليون على فزان الغربية من مرزق إلى غات وتفرغوا لضرب الواحات الشرقية حيث تستقر قبائل زويه وبعض أولاد سليمان.

ويقول المجاهد محمد بن الحفيظ امحمد الصديقية، يروي قصة الهجرة والمطاردة من قبل الإيطاليين وكان ضمن مراحيل محمد بن حسن المشاي وعمر بن سلمى البوسيفي قال:

«هاجرنا من فزان، وفي أحد الأيام قصفتنا طائرة فهربنا وبقي والدي لأنه عاجز وسقطت بجواره عشر قنابل لم تنفجر، وفي يوم آخر قصفتنا الطائرات فكنت ترى المرأة تقفز من هودجها تاركة رضيعها وهي تطلب النجاة.

كما قصفت قافلة أحمد بن سلمى وأسقطت منها 16 ست عشرة ناقة كما قتل شخص اسمه بشير أبو رقية».

ويستمر الحاج محمد في حديثه قائلاً:

«وتخلفت عن قافلتنا امرأة عثر عليها العساكر وسألوها عنا فأجابتهم بأن لدينا السلاح ومستعدون للقتال ولذلك عدلوا عن الهجوم علينا»[1].

وقد صادف اليوم الأخير لخروج الليبيين من الحدود الليبية باتجاه الجزائر هبوب

(1) موسوعة روايات الجهاد، جمع المبروك الساعدي، ص 181.

عاصفة رملية منعت الإيطاليين من استخدام الطيران ومنعتهم الرؤية لملاحقتهم، حيث وصلوا الحدود دون خسائر ودون إزعاج ذلك اليوم.

احتلال القفرة

كان الإيطاليون يمهدون لاحتلال القبلة كلها وذلك للسيطرة على كامل التراب الليبي. وكان لانقسام العائلة السنوسية بين مؤيد للاحتلال وبين رافض له قد جعل الذين يرفضون الاحتلال يخرجون من ليبيا أحمد الشريف، صفي الدين السنوسي، والذين يؤيدون الاحتلال أو أنهم على اتصال بالإيطاليين يبقون بالوطن وفي اتصال مستمر، الرضا السنوسي، هلال السنوسي الذي انحاز كلية للعدو.

ويقول انجيلو ديل بوكا في كتابه «الإيطاليون في ليبيا»، الجزء الثاني:

«. . الأزمة التي حاقت بحركة المقاومة السنوسية قدمت أولى ضحاياها وكان من قمة النخبة فهو نفس السيد محمد الرضا نائب ادريس. ففي 27 اكتوبر 1927 وصل عبد العزيز العيساوي الزنتاني إلى بنغازي قادماً من جالو النائية - ويشغل في الحكومة السنوسية في جالو منصباً يقارب منصب وزير الخارجية - يحمل بعض الرسائل ذكر في بعضها أن الظروف الطارئة قادتني إلى القيام بأعمال لا تطابق ما أرغب فيه. ويعد بأن يقوم «بكل ما سيطلب منه توفيراً للطمأنينة للبلد». وفي رسالة تالية بتاريخ 14 ديسمبر عرّف رد تيروتستي بأنه رد «سام»، وأنه يسلم نفسه إلى كرم الحكومة الإيطالية قائلاً «أشعر بطمأنينة كاملة لأن لي كامل الثقة في كلمتكم المخلصة التي تؤكد المعاملة التي ستقوم بها الحكومة لصيانة شرفنا». . »[1].

وقد أفسح تروتستي المجال للرضا في أن يتقدم للاستسلام في أجدابية، حيث قدم نفسه للطليان في 3 يناير 1928.

كما قام عابد السنوسي الذي يقول ديل بوكا في كتابه أنه «كان على اتصال بـ (تيروتستي) منذ زمن. وأظهر أنه في شقاق مع بقية أفراد الأسرة السنوسية ولم يخف نيته في الافتراق عنهم. وفي يوليه سنة 1928 وبعد تفكك القوات السنوسية في الاشتباكات على خط 29 أقدم على ما هو أكثر بإرسال اثنين من أبنائه إلى جالو هما أحمد بن ادريس ومحمد عبد المطلب محملين ببعض الرسائل يعرض فيها استسلام الكفرة غير المشروط وتجريدها من السلاح. . »[2].

---

(1) الكتاب المذكور ص 151، منشورات جهاد الليبيين.

(2) ديل بوكا، المصدر السابق، ص 156.

«ثم واصل الرسولان سيرهما إلى بنغازي حيث أقاما فترة طويلة من الزمن حتى غادراها في 23 سبتمبر وبرفقتهما أحد أطبائنا العسكريين الدكتور (بيريتزي) الذي قبل بعد إلحاح مرافقتهما وذلك لمعالجة والدهما المريض»[1].

ويقول دي بوكا:

«وقد أرسل الوالي الإيطالي أولاد عابد مرة أخرى إلى الكفرة وأرسل معهما بعثة طبية لمعالجة عابد (علاج كبير واحة الكفرة الهرم واستحلاب معلومات عن حقيقة حالة الواحة السياسية، إلا أن القافلة أسرت عند وصولها يوم 10 أكتوبر إلى تازربو أولى واحات الكفرة من قبل أهالي المنطقة «زويه» الذين تمردوا في الوقت نفسه على محمد عابد متهمينه ببيع الكفرة للإيطاليين ومجبرينه على الهرب» (ص 157).

وقد انتقل محمد عابد إلى بوركو (فايا) بمنطقة تشاد كما ارتحل (شمس الدين) إلى داخل مصر بمن معه من مناصري الاستسلام وقد تجمع المجاهدون في القفرة، وعقدوا العزم على مواصلة الجهاد، ومما زاد المجموعات ترابطاً رسالة وصلت من الشيخ أحمد الشريف من منفاه في المدينة المنورة يكلف فيها (صالح الأطيوش) و (عبد الجليل سيف النصر) ويفوضهما بكامل السلطات على الكفرة[1].

معركة أجخرة: 2 يناير 1929 ف

شكل الإيطاليون سرية للاستطلاع وأرسلوها إلى واحة (أجخرة). وكان في هذه الأثناء تشكلت محلة من المجاهدين بقيادة المجاهد صالح بوكريم وتوجهت نحو الشمال تبحث عن الإيطاليين.

وعند وصول المحلة إلى الواحة اصطدمت بالسرية الإيطالية فسحقتها عن آخرها.

ويقول انجلو بتشولي:

«في 2 يناير أرسلت دورية من رجال المهاري من جالو إلى أجخرة إلا أنها لم تعد بعدها إلى قاعدتها. وفي اليوم التالي قام حاكم المنطقة بجولة استطلاعية في اتجاه (أجخرة) فشاهد عن بعد محلة ضخمة لم يرَ من المناسب الاشتباك معها واستخلص من المعلومات التي حصل عليها أنها كانت قادمة من الكفرة وأنها غزت واحة (أجخرة) وعاثت فيها فساداً بالسلب والنهب ثم تقابلت مع دوريتنا فأبادتها..»[2].

---

(1) انجلو بتشولي، ايطاليا ما وراء البحار، الجزء المتعلق بليبيا الجانب العسكري، ترجمة عبد الرحمن العجيلي، مراجعة د. صلاح الدين السوري، منشورات مركز جهاد الليبيين، ص 212.

(2) إيطاليا ما وراء البحار، المصدر السابق، ص 213.

ويستمر انجلو بتشولي متتبعاً أخبار المحلة:

«ومن أجخرة أخذت المحلة تتحرك ببطء وعلى مراحل قصيرة، في اتجاه شمالي - غربي. وكانت الطائرات تراقبها حتى حلت يوم 20 يناير بالمنطقة الواقعة بين القارة المشرفة على وادي ماجر وقارة تيسلاميت»[1].

معركة قارة تيسلاميت: 19 - 20 يناير 1929 ف

عند وصول المحلة إلى هذه القارة، كانت القوات الإيطالية تزحف نحوها ويرصدها الطيران. وفي يوم 19 تحركت القوات الإيطالية بقيادة (ماليتي) واصطدمت مع المجاهدين في منطقة أجخرة حيث انسحب المجاهدون .وتمركزوا في قارة (تيسلاميت). وقد كان في هذه الأثناء يزحف نحوهم فيلق (توريلي) وفيلق (بالادينو) والكتيبة المصفحة والكتيبة الأرترية الخامسة و3 فرق هجانة. ونشبت المعركة حامية الوطيس وشديدة واستمرت أربع ساعات انسحب على إثرها المجاهدون بعد أن سقط منهم مجموعة كبيرة من الشهداء كان على رأسهم المجاهد الكبير صالح بوكريم رحمه الله[2].

ويقول الإيطاليون إن المجاهدين فقدوا 226 شهيداً، وغنم العدو 173 بندقية. كما يقول الإيطاليون إن خسائرهم 12 قتيلاً من بينهم ضابط وجرح 18 آخرون. وقد تكتم الإيطاليون عن عدد أفراد السرية التي أبيدت قبل هذا التاريخ بأيام، كما حاولوا تخفيف خسائرهم، وتكتموا أيضاً عن إلقاء الغازات السامة على المجاهدين من الطائرات.

وانسحب المجاهدون إلى مواقع انطلاقهم في القفرة وأصدر الوالي الإيطالي بلاغاً إلى المواطنين الليبيين يعدهم فيه بالعفو عن مَن يريد أن يستسلم ويسلم سلاحه، جاء فيه:

«.. وعندما أشعر بأنني انتظرت الوقت الكافي سأشنها حرباً على كل من يتباطأون في تسليم أنفسهم، إنني لن أتحمل مسؤولية هذه الحرب - كما يعلم ذلك سكان برقة كافّة - لأنني نطقت كلمة السلام. ولكنني إذا ما أرغمت على شن الحرب فإنني سأخوضها بوسائل وأساليب جبارة سوف تبقى ذكراها على مدى التاريخ.

لن تكون هناك هدنة لأي عاصٍ سيلاحق هو ومواشيه وورثته، سأدمر الجميع،

(1) المصدر السابق.

(2) صالح بوكريم الزوي، من كبار المجاهدين الليبيين الذين خاضوا الجهاد ضد الفرنسيين في تشاد إلى آخر المعارك، ثم ساهم في الجهاد ضد الطليان في الفترة ما بعد عام 1915 وهو من قبيلة (زويه).

الإنسان والأشياء»[1].

في ذلك الوقت، أي بداية عام 1930، كان المجاهدون يتمركزون في الهروج والقفرة ومجموعات عمر المختار تحتل الجبل الأخضر وتشن حرب العصابات على القوات الإيطالية التي تقبع في معسكراتها وتحاول دخول الجبل الأخضر بدوريات أغلبها من المواطنين المجندين.

ورداً على هذا التبجح الإيطالي باستخدام القوة والإبادة للجميع تحركت مجموعات من المجاهدين من منطقة الهروج لمهاجمة الإيطاليين على الساحل وفي المواقع التي يتوقعون فيها الأمان.

معركة سيخ حمد

كلف صالح الأطيوش غزياً بقيادة ابنه الشريف واستطاع هذا الغزي أن يشق طريقه بين المراكز الإيطالية حتى وصل الساحل، وهاجم الإيطاليّين في منطقة (سيخ حمد) واستطاع المجاهدون أن يغنموا من العدو 200 بعير.

وانسحب الغزي باتجاه الجنوب، غير أن الشريف لم يتفق في الرأي مع أحمد بن شعيب البهيجي الذي كان من رأيه عدم الاقتراب من مراكز تجمع الإيطاليين. فانسحب أحمد شعيب مفارقاً الشريف ومعه مجموعة من المجاهدين وبقي مع الشريف 40 مجاهداً استمروا في سيرهم حتى وردوا عين الغزلان (مدوين) بالقرب من زلّة ليلاً وواصلوا سيرهم.

معركة راس الحاد: 26 مارس 1930 ف

سار الشريف بمن معه حتى التقوا بقافلة للزياديين قادمة من أجدابية محملة بالتموين والقماش والشاي والسكر وغيره. وكان على رأس الزياديين (الولي سيدي علي الغالي) فاستولى المجاهدون على القافلة، وقبضوا على الزياديين حيث أبقوهم معهم ثلاثة أيام ثم أطلقوا سراحهم.

هرب أحد الزياديين من القافلة ووصل إلى زلّة وأخبر الإيطاليين ما حصل فكلفوا (50) هجيناً برئاسة الأمباشي محمد المزوغي وقصدوا المكان المحدد حيث إن المجاهدين لم يبرحوا مكانهم لأنهم قرروا الاستراحة حول غدير ماء (قلتة وادي البنيه) إذ صادف سقوط المطر بغزارة فنشروا ملابسهم، وكذلك الأقمشة التي كانت تحملها قافلة

---

(1) إيطاليا ما وراء البحار، المصدر السابق، ص 216.

الزياديين لتجفيفها مما أصابها من بلل.

كان المجاهدون في استرخاء تام عندما هاجمتهم هجانة العدو على حين غفلة، وكانت ذخيرتهم قليلة، فاشتبكوا مع العدو وسقط منهم عدة شهداء منهم:

مسعود وخير عبدي صالح الأطيوش، وجاب الله بوميس، ومحمد عقبة أبو شيبة، ومسعود أبوليس، وثلاثة من أولاد سليمان بينهم علي التمامي، ومن زويه اثنان وواحد عريبي اسمه صالح وعلي بن سالم قذافي، وجرح مسعود الجالط السليماني وصالح الورفللي السباعي وحميد النوفلي[1] كما استشهد اثنان من هون: حمد بن أحمد بن عبيد ومحمد الجبو[2].

ويقول علي يوسف الأشهب الذي حضر المعركة:

«إن حميد النوفلي، وصالح الورفللي، وشوشان الجالط، وعلي بن يوسف بقوا (20) يوماً بالهروج يعالجون شوشان الجالط من جراحه التي أصيب بها في رجله. ومنها توجهوا إلى تازربو بعد أن تزودوا بالماء من ثماد (زويه) ووصلوها بعد أربعة أيام ساروها بلياليها، فوجدوا الإيطاليين قد احتلوها وأهل القرية بين قتيل ومهاجر، فاستسلموا للعدو لأنهم بدون ذخيرة فقبضوا عليهم ورحلوهم إلى طرابلس حيث قضوا في السجن سنة ونصفاً».

ويقول علي بن يوسف إن مشيخة يوم الاستيلاء على القافلة كانت لعلي بن سالم القذافي، إذ كان المجاهدون يترأسهم أحدهم بالتناوب كل يوم. وفي رواية علي بن يوسف في آخر الشريط يقول إن علي بن سالم القذافي لم يستشهد ذلك اليوم وبقي على قيد الحياة حتى وصل إلى فزان واستسلم للإيطاليين[3].

هذا بالنسبة لهذه المجموعة التي بقيت بالهروج.

معركة ثماد بوحشيشة: مارس 1930 ف

انطلقت مجموعة من المجاهدين في انسحابها باتجاه ثماد بوحشيشة بعد معركة (راس الحاد)، وكان على رأسها الشريف الأطيوش وولد الصبيحي، ولما اقتربوا من الثماد ليلاً اختلفت المجموعة في رأيها. إذ إن بعض المجاهدين رأوا عدم ورود الثماد لأن الإيطاليين ربما وصلوه وسيطروا عليه، وانفصلت هذه المجموعة. أما الشريف

---

(1) رواية علي يوسف الأشهب.

(2) رواية مختار أحمد مازن.

(3) موسوعة روايات الجهاد، جمع عبد الرحمن عمر البريكي.

وولد الصبيحي ومعهما مجموعة صغيرة فقرّروا ورود الثماد لما أصابهم من العطش.

وعند وصولهم إلى الثماد قابلهم العدو بنيران حامية ولم تكن عندهم ذخيرة إلا بعض الطلقات، فسقط منهم عدة شهداء. وتم القبض على الشريف وولد الصبيحي لأنهما بدون ذخيرة ونقلا إلى طرابلس حيث تم إعدامهما هناك[1].

وقد علم علي بن يوسف بموضوع الشريف عندما مَرَّ بثماد بوحشيشة وهما معتقلان من قبل جنود الطليان من (تازربو).

معركة (عويدات الحد): 3 يوليه 1930 ف

كلف صالح الأطيوش مجموعة أخرى من المجاهدين باتجاه الشمال الشرقي بقيادة عبد ربه القدر فهاجمت الإيطاليين يوم 11 يونيو 1930 بمنطقة (الطوال) بين الحسيات والصحابي، فتحركت قوات العقيد ماليتي المدرعة واشتبكت مع الثوار في (عويدات الحد).

كما صادفت القوة المدرعة المتوجهة إلى تازربو مجموعة من المجاهدين في (عين سيدي محمد) وتمكنت رغم المقاومة الباسلة والشديدة من إبادتهم جميعاً عليهم رحمة الله.

وركزت الطائرات الإيطالية غاراتها على تجمعات المجاهدين وحيواناتهم.

وقد وزع المجاهدون مجموعاتهم لمواجهة القوات الإيطالية الزاحفة باتجاه (القفرة) فاستقر صالح الأطيوش بمن معه من المجاهدين بمنطقة (الهواري) واستقر عبد الجليل سيف النصر بمن معه من المجاهدين بمنطقة (التاج)[2].

معركة ثماد بوحشيشة الثانية: (30 أكتوبر 1930 ف)

نظراً لأن هذا الموقع هو المصدر الوحيد للمياه في منطقة السرير بين زله والحدود المصرية، فإن أغلب المجاهدين الذين يرتحلون من منطقة زله لا بد لهم من ورود هذا الثماد أو ثماد آخر يسمى ثماد زويه، ليس بالبعيد عنه أو ثماد قرارة امحمد الواقع إلى الجنوب من الثمادين الأولين.

لهذا قرر الإيطاليون نصب مراكز لهم في هذه المواقع لمنع المجاهدين من التزوّد بالمياه.

---

(1) رواية علي بن يوسف الأشهب، المصدر السابق.

(2) انظر صالح الأطيوش حياته وجهاده، محمد عبد الرازق مناع.

وقد وقع في هذا الثماد معركة يوم 30 أكتوبر. ويقول الأستاذ التليسي في كتابه «معجم معارك الجهاد في ليبيا»:

«جرت في هذا الموقع في 30 أكتوبر 1930 معركة بين قوة صغيرة من المجاهدين وقوة إيطالية كبيرة. وتدعي المصادر الإيطالية أن الوحدة أبيدت»[1].

معركة القفرة: 19 يناير 1931 ف

وصلت القوات الإيطالية إلى القفرة يوم 19 يناير واستقبلت بوابل من الرصاص ودفاع مستميت من قبل المجاهدين تقهقر على أثره الهجوم الإيطالي، واندفع المجاهدون في هجوم موفق وصفه قراتسياني بقوله:

«.. ولكن شجاعة الثوار.. واستماتتهم في الدفاع ضغطت على الجناح الأيمن وأرغمته على التقهقر بعد أن كانت قواتنا مهاجمة أصبحت منهزمة، وبينما نحن على هذه الحالة وصلت القوات الطرابلسية التي أخذت علماً بالهزيمة عن طريق الطيران.. وكانت المقاومة عنيفة جداً. وعلى أثر هذه المعركة وصلت الأخبار إلى قاعدة الزيغن، وكان ذلك عند الساعة الحادية عشرة وبعدها بدقائق قامت ثماني طائرات من طراز (روميو) المقاتلة محملة بالقنابل.. فأقلعت نحو الهواري ـ منطقة القتال ـ وفي الساعة الثانية عشرة والنصف كانت الطائرات تحلق فوق منطقة المعركة وهي (الجوف)، وفي الحال بدأت الطائرات عملها في إلقاء القنابل واستعمال المدافع الرشاشة، الأمر الذي جعل الثوار يلجأون إلى منطقة الهواري.. للوقاية من الغارات الجوية»[2].

واشتعلت المعركة في اليوم الثاني 20 يناير شديدة وقوية.

ويقول قراتسياني مادحاً صمود المجاهدين وقادتهم:

«.. حتى ولو أنها حملتنا خسائر فادحة، لكن كان النصر لنا نتيجة أن قوات الثوار تحت قيادة رجال مهمين من أمثال «صالح الأطيوش» و «عبد الجليل سيف النصر» و «حمود بن شغيلي» و «حمد بن شريف» و «عبد الحميد بومطاري» الذين قابلوا قواتنا الكبيرة بكل عددها وعدتها من دبابات وطائرات وأنها معركة غير متكافئة، رغم هذا كله كانوا أشداء أقوياء صامدين صابرين لا يتقهقرون أبداً حتى ولو أدى ذلك لفنائهم جميعاً مؤمنين بأنهم أصحاب حق وشجاعة»[3].

---

(1) التليس، المصدر السابق، ص 97.
(2) قراتسياني، برقة الهاوئة، ص 210.
(3) قراتسياني، برقة الهاوئة، ص 211.

ويقول قراتسياني:

«أسفرت المعركة عن مائة قتيل وأسرنا ثلاثة عشر ثائراً خلاف الجرحى ومائة بندقية وبعض صناديق الذخيرة.

وقد قتل منا الملازم أول هازل والملازم أول (بيبيتوني) هذا الأخير جرح جرحاً بالغاً مات من أثره في قاعدة (الزيغن) ونقل إلى طرابلس على متن طائرة عسكرية، وكذلك بعض الجنود الأرتريين قتلوا وبقي منهم ستة عشر جريحاً..»[1].

ووصل إلى زاوية التاج (الدوق دللي بولبي دي صافويا أوستيا) وهو أمير إيطالي يكيل له المديح دائماً قراتسياني في مذكراته. والفريق (بالبو) الوالي الإيطالي لبرقة وطرابلس ليرفعوا العلم فوق زاوية التاج القرآنية.

ورفع العلم الإيطالي فوق الزوايا القرآنية له مدلوله، فالحملة صليبية لا شك، وهم يرون أن الزوايا والدين الإسلامي أكبر المتصدين لهذه الحملة. وزاوية التاج، لم ينس الإيطاليون دورها في التصدي للحملة التبشيرية المسيحية في أفريقيا وحمل أتباعها راية الجهاد المسلح ضد الإيطاليين.

وقد انسحب من القفرة بعد المعركة نحو الشرق والجنوب عبد الجليل سيف النصر، وصالح الأطيوش باتجاه الصحراء حيث سارت مراحيل المجاهدين من زويه والمغاربة وأولاد سليمان وغيرهم من القبائل الأخرى باتجاه مصر والمثلث الذي يطل على حدود السودان. وقد سقط في هذه المعركة المشرفة المجاهد عبد الحميد بومطاري قائد مجاهدي زويه في المنطقة، وغيث بوقنديل الذي جرح في المعركة واستسلم جريحاً فأعدمه الإيطاليون عليه رحمة الله.

ويقول قراتسياني:

«وفي يوم 20 يناير 1931 صدرت الأوامر إلى القوات الجوية بملاحقة المنسحبين وإلقاء القنابل عليهم ومطاردتهم إلى أن يفنوا جميعاً[2].

وقد استمرت الطائرات الإيطالية بمطاردة المجاهدين المنسحبين حتى بئر (بشارة) جنوباً باتجاه (تيبستي).

وفي الطريق التي سلكتها القوات الإيطالية المكلفة بملاحقة مراحيل المجاهدين تم أسر 50 رجلاً جلهم من الشيوخ والرعاة قتل منهم الإيطاليون 12 رمياً بالرصاص في

---

(1) قراتسياني، برقة الهاوئة، ص 212.

(2) محمد بن عمر الفضيل، هو ابن المجاهد عمر الفضيل الذي يقاتل في الجبل الأخضر مع عمر المختار.

المكان نفسه الذي استسلموا فيه. كما أعدم محمد بن عمر الفضيل[1] وأمينه أحميدة بن علي الفضيل في الجوف مع 200 تقريباً بين نساء وأطفال وحيوانات»[2].

ويقول قراتسياني:

«عندما وصل النقيب (بونينكي) إلى معطن (بشارة) والطرق المتفرعة منه وجدها مليئة بجثث الموتى والأشلاء المبعثرة للنساء والأطفال نتيجة الغارات الجوية»[3].

ويقول «إن حصيلة شهداء يوم 19 كانت 200 شهيد و160 بندقية».

وقد انطلقت مراحيل المجاهدين باتجاه مثلث السودان مصر، حيث وصلوا إلى مأمنهم بعد مشاق من العطش الذي فقدوا بسببه مئات الأشخاص والجوع والتعب والإرهاق، يقودهم إلى المهجر عبد الجليل سيف النصر، وصالح الأطيوش، حيث وصلوا إلى العوينات ومنها إلى بئر (آبار المرقى) ثم تاهت تلك المراحيل في المثلث الصحراوي بين مصر والسودان وليبيا وقضى 170 شخصاً نحبهم عطشاً. وكادت كل المجموعات تهلك لولا مصادفة مرور دوريات إنكليزية منطلقة من مصر جمعت فلولهم وأوصلتهم إلى (المنيا) بمصر.

وقبل أن ننهي هذا الفصل نورد حديثاً لمواطن ليبي شاهد هذه المعارك الأخيرة وحضر ضرب الإيطاليين بالغازات السامة للمواطنين في تازربو، ذلك المواطن هو (محمد أبا علي الزوي):

«وتوفر لنا عن آثار الغارة شهادة أحد الليبيين استمع إليها آمر الشرطة العسكرية في العقيلة فينتشينتو كاسوني وحولها المقدم لوردي إلى روما». وتقول الشهادة:

«وفق تكليف تلقيته من السيد آمر الطيران في برقة بالأمس استنطقت محمد أبا علي الزوي أحد عصاة الكفرة حول الآثار الناتجة عن الغارة التي شنت على تازربو. قدم المذكور من الكفرة ووصل تازربو بعد حدوث الغارة بأيام عدة وعلم بأن عواقبها الفورية كانت أربعة قتلى، غير أنه شاهد الكثير من المرضى الذين أصابتهم الغازات السامة، كما شاهد الكثيرين الذين غطت أجسادهم قروح كأنما أحدثتها فيهم حروق شديدة. وتمكن الشاهد من أن يحدد أن أجساد المصابين اعتراها في الساعات الأولى التي أعقبت الغارة انتفاخات واسعة تتفجر بعد أيام بسائل لا لون له ويبقى اللحم

---

(1) المصدر السابق.

(2) هكذا يروي قراتسياني بطولاتهم في قتل الأولاد والنساء وحتى الحيوانات وهذه هي حضارة روما.

(3) قراتسياني، برقة الهاوثة، ص 214.

السليخ من الجلد حياً متقرحاً».

ونقل حديث· أحد الطيارين الذي يروي بطولاته بقتل الأطفال والنساء والحيوانات بتبجح:

وكتب أحد طياريه وهو فينتشينتو بياني يقول:

«أقلعت الطائرات من بئر الزيغن عند الفجر وتعرفت إلى آثار أقدام العصاة الهاربين وتتبعتها حتى صارت فوق الرجال وكان للقنابل أثر ضئيل نظراً لأن أجزاء الهدف أشد ما تكون تفرقاً. أما الرشاشات فتظفر دائماً بصيد وفير، تصوب نحو رجل فتسكن حركته إلى الأبد. وتوجه إلى ذود من الإبل فتصرعه جميعه [...] وتستمر اللعبة طوال النهار وتتكرر في غده وفي اليوم الثالث أيضاً. وتواصل استكشاف جميع طرق التراجع المحتملة وثمّ تتبعها لمسافة 300كم أي إلى الحد الذي تمكن فيه رؤية آخر هارب. وتحولت طرق قوافل النجاة المأمولة إلى مقبرة لموتى مهملين لن يفكر أحد في دفنهم»[1].

هكذا هي طرق الكرامة، ورحم الله المتنبي حيث يقول:

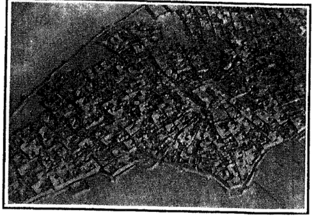
لولا المشقة ساد الناس كلهم　　　الجود يفقر والإقدام قتال



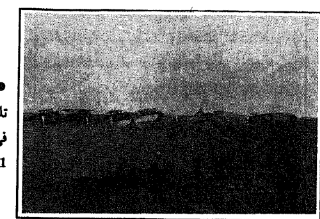
● هذه الغابة المتحركة من الإبل المحتلة والخيل والبغال هي (قوات) قراتسياني المتحركة باتجاه (الجفرة)

عن كتاب (إيطاليا الجديدة)

(1) ديل بوكا، المصدر السابق ص 253، أخذاً عن ف. بياني عمل مذكور في ص 243ـ 244.



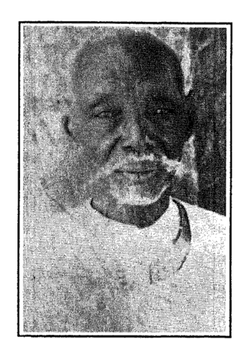
● مدينة سوكنة 1917 ويرى السور المحيط بالمدينة. الصورة أخذت من الجو
(عن كتاب الصحراء الطرابلسية)



● أسراب الطائرات الإيطالية التي تلقي القنابل والغازات على المواطنين في موقع تجميعها في (بئر الزيغن) 1931



● صورة المجاهد محمد بن حسن المشاي (الصورة من أرشيف مركز جهاد الليبيين)
ساهم في المعارك الأولى للجهاد، ثم انضم للإيطاليين من سنة 1922 إلى سنة 1926 وانقلب عليهم حيث أبلى البلاء الحسن في معارك الجهاد بعد 1928. هاجر إلى الجزائر ثم إلى تونس وعاد إلى الوطن بعد الحرب العالمية الثانية



● صورة المجاهد قجة عبد الله من عرب تشاد أحد قادة أدوار الجهاد في المناطق الشرقية (الصورة من أرشيف مركز جهاد الليبيين)



● البعثة العسكرية الطبية التي أرسلها الإيطاليون لعابد السنوسي لمعالجته واستطلاع الأمور في القفرة أكتوبر 1928، وكان على رأسها النقيب (بريتزي) الذي ألف كتاباً عند أسره من قبل المجاهدين أسماه (مائة يوم في الكفرة) وعنه أخذنا هذه الصورة

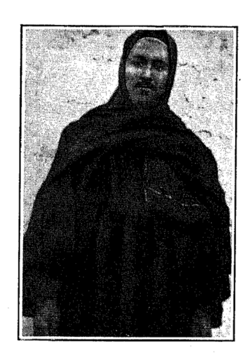


● مجموعة من (المحافظية) في الكفرة

عن كتاب (مائة يوم في الكفرة)

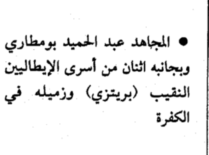


• قوات المجاهدين أثناء التدريب في الكفرة
عن كتاب (مائة يوم في الكفرة)



• السنوسي شمس الدين
هاجر إلى السلوم قبل معركة (الكفرة)

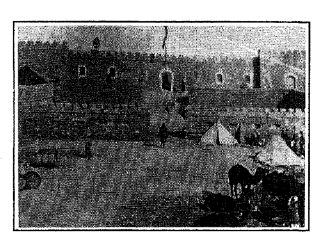




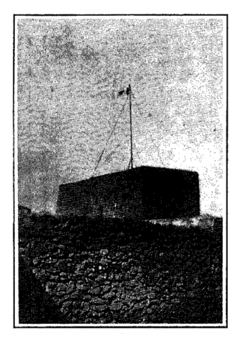
• المجاهد عبد الحميد بومطاري وبجانبه اثنان من أسرى الإيطاليين النقيب (بريتزي) وزميله في الكفرة



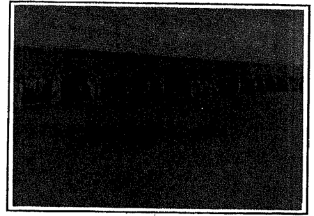
• العلم الإيطالي على قلعة (جالو) عند وصول الإيطاليين إليها



• قلعة (زلة) عند وصول الإيطاليين إليها 1929



• العلم الإيطالي على الزاوية القرآنية بواحة التاج، دلالة على الحملة الصليبية الإيطالية



● تجميع المواطنين نساءً وأطفالاً وشيوخاً ورجالاً في الصحراء لإبادتهم وشحن المتبقين منهم إلى المعتقلات





● المجاهد صالح الأطيوش قائد دور المغاربة من مواليد سنة 1882
بعد انتهاء حركة الجهاد 1931 هاجر إلى مصر ثم عاد إلى أرض الوطن بعد خروج الإيطاليين من ليبيا وتوفي بأجدابية سنة 1946 عليه رحمة الله

الفصل الثامن

مراحيل العطش

إن الإنسان عندما يفقد وطنه يصير كالشجرة التي اقتلعت من جذورها.

لقد اندفعت آلاف الأسر التي رفضت الضيم وفضلت انتهاج طريق الكرامة الوعر العسير، تحمل القليل من الزاد والقليل من الماء على ظهور الإبل، وتحمل الكثير من الفخر والاعتزاز والشرف. لقد رسمت للأجيال طريق التضحية بالدماء والدموع والمآسي.

لقد ترك الرجال والنساء مرابع صباهم ومسارح لهوهم وطفولتهم ضاغطين على آلامهم التي زادها تشتت الأسر وفقد الأعزاء وتمزيق العائلات.

الطائرات تتابعهم بقنابلها وغازاتها السامة تسقط في كل لحظة العشرات.

وأنفاس الجنود الحاقدين بأسلحتهم المتطورة في أقفيتهم تتبعهم كالكلاب الجائعة أو كالذئاب المسعورة، والذين باعوا ضمائرهم للعدو يتفانون في اقتفاء الأثر وإيصال العدو إلى الآبار والواحات بأقصر الطرق. ما أسوأ نومة الضمير، وما أتفه الماديات التي تطغى على النفس البشرية فتجعلها أحقر من القراد وأتفه من القرد. خمسة جموع انتقلت من القبلة في اتجاهات مختلفة وعبر الصحراء التي لا ترحم وعبر الفيافي القاتلة، والتي يلفح القبلي وجهها صباحاً ومساء، والتي تقف الشمس فيها منتظرة خروج الأنفاس عند الظهيرة.

المجموعة الأولى انطلقت من المناطق الشرقية للحمادة الحمراء باتجاه تونس.

كان ذلك عام 1927 وأغلبها من سكان سهل الجفارة والجبل الغربي، صعيان، ريانية، زاويه ومجموعات من قبائل أخرى، مصراتة وغيرها.

عبر مسافة طولها 800 ك.م قليلة الآبار يقضي المسافر عدة أيام دون أن يدرك البئر الأخرى قطعها الأطفال والنساء والرجال والعجزة معصوبي البطون يفتك بهم الجوع والعطش حتى شربوا كل سائل يمكن أن يشربه البشر وغير البشر.

أولادهم ضاعوا في الطريق، أخبرني أحدهم أن امرأة من الريانية وهم عند

نزولهم بالقطار جنوب درج أضاعت ابنتها الصغيرة لم يستطع المرحول انتظارها خوفاً من لحاق الإيطاليين بهم فضاعت الطفلة. وكان نشيج أمها طوال الليل يمنع المرحول الراحة، ويطرد النوم من أعين المتعبين المنهكين.

لقد هرب الدليل من أحد هذه المراحيل وتركهم لمصيرهم المحتوم، عند وصولهم إلى (برج الخضراء) أول الأراضي التونسية ملأ الجنود الفرنسيُون لهم الأحواض كالغنم واندفع الناس أطفالاً ونساء ورجالاً للشرب ومنهم من أغمي عليه بعد الشرب ومنهم من قضى نحبه.

إن الذي يتخلف عن الركب لا يسأل عنه لأنه قضى، إما عطشاً وإمّا قتلاً بيد الجنود الإيطاليين.

لقد صادفت هذه المجموعات حظوظاً مختلفة حسب أمزجة الضباط الفرنسيين الذين يتولون إدارة المراكز الحدودية.

فمنهم من طوقتهم القوات الفرنسية وأرجعته مرغماً إلى الطليان. وقد حدث هذا في المجموعة التي وصلت إلى (المشيقيق) غربي سيناون.

ومنهم من تسلل هارباً وترك أسرته في المعتقل داخلاً إلى الأراضي التونسية.

وفريق منهم وصل إلى جنوب غذامس منعه الفرنسيون من الشرب، وكان بقيادة الشيخ علي كلة الذي قيده الفرنسي في الشمس ومنعه من الشرب هو وجموع المهاجرين، وقال متهكماً ليحفروا بئراً أخرى.

وتنادى الرجال في وميض الأمل وبدأوا في الحفر منذ منتصف اليوم إلى اليوم الآخر دون تمهل ودون تعطيل حتى انبثق الماء وشرب الجميع بعد يأس وألم ومعاناة. وبعدها حاولوا إرجاعهم إلى الطليان فتسلل منهم الكثيرون ليلاً ورجعت البقية مرغمة إلى الطليان في غذامس.

المجموعة الثانية: انطلقت قبل هذه منذ سنة 1924 بعد معركة المشرك الشهيرة التي سقط فيها الشهيد سعدون السويحلي. وتوجهت صوب صحراء سرت قاطعة مفازات لا ماء فيها، كان يقود هذه المجموعة الشيخ سوف المحمودي، والشيخ أحمد السويحلي، والشيخ أحمد المريضي، والشيخ المبروك المنتصر وعيرهم من زعامات أخرى وأبطال جهاد.

قطعت الصحراء بين الجغبوب وجالو باتجاه واحات سيوه، وقطعت جبال الرمال المتحركة حيث ابتلعت الرمال مجموعات من المهاجرين وحيث سقطت جميع الخيول موتى عطشاً. وفي الحدود المصرية تم تسليم أسلحتهم ودخلوا إلى مصر حيث تفرقوا

في قراها، المتراس، العامرية، الحمام وغيرها.

المجموعة الثالثة: والتي انطلقت عام 1931 من فزان وقد انقسمت إلى مجموعتين:

أ ـ المجموعة التي يقودها محمد بن حسن المشاي ومحمد بن عامر القرحي ومن معهما من مقارحة ومشاشية وأولاد بوسيف وجعافرة وغيرهم من قبائل أخرى، أولاد بريك، عوانة، طوابين، مطرة وكان معهم راسم كعبار بأسرته، وصلوا إلى (ليزي) بالمشرق الجزائري حيث تسلّم الفرنسيون منهم أسلحتهم وسمحوا لهم بالدخول إلى الجزائر.

ب ـ مجموعة يقودها عبد النبي بالخير وصلت إلى جانت حيث تم تسليم أسلحتها، وتم تجميعها في وادي (تهاوت) حيث بقيت أربعة أشهر محاصرة هناك، في صحراء شاسعة لا ضرع بها ولا زرع، لا يجدون ما يقتاتون به إلا ما يجلبه الجنود الفرنسيون للتجارة بين هؤلاء البائسين وكان أغلبها من ورفللة. ومن معهم من الختنة والحسون وغيرهم.

المجموعة الرابعة: انطلقت من واو، وأم الأرانب يقودها أحمد سيف النصر، وعبد الجليل سيف النصر باتجاه (أوزو) للدخول إلى الأراضي التشادية حيث يسيطر الفرنسيون. وعلى الحدود طلب الفرنسيون من المهاجرين تسليم أسلحتهم واتفقوا على يوم مُعينٌ لتسليم السلاح. وقبل ذلك اليوم قرر عبد الجليل سيف النصر وبعض إخوته عدم تسليم أسلحتهم والخروج من المنطقة الفرنسية فارتحلوا راجعين إلى (الكفرة) حيث حضروا معركة الكفرة، ثم ارتحلوا باتجاه مصر وأغلبهم من أولاد سليمان.

المجموعة الخامسة: مجموعة صالح الأطيوش، وأغلبها من المغاربة وزويه ومن معهم من قبائل الشرق الجنوبي من ليبيا.

هذه المجموعة لم تستطع أن تهتدي إلى الآبار ولا إلى الطريق الصحيح. ويقول (ديل بوكا) إن دليلَ هؤلاء القوم كان خائناً أضاعهم عن الطريق.

سبعون يوماً وهم يضربون في الصحراء بدون هداية يقتاتون بالعشب، وهو الذي أيضاً حمى بعضهم من الموت عطشاً. ويقول (ديل بوكا):

«.. ووصل الأطيوش برفقة رجاله وأسرهم العوينات آخر واحة في الأراضي الليبية بها ماء عذب، وبعدها وصل إلى (آبار المرقى). ومن هناك أخطأ صالح الأطيوش وقومه الطريق بسبب نصيحة غير مخلصة من دليل خائن، وأخذ يضرب في الصحراء في بحث يائس عن الماء والطعام. وتجول على غير هدى سبعين يوماً بحثاً عن مضارب لبدو رحل وصفت له. وكما قص هو نفسه «كنا نذبح القليل من الإبل التي

بقيت لنا لنستخلص من مثاناتها[1] القليل من السائل الذي نوزعه على من هم أشد عطشاً لإنقاذهم من موت محقق، وقضى منا 170 فرداً نحبه. وكاد الناجون يموتون حتماً لو لم تسعفنا العناية الإلهية بهدايتنا إلى بقعة وجدنا فيها كيساً من الدقيق وآخر من السكر والشاي». وفي النهاية أبصرتهم عن بعد دورية من الجنود الإنكليز فقامت بتجريد العصاة من أسلحتهم، ووجهتهم إلى نقطة حدود (أبو منقار) أعقب ذلك ترحيلهم في سيارات حسب طلبهم إلى وادي النيل حيث حطوا رحالهم في (المنيا) في أرض لعلي بك المصري الحامي الكبير للخارجين من الليبيين. وما زلنا مع صالح الأطيوش وهو يروي: «منذ وصولنا إلى هذا المكان مات منا 17 إنساناً آخر بسبب إسهال شديد نتيجة إقبال كثير على الطعام بعد حرمان طويل»[2].

أما تطواف عبد الجليل سيف النصر ورهطة فكان أقل مأسوية، فهم أيضاً كانوا قد وصلوا إلى آبار العوينات وآبار المرقى، وتاهوا في الصحراء عند الحدود بين مصر والسودان لكن كابوسهم لم يدم طويلاً إذ عثرت عليهم سريعاً دوريات إنكليزية مصرية، وبعث بهم أيضاً إلى المنيا».

وتعني كلمة ديل بوكا (أقل مأسوية) لأن الموتى كانوا أقل من مجموعة صالح الأطيوش، إذ إنهم هم أيضاً نحروا الإبل وشربوا ما جمعته أمعاءاتها من مياه استطاعوا أن يحموا أنفسهم وإلى حين من الموت عطشاً.

أما أولئك الذين لا يملكون ما ينحرون من الإبل فإنهم ولا شك قد ضاعوا في فيافي الصحراء المحرقة.

أعود إلى الحديث عن المجموعة الثالثة التي دخلت إلى الجزائر عن طريق جانت وأوقفها الفرنسيون في وادي (تهاوت).

بعد إيقافها قرابة الأربعة أشهر سمحت للناس بالتحرك داخل الأراضي الجزائرية لشراء ما يلزمهم، وأرسلت القوافل إلى (ورقلة) حيث رجعت بعد شهرين من السير تحمل التمر والطعام لأولئك الذين يتواجدون في المخيمات.

ولم تكن هذه القوافل تعرف الطرق ولا مواقع الآبار، فكانت تؤجر المخبرين الأدلاء من سكان الجنوب الجزائري، ومنهم من كان قليل الضمير يهرب عن القافلة ويتركها لمصيرها. وقد أخبرنا أبو بكر مصباح محمد الكياش عن إحدى هذه القوافل التي كان هو أحد أفرادها. قال: «دخلنا صحراء الجزائر واتخذنا طريقنا عن ليزي. ثم

---

(1) يقصد كروشها والخطأ من المترجم.

(2) ديل بوكا، المصدر السابق، ص 253ـ 254.

الزاوية الكحلة وهناك استقررنا مدة واستصعب محمد بن حسن المسير إلى الجزائر وذهب بعضنا لإحضار التموين ووصلنا إلى (ورقلة). وفي طريق عودتنا أخبرنا المرشد الذي اخترناه أنه لا يستطيع الاهتداء إلى الطريق إلا نهاراً وهو من (الشعانبة) وقد نفذ ماؤنا وأخيراً أخذ كل شخص منا ناقة وسرنا وراءه ولكنه اختفى عنا وتركنا وأصبحنا نسير على غير هدى حتى وجدنا إبلاً للحواوسة من المشاشية وطلبنا من راعيها أن ينقذنا من الهلاك فركب وسار أمامنا وتبعناه وهلك منا في ذلك اليوم أحد عشر رجلاً بسبب العطش، واستطاع راعي الإبل أن يصل بنا إلى القوافل ويرجع ومعه الماء لإنقاذ من بقي على قيد الحياة. ووصلنا إلى مكان اسمه المالح ومنه إلى ورقلة وهناك التقينا بالفرقة التي تريد السير معنا إلى تونس»[1].

ويتحدث الحاج عبد الرحمن الحواسي المشاي عن قافلة أخرى.انطلقت من (ليزي) باتجاه تونس لجلب التموين، وأرسل مع رجال القافلة محمد بن حسن رسالة إلى باي تونس يطلب منه استقبال المهاجرين، ورسالة إلى متصرف قابس.

ويقول عبد الرحمن إنّ القافلة كانت حوالى 34 رجلاً و175 بعيراً. وقد ذهبت عن طريق محاذاة الحدود إلى تطاوين. (ورافقنا ثلاثة من الأشخاص قالوا إنهم من الحجاج ولكن تبين في ما بعد أنهم من الجواسيس).

وقد باعت هذه القافلة جزءاً من إبلها، وعبرت وسلمت الرسائل وعادت إلى ذويها الذين وجدتهم قد ارتحلوا من منطقتهم تلك بمسافة 600ك.م غربي (ليزي). وقطعنا مسافة تسعة أيام من غير ماء، ووصلنا أخيراً. وقد ساعدنا جماعة من تجار مصراتة بإعانة وهم مفتاح الجدي، وابن عيسى وابن إسماعيل وهم من أبناء مصراتة»[2].

وقافلة أخرى ضمنها سليمان الجدي الورفللي، انطلقت من المنطقة القريبة من جانت باتجاه ورقلة، ولكنها ضلت الطريق واتجهت إلى (تمنغست) التي وصلتها بعد قرابة الشهر، حيث أخبرها سكان المنطقة بأن هذه البلدة ليست ورقلة واستقبلهم الضابط الفرنسي الذي يحكم تلك القرية النائية واستفسر منهم عن وجهتهم وسبب قدومهم. ولما أخبروه سمح لهم بشراء ما يلزمهم، ووضع تحت تصرفهم خبيراً من الطوارق أرجعهم إلى مخيماتهم قرب جانت بعد شهرين.

أما مسعود اعوير الذي جاء إلى مخيم عبد النبي بالخير واستلف (معزة) للعيد وسار

(1) موسوعة روايات الجهاد، المبروك الساعدي، ص 234.

(2) موسوعة روايات الجهاد، المبروك الساعدي، ص 246.

يسوق المعزة وبدلاً من أن يصل إلى مخيمه، تاه في الصحراء، وماتت المعزة وأغمي عليه من العطش. فوجده رجال البريد من التوارق فسقوه ورافقوه معهم إلى تمنغست. ثم عادوا به في رجعتهم بعد ذلك، حيث وصل إلى المنتجع بعد أربعة أشهر ونصف وقد وجد زوجته قد خلعت العدة لظنها أنه مات. وأمثال هؤلاء كثيرون. ناهيك عن ضياع الأطفال والرجال الفرادى إلى جانب المراحيل والقوافل.

وقررت فرنسا أن تتخذ من الليبيين عمالاً لها في مناجم استخراج الفوسفات، وذلك لرخص اليد العاملة وعدم وجود التأمين على حياتهم.

وانطلقت المجموعات نحو الشمال.. وفي هذا الانطلاق وقعت المآسي.

ما إن تجاوزت المراحيل جبال الرمل التي هي امتداد لرمال زلاف، وأوباري، والفاصلة بين غات وغذامس. هذه الرمال لها امتداد مهول داخل الأراضي الجزائرية.

في تلك الجبال فقدت المراحيل الطرق، وبدأت تضرب المجهول. وتتساقط الأسر ميتة من العطش. لعله من المفيد أن ننقل ما قاله الحاج علي الجدي الورفللي الذي شهد هذه المأساة وكاد أن يكون أحد ضحاياها:

«ارتحلت الناس في مجموعات من مكان نزولنا ذلك متوجهين شمالاً للوصول إلى تونس حيث اتفقت معنا شركات فرنسية لتشغيل الناس في (المينا) استخراج الفوسفات كنا في مرحول كبير مع مجموعات من المشاشية وأولاد بوسيف وصلنا الماء حيث ملأنا أوعيتنا وسقينا حيواناتنا وبتنا ليلة هناك، وعلينا في الغد أن ندخل.بساطاً من السرير تحف به الرمال من جهتين تسير فيه المراحيل لمدة أربعة أيام لا يوجد بها الماء. لم يكن معنا خبير ولكننا كنّا نتبع آثار المراحيل التي سبقتنا. بعد مسير أربعة أيام كاملة تجد فتحة صغيرة في الرمال لجهة اليمين على المسافر أن يدخل منها نحو الرمل ليقطعه يميناً. وإذا لم ينتبه إلى تلك الفتحة يبتلعه السرير ولا يعود أبداً من ذلك الفج.

وكان النجع الذي يتبعنا من الخلف هو نجع سيدي النعاس الفقهي[1]. أما نجوع أخرى فإنها تتقدمنا بمسافة بين كل نجع ونجع مسافة يوم أو أقل أو أكثر.

في اليوم الثالث لحقت بنا (ورادة) من نجع سيدي النعاس تسعى للوصول إلى الماء قبل النجع لتجلب لهم الماء لأن الناس بدأت تعطش ويقل ماؤها.

كانت (الورادة) ستة عشر جملاً، كل أسرة أرسلت بعيراً لجلب الماء وعلى ظهره القرب.

---

(1) النعاس الفقهي أحد كبار المجاهدين من قبيلة ورفللة. وكان أيضاً من العلماء الذين رافقوا السيد أحمد الشريف في حروبه.

سألتهم: يا جماعة سيدي النعاس هل أرسل بعيراً معكم؟

أجابوني:

لقد سمعنا أن سيدي النعاس لم يعرف الفتحة في الرمال ودخل في الفج، وأرسلنا وراءهم سليمان الذئب ليرجعهم إلى الطريق الصواب.

سار سليمان الذئب على ظهر جمل يتبع سيدي النعاس ذلك اليوم والليلة التي تليه ولم يلحق به إلا في اليوم الثاني حيث أرجعه ولكن بقيت مسافة بينه وبين النجع الآخر مسافتها ليلة ويوم.

سرنا معاً نحن وتلك (الورادة) التي نضب ماؤها وكذلك ماؤنا، وبتنا ليلة معاً. عند الصباح بزغت الشمس وكأنها جمرة. والقبلي يشوي الوجوه ولم يبق لنا من الماء إلا ما يكفي شربة واحدة لرجل واحد، ونحن أكثر من أربعين شخصاً.

قلنا نجلس ونعد بهذه الشربة القليلة كأساً من الشاي لأن الشاي كما يقولون يصبر الإنسان على العطش. اقتسمنا تلك الشربة كأساً كأساً من الشاي وقمنا إلى إبلنا لنحثها على السير. ولكننا لم نستطع لشدة الحرارة واتفقنا على أن ننصب ما نستظل به وننام إلى آخر النهار.

ولكن الورادة لم يوافقونا، لأنهم قالوا: لقد تركنا الناس وراءنا من غير ماء، وأي ساعة نغيبها عنهم تقضي عليهم.

ركبوا جمالهم وساروا، أما نحن فلقد بقينا نتقي الحر بدون نوم لأن العطشان لا ينام. كنا نتقلب على الرمال الحارة. وكان القبلي يشوي الوجوه ويثير الأتربة في العيون ويكاد أن يسد الرؤية.

بعد الظهر بقليل أمرت جماعتي بالسير، قائلاً لهم: «إذا بقينا هنا فإننا سنموت جميعاً، ولن ننفع الأماميين ولا الخلفيين، وسيضيع الناس جميعاً».

عندما قطعنا مسافة في الصحراء وجدنا نجعاً لشخص ورفللي يسمى (قجدور) حوالى ثلاثين شخصاً قضى عليهم العطش تحت البيوت المهدمة، والأثاث المتبعثر والإبل بأحمالها التي تساقطت على رقابها أو بطونها. والرجال والنساء والأطفال جميعهم لا حراك بهم، بعضهم حفر حفرة وأدخل رأسه فيها، وبعضهم سقط خارج الخيام، وبعضهم كان منكفئاً على وجهه، وجميعهم كالحطب سواداً ميتين وإبلهم ميتة.

سرنا قليلاً وإذا بنجع آخر كسابقه، ولكن لا تزال بقية من حياة في الناس بالرغم من عدم وعيهم. كان معنا أحد الرفقاء يخبىء قربة ماء في رحيله، ولا يريد إخراجها إلا عند الضرورة القصوى.

كان المنظر مؤثراً، جمعنا أولئك الرجال والنساء والأطفال في خيمة. وبدأنا نرشهم بالماء قليلاً قليلاً. إن جسم الإنسان كالحديد المحمى، يتصاعد الماء بخاراً من جسمه الكالح حتى حجب الرؤية داخل الخيمة، ثم أخذنا قدراً ووضعنا فيه التمر وسكبنا فوقه الماء وحركناه حتى أصبح (هريسة) وصرنا نسكب في حلق كل إنسان قليلاً من ذلك السائل إلى أن عادوا جميعاً إلى وعيهم، وأركبناهم معنا على إبلهم وسرنا. لقد نضب الماء حقيقة من الجميع.

عند منتصف الليل وجدنا نجعاً للمشاشية سبق لهم أن وردوا وأحضروا الماء، وكان معنا في الرحلة مجموعة من المشاشية. اتجهوا نحو البيوت وشربوا ولم يحضروا لنا ماء. لمناهم على ذلك وقلنا إذا ذهبوا ليشربوا مرة أخرى فسنترك لهم إبلهم.. وفعلاً تركنا لهم أباعرهم وسرنا.

عند منتصف الليل الأخير وجدنا (وردة) تحمل الماء من العين عائدة إلى أحد المنتجعات. طلبنا منهم قربة ماء لنشرب، رفضوا إعطاءنا الماء قائلين: إننا تركنا عائلات كثيرة وراءنا يهلكها العطش، وهذا الماء لا يكفيها وأنتم قريبون من الماء.

أمرت أصحابي بالنزول والهجوم على القرب وتمزيقها بالسكاكين والشرب منها.

شرعنا في النزول. قال أحدهم: (تربحوا ما تمسوش القرب. أعطونا قربة نملأها لكم).

شربنا وجلسنا نعد قليلاً من الزميتة لأننا منذ يومين لم نذق شيئاً لخوفنا من نفاد الماء، وشربنا الشاي وقمنا نواصل السير، وعند بزوغ الشمس وصلنا العين[1].

كانت تلك العين تقع في منخفض من الأرض عمقها حوالى 500 متر مليئة بالماء، وكلما حفرت حفرة يخرج منها الماء ويحيط بها القصب.

شربنا وشربت الإبل وملأنا أوعيتنا ووجدنا أمامنا (الورادة) التي فارقتنا بالأمس باتجاه العين.

قلت لهم: يا جماعة سيدي النعاس لم يرسل بعيراً لجلب الماء وهذه ناقتي خذوها وسأضع عليها أربع قرب واحملوها لسيدي النعاس، وافقوا على ذلك وكان أحدهم ابن أخته.

مجموعة من أصحاب (الورادة) رفضوا العودة وبقوا عند الماء. وقالوا والله لم نعد نستطيع الحركة من جوار الماء.

---

(1) تسمى هذه العين (عين طيبة).

وبقية المجموعة أخذت الماء وعادت إلى النجع كما حملت معها ناقتي تلك، ولكنهم ما إن وجدوا بداية النجع حتى وجدوه في حالة سيئة من العطش أفرغوا أغلب ما أحضروه من الماء ولم يبق شيء كثير لبقية النجع في الخلف لم يعد الناس في المتنجعات منتظمين، فلا أحد يعرف أحداً ولا أحد يسير مع أحد من شدة العطش وكلُّهم مختلطون.

وهم يسقون الناس ويسعفونهم، وقد فرغ أغلب القرب. وصل إليهم شخص مر على نجع سيدي النعاس يركب مهرياً قال لهم:

«يا جماعة إن كان يهمكم حال سيدي النعاس أنه في الرمق الأخير هو ونجعه. وقد نزل بجوار (قطيعة قجدور)[1] وبنى البيوت وسمعت الأنين داخل البيوت. ومات بعض الأطفال واعترضني يمسك طفلاً في حالة أقرب إلى اليأس وهو يقول لي:

«أعندك قليل من الماء نحيي هذا الوليد؟» فأجبته والله ما عندي أي شيء من الماء، إلا إذا أردت نحجم لك الجمل[2]. قال: لا ننحر نياقاً ونقطر الماء من كروشها. ويا جماعة إن كان بينكم أحد يحس سيدي النعاس عاجلوا بإنقاذه».

رجعت المجموعة التي أفرغت مياهها في أول النجع إلى العين في اليوم الثاني، وأخبروني عن سيدي النعاس. ولم يستطيعوا الوصول إليه لأن الماء الذي عندهم نضب في بداية النجوع. وقد أرسلوا إليه تلك الناقة وحمولتها لا تكفي إرواء النجع.

وكانت إبلنا أرسلناها إلى المرعى، إذ لا يوجد أي شيء بجانب العين تأكله. وهناك مجموعة من الشعانبة مهمتهم رعي الإبل، حيث يأخذونها إلى المراعي البعيدة.

بدأت أبحث عن إبل أؤجرها أو أستلفها، وهناك نجع للمشاشية نزل قريباً من العين ولا تزال إبلهم معهم. قصدتهم وطلبت منهم أبعرة لأحمل عليها الماء لنجع سيدي النعاس. قالوا لي: ومن أخبرك أن سيدي النعاس عطشان؟ قلت لهم: أخبرنا شخص من عكارة لحق بنا على مهريِّه اليوم. ألححت عليهم وقلت لهم إذا تؤجروا لي الإبل باهي وإذا تريدون أن تبيعوا لي باهي. المهم أن تعطوني ناقتين أو ثلاثة لأنقذ بهم النجع. اتفقنا على تأجير ناقتين بثمانين مجيدياً، ونزلت أنا وابن عمي العين وبدأنا نملأ القرب.

لحق بنا أحدهم وقال: (يا جماعة ما صارش من التأجير) ارتبكت وتألمت وأنا أستجديهم قائلاً:

---

(1) الموقع الذي مات فيه نجع قجدور الورفللي.

(2) حجم الجمل: يجرح أحد عروق الجمل ليسكب منه الدم ويشربه.

يا جماعة بيعوا لي الناقة بثمن ناقتين، أو أعطوني الناقة وأعطيكم بدلها ناقتين عند وصول إبلي.

باءت جميع محاولاتي بالفشل ورفضوا.

كيف العمل؟

إن الله لا يترك المستضعفين وهو القدير على إغاثتهم.

عندما كنا في فزان سمعنا أن أحد أفراد قبيلة الفقهاء من ونرزيك ضاعت له ناقة قبل رحيلنا بسنتين، ونسيت جماعة الفقهاء الناقة وقد ضاعت آلاف الإبل غيرها وماتت في السرير.

افترشت (كليما) واستلقيت على وجهي وأنا في أشد الحيرة والاضطراب والحرارة مشتعلة ليلاً ونهاراً.

في آخر الليل وردت العين ناقة تمشي يسوقها رجل فاستيقظت منزعجاً وصحت في وجه الرجل قائلاً: (يا كلب الكلاب الناقة التي تركت أهلها ماتوا أين الجمل الذي معها..؟».

شهرت مسدسي في وجهه وأنا متيقن من أن الناقة هي ناقة محمد بن حسن الفقهي، بالرغم من شدة الظلام. قال الرجل الذي لا أعرفه من أين:

«أنا لم أجد معها جملاً». وترك الناقة وذهب في طريقه. لم أستطع أن أعرف كيف تم ذلك، غير أنني وبدون وعي نهرت الرجل وأنا نصف نائم والظلمة شديدة، وكأنني أرى الناقة وسمتها في ذلك الظلام، وهي ناقة محمد بن حسن.

أخذت الناقة وناديت سليمان وأخذت القرب وملأتها ووضعتها القرب على الناقة وسقتها أمامي. قال سليمان:

ـ دعني أذهب أنا لأسوق الناقة.

أمرته بالبقاء في الخيمة، وسقطت الناقة وأنا في قميص وسروال بدون جرد، ألف على رأسي عمامة، حافي القدمين.

لحق سليمان بالناقة وعلق المخلاة على القتب وقد وضع فيها قليلاً من التمر (عجين) والمسدس.

كانت الناقة قوية، وسرت أتبعها. وبعد قليل أشرقت الشمس فكأنها فوهة فرن من الحرارة.

سرت وراء الناقة إلى الضحى، وكان الرمل بارداً في البداية، ثم بدأ يسخن ثم أصبح كالملال. فصرت أمزق عمامتي وألف قطعاً منها على قدميَّ وأسير وما إن أمشي

قليلاً حتى تتقطع تلك القطع وتبقى قدماي عاريتين، فأزيد وأمزق حتى لم يبقَ منها شيء. وبدأت الشمس تحرق الأرض، والقبلي يشوي الوجوه وكنت لا أشرب إلاّ إذا رأيت الأرض صفراء تتراقص في عيني، عندها أخشى الضياع فأشرب قليلاً لأقوى به على السير.

بدأت أمزق كُمَّيْ قميصي وألفُ بهما قدميّ، ثم بدأت أمزق أطراف القميص من تحت حتى أوصلته إلى ما فوق الركبتين.

ولكنني تعبت والرمضاء لا تحتمل، ركبت على الناقة فإذا بالسمة التي عليها ليست سمة محمد بن حسن الفقهي الذي يضع على رقبة الإبل اسم (محمد علي) وإذا السمة التي عليها سمة (المقارحة). وقلت في نفسي إذا صادفني أحد من المقارحة فسيتهمني بسرقة الناقة ويأخذها مني ويضيع سيدي النعاس وأضيع أنا.

تعبت الناقة وبركت ولم تستطع السير من التعب وشدة الحرارة.

نزلت عن ظهرها، وأنزلت إحدى القرب وردمتها في الرمال على أمل أن أجدها عند العودة وقد لا أجدها. المهم التخفيف عَن الناقة وأن أصلْ ببعض الماء خير من أن لا أصل بلا ماء.

وجدت خياماً لأولاد بوسيف لشخص منهم يدعى صوم العام كانوا يتلمظون من العطش. اعترضني وهو يحمل بين يديه طفلاً قال لي:

انتظرني واسعد لي هذا الوليد.

قلت له:

إنني ذاهب إلى أناس يكادون يموتون من العطش.

ولما عرفته أوقفت الناقة وقدم لي صحاناً ملأته له بالماء فسقى الطفل. ولم يشرب هو مع أنه لا يقدر على السير من شدة العطش ورفض أن أملأ له الصحان لما علم بذهابي لسيدي النعاس. قائلاً:

«لا تسأل في أحد أدرك سيدي النعاس هو الأول».

قبل غروب الشمس بقليل، وبجوار كثيب من الرمل يرتفع إلى عنان السماء، وجدت خيام سيدي النعاس ووجدت الناقة التي أرسلتها لهم منذ يومين قد وصلتهم بتلك القرب فأنعشت بعض العطاش الذين كانوا على حافة الموت كما وجدتهم قد نحروا نياقاً يشربون فرتها، وقد مات من النجع خمسة أولاد.

بدأت أصب الماء لسيدي النعاس وهو يسقي الأولاد والنساء والضعفاء ولم يشرب من الماء شيئاً وكاد أن يغمى عليه من شدة العطش. قلت له:

يا سيدي النعاس اشرب أنت أوّلاً، وبعد ذلك سنسقي الآخرين.

أجابني:

لا. هناك وليد ابحث معي عنه سأسقيه أولاً.

بدأت أبحث عن الوليد، إلى أن وجدته داخل أضلاع ناقة ميتة نحروها لشرب فرتها.

أخرجته منها فاقداً وعيه وسقيته إلى أن تعافى. وبدأت في نقل الدبش على الإبل. وكانت الإبل على ضعف بحيث لا تستطيع حمل أثقالها وأركبنا عليها بعض الأولاد وبقي طفل صغير يدعى عبد السلام الشاملي لم أجد بعيراً أركبه عليه فكنت أحمله على ظهري مرة وأنزله مرة أخرى. وقد ماتت أخت سيدي النعاس من العطش ذلك اليوم، وأركبنا خادمة له وهي مكسورة الكبد من العطش ولم تثبت على البعير، وفي إحدى المرات سقطت فوجدناها ميتة. قال سيدي النعاس:

لا بد من دفنها.

نحن في أقصى غاية التعب والإنهاك والعطش أيضاً ولكنه رحمه الله أصرّ على دفنها.

هيلنا التراب عليها واستمررنا في سيرنا عند آخر الليل. وصلت إلى مكان القربة التي أخفيتها وكأن رجلاً يشير لي إلى مكانها. ورغم الظلام الحالك وقفت فوق المكان الذي ردمت فيه القربة وأخرجتها ووضعتها على الجمل.

مشينا طوال الليل وبزغت الشمس حارة قاتلة واستمررنا في السير وكمل الماء ونحن نواصل السير، وعند الظهر وصلنا إلى مكان العين.

نزل سيدي النعاس على العين، وبقي هناك في انتظار القوافل التي أرسلت إلى (ورقلة) لجلب التموين وكان يقودها عبد النبي بالخير الذي طلب منه حاكم ورقلة أن يذهب إلى الجزائر لمقابلة المقيم الفرنسي فيها. فاعتذر بحجة أنه بعد إيصال التموين إلى العائلات سيرجع إلى مقابلة المقيم.

عندما وصلت إلينا القافلة القادمة من ورقلة على تلك العين واستقبلنا المجاهد عبد النبي بالخير ومن معه. بقي معنا يوماً وأثناء حديثه مع سيدي النعاس قال:

اسمعوا. عبد الهادي زرقوت وعلي شاهين سيذهبان إلى ورقلة ومنها إلى تونس، وأنا سأرجع إلى النجوع والفرنسيون يطلبون مني الذهاب إلى الجزائر لمقابلة المقيم. ولكن: «إذا كانت هجرتي صحيحة وخالصة لله. إنشا الله معاود نتقابل أنا وفرنساوي».

الجماعة بعضهم رق عزمه وبكى وبعضهم تحامل وعبد الهادي زرقوت قال له:

إن الفرنسيين يقابلوننا من أجلك مقابلة الباشوات. قال عبد النبي:

«أسمع الواحد عندما يكون حاكم فوق منه ما عنداش اختيار في نفسه وأنا متعلم ما يحكم فيّ حد..».

ونزلت النجوع التي فيها عبد النبي في (الزاوية الكحلاء) وبدأ الفرنسيون يطلبون قدومه إليهم في ورقلة. وكلما أرسلوا سيارة له يمتنع عن القدوم وفي كل مرة يعتذر بحجة جديدة. ولنترك الحديث لابنه يوسف عبد النبي بالخير الذي بقي مع العائلات المتبقية في (الزاوية الكحلاء) بوادي الناقة.

«.. أرسل والدي أخي مصباح ومفتاح بشابش إلى ورقلة لجلب التموين وبيع بعض الإبل هناك وشراء ما يلزم العائلة، وكانت النجوع تتقدم نحو تونس. وقد عين أبي على كل فريق شيخاً من المجاهدين ينظم شؤونهم مع الفرنسيين وكان بينهم عبد الهادي زرقوت وعلي شاهين وسيدي النعاس وغيرهم.

وقرر الرحيل باتجاه ورقلة.

حضر إليه ثلاثة من حملة البريد من التوارق وكان معهم فرنسي متجهين إلى تمزاست.. طلبوا منه انتظارهم لحين عودتهم ليخبروا بالنجع الطريق. واستلف نعجة من البعابعة وعشاهم بها.

صادف أن قدم في تلك الأثناء أحد مواطني ورفللة من تونس يدعى محمد الأصقع قريرة المزوغي. كان يشتغل في تونس وأحضر معه بعض اللوازم لأسرته ويريد حملها معه إلى تونس. قال قريرة لعبد النبي بالخير:

لا تنتظر التوارق، أنا أخبر بكم، أنا أعرف المنطقة (بالحطبة).

تحملت المجموعة ثلاثاً وثلاثين عائلة من الصيعان أقرباء عبد النبي: أخوه المبروك وأسرته وأبناء إخوته وبنات إخوته وأخواته.

ومع المرحول عائلة قريرة وعائلة مسعود عوير ومجموعة من العائلات الأخرى.

وكان عبد النبي يحمل من الماء حمولة أربعة عشر جملاً تكفي تلك المجموعة مدة شهر بالاقتصاد.

دخلت المجموعة بحر الرمال الشاسع الذي يقع غربي بئر (القاسي) بمسافة بعيدة وهم في اتجاه بئر هناك في منتصف الطريق تسمى بئر التوارق، وأثناء مسيرهم وجدوا مخيماً لقبيلة ورفللة (الدروع) يفتك به العطش. الرجال والنساء والأطفال مبعثرون في خيام تهدم جلها من شدة الرياح، وكان ذلك في اليوم السابع لرحيل عبد النبي.

أناخ إبله وطلب من الجميع أن يسرعوا لنجدة الناس وإسعافهم وبدأ يسقي العطاش ويعيد لهم وعيهم وكان الأولاد يناولونه الماء حتى وصل العبد بآخر (براد) من الماء. قال لعبد النبي:

سيدي هذا ما بقي من الماء، خذ اشرب.

قال عبد النبي للعبد:

اشرب أنت واسقي اللافي (ابن أخيه).

وارتحلوا طالبين البئر التي أخبرهم الخبير أنها لم تعد بعيدة عنهم.

عند اقترابهم من المنطقة التي توجد فيها البئر. قال الخبير محمد الأصقع وهو يفرك جبهته:

ـ لقد تهنا عن الطريق لم نعد نعرف إن كانت البئر بقيت إلى الخلف أو لا تزال إلى الأمام.

أوقف عبد النبي جواده والتفت إلى الخبير قائلاً له:

ـ ليتك لم تقل ذلك وبقيت ساكتاً.

أمر الجميع بالنزول، فنصبوا الخيام واحتموا بالظل من الحر اللافح.

أمرهم بأن يطلقوا سراح الإبل العطاش فإنها ستوصلهم إلى الماء، لأنها في المرة السابقة عند رجوعها من ورقلة شربت من بئر (القاسي).

سارت الإبل باتجاه بئر القاسي التي تبعد عن المكان حوالى مائة كيلو متر، وارتحلت بعض العائلات مع الإبل ورفضت البقاء، وركب هو على جواده يبحث عن الماء في كل الاتجاهات.

إن الله عندما يريد بأن يفعل أمراً يجعل له الأسباب. لقد كانت البئر بالقرب منهم على مسافة لا تزيد على الثلاثة كيلومترات في وسط الرمال.

سارت الإبل والراعي، وعبد النبي بالخير على جواده وبقي في المخيم كل العائلات من أقرباء عبد النبي.

في المساء نفسه وصل إلى المخيم مجموعة من المراحيل اللاحقة ووجدوا جميع الأسر ميتة باستثناء ولدين هما اللافي المبروك بالخير وفرج عبدو.

أوصل رجال ذلك المرحول الولدين إلى البئر وتركوهما هناك ولم يكلفوا أنفسهم بالبحث عن عبد النبي الذي ترك المخيم قبلهم بقليل، وكانت آثار جواده ما زالت بادية في الأرض.

حاول اللافي وفرج استخراج الماء من البئر، بواسطة دلو، لإرواء عطشهما فانقطع حبل الدلو. نزل اللافي إلى البئر ليخرج الدلو، وبقي فرج عند فوهته. لم يستطع اللافي الصعود من البئر فبقي فيها إثني عشر يوماً وفرج ينزل له التمر في دلو، وينتح الماء لرفيقه، إلى أن وصل إلى المنطقة رجال البريد من التوارق وأخرجوا الولد من البئر. وشرعوا في البحث عن عبد النبي فوجدوا السرج والحصان نافق ولم يجدوا الرجل، فحملوا معهم الولدين وساروا إلى ورقلة لينقلوا الخبر.

كلفت الإدارة الفرنسية طائرات ودوريات بالبحث عن عبد النبي فلم تجده. واحتفظ لنا الضابط الفرنسي المكلف بالبحث صور المأساة، أطفال ميتون داخل الهودج ونساء ورجال كالمومياء ميتون من العطش.

بعد أربعة أشهر وجد راعي الإبل ميتاً بالقرب من بئر القاسي، كما وجدت أسرة عبد الله حماد ميتة جميعاً وبجوارها عظام أربعة من الإبل نحرها ليستقي الأسرة من فرتها ولم يفد شيئاً.

ولم يفن عطشاً نجع عبد النبي وحده بل فني أيضاً نجع عمر الأكيرد ونجع عبد الله حماد ونجع عثمان الدلولي.

قامت فرنسا بعد أن أضناها التعب بالبحث عن عبد النبي بالخير ولم تجده بسجن المجموعة التي وصلت إلى النجع أولاً بتهمة أنهم قد يكونون قتلوه وأخفوا جثته أو أنهم لسبب لا يعرفونه ساهموا في قتله. وكان ابنه مصباح في ورقلة في ذلك الوقت فسمع بالخبر ورجع إلى المكان وطلب من الإدارة الفرنسية أن تطلق سراح المعتقلين فهو لا يتهم أحداً من الناس بقتل والده.

وتقدم أحد أهالي ورفللة أثناء التحقيق من لجنة التحقيق الفرنسية وأدلى لهم بالإفادة التالية:

«إن عبد النبي بالخير رجل شهم، وهو لا يمكن أن يترك نفسه يموت في العراء منكشفاً، ولا بد أنه عندما يئس من الحياة أوى إلى كثيب رمل. وأهال الرمال على نفسه ستراً له».

قفل الفرنسيون التحقيق في الموضوع واكتفوا بهذه الإفادة.

والمصائب عندما تأتي لا تأتي فرادى، فلقد سرقت الإبل التي كانت بمعية مصباح من ورقلة وذهب في أثرها هو ومفتاح بشايش إلى أن وصلت إلى (بني مزاب) وتقدم مصباح إلى المسؤول الفرنسي هناك يستنجد به ولكن هذا أجابه بعجرفة):

«إنني لست حاكم إبل اذهب وابحث عن إبلك».

ورجع مصباح إلى ورقلة ثم بعدها إلى (بني مزاب) وحاول بعض السراق قتله هو ومفتاح ولكنه سلم وعاد إلى أهله.

وقد تناول الضابط الفرنسي قصة المأساة في كتاب أسماه (سر الجنوب) أفرد فيه فصلاً تحت اسم (أسرى قاسي الطويل) وقد تناول الأستاذ علي حسنين ترجمة هذا الفصل بتصرف وألقاه في محاضرة بمركز جهاد الليبيين.

وإيضاحاً لحجم المأساة رأينا أن ننقل هنا الفصل الذي ترجمه الأستاذ ـ كما قال ـ بتصرف.

يقول المؤلف[1]:

«منذ بضع سنوات بدأت السيارات والطائرات تقهر الصحراء كما أصبح جهاز الاتصال اللاسلكي يضمن لعابري القفار الأمن والأمان بحيث يصعب التصديق ـ ما لم يتوفر دليل ـ بقصة قافلة تضل سبيلها فتبتلعها الصحراء وتختفي عن الوجود.

إن المسافات في الفيافي كانت تبدو في ما مضى لا حد لها ولا نهاية إلا أن قطعها ـ في الوقت الراهن ـ أضحى لا يستغرق إلا فترة محدودة من الزمن وصارت عمليات النجدة والإسعاف من السهولة والسرعة بمكان. ومع كل ذلك فإن الحادث المروع الذي جرى بالأمس القريب فقط كان حقيقة ملموسة ولم يكن على علم به إلا ضباط حاميات الواحات ورجال سرايا الهجانة. وعلى الرغم من الصور الشمسية ـ التي تم التقاطها بعيد الحادث ـ وبقيت غير منشورة ـ ما انفكت هذه المأساة سراً غامضاً.

ففي حقيقة الأمر أن جمعاً من اللاجئين الطرابلسيين المنتمين إلى قبائل ورفللة جاءوا في سنة 1931 إلى الواحة الصغيرة التي يشرف عليها حصن (فورفلاتير) واستقر بهم المقام هناك. إنهم كانوا عاقدين النية على العيش بتلك الواحة في ظل إحدى حامياتنا بالصحراء الشرقية.

لقد بلغ فصل الصيف أشده وأن البئر الارتوازية التي كانت تروي نخيل الواحة المذكورة ظلت تسكب ـ دونما انقطاع ـ معينها الحي الفوار. غير أن مراعي «العرق» قد يبست وزالت مما حمل عبد النبي بالخير قائد اللاجئين المذكورين ـ ذات يوم ـ على أن يمتطي صهوة فرسه ويتوجه إلى الحصن المشار إليه آنفاً حيث قابل آمر الحامية. وأعرب له عن مخاوفه قائلاً:

---

(1) ويس بايري.

«الله أكبر! حفظت وحفظ جنودك، أبناء فرنسا المضيافة! ولكن ما العمل؟ وأين المفر؟ في غضون أيام قلائل ستنفق جمالنا لانعدام الكلأ والمراعي. وفي نجعي أضحى يعاني النساء والأطفال ويلات البؤس والشقاوة».

فأجابه الآمر بقوله:

«أيها القائد، إن ما قلت لحق، إذ إن مقياس الحرارة سجل ـ حوالى منتصف النهار ـ خمسين درجة مئوية في الظل. ولذا يجب أن تعود أدراجك صوب الشمال في سبيل إنقاذ أهلك وماشيتك. ففي ورقلة تتوفر مراع أغنى بالأعشاب وموارد أوسع للعيش يمكن أن تستفيد القوافل منها. ولكن الأمر لا يمكن أن يعدو كونه مجرد قطع المسافة، الفاصلة بين حصن «فورفلاتير» و «ورقلة» والبالغة ما يزيد على الخمسماية (500) كيلومتر بلا رفقة دليل، علماً بأن «حاسي تارترات» أي بئر تارترات مغمورة بالرمال. فعليك إذن أن تقطع مسافة قدرها مايتين وخمسين (250) كيلومتراً من «حاسي تانزورفت» إلى «حاسي الطوارق» بدون أن تجد مورد ماء. إن رجلين من الشعانبة قادمان من «امقيد» وخبيرين بالطريق سيمران ـ في خلال خمسة أيام ـ بالواحة، فانتظرهما ومن جهتي سأعمل على إغاثة نجعك وسأعطيك قدراً من الشعير» انتهى الحوار.

هذا وإن المنطقة المشار إليها في الحوار الذي جرى في أثناء المقابلة تعد ـ بالنسبة إلى المناطق الصحراوية ـ أشد رعباً وخطورة من منطقة «تانسروفت» التي لم تكن قط طريقاً تجارية ولا يجرؤ أي من الأهلين على المجازفة باقتحامها والسير في رحابها.

أما «العرق الشرقي الكبير» الذي يمتد إلى الجنوب من «ورقلة» و «توقرت» فهو عبارة عن جحيم فظيع من الكثبان المتحركة التي يمكن اجتيازها من خلال أحد ممراتها ويدعى «قاسي الطويل» وأن هذا المعبر الذي يتوسط أكواماً من الرمال ليس سوى مجرى «الأرهارهار» ذلك الوادي الجاف العائد إلى عصر ما قبل التاريخ والذي كان يصب ـ بكل يقين ـ في خليج قابس بعد مروره بشط الجريد في التراب التونسي. وما زال بوسع المرء أن يتابع مجراه بسهولة ويسر ابتداء من منابعه في «الهقار» إلى حمادة «تيزهرت». إن المسافر في هذه المتاهة العارمة يجابه مصيراً يكتنفه الغموض حيث إن «قاسي الطويل» هذا يشبه مسرحاً هائلاً تتعاقب على خشبته مواكب جميع المظاهر والظواهر الطبيعية. فأحياناً تحمر الكثبان عند بزوغ الفجر فتبدو شيئاتها واضحة جلية، وتهب الصبا فتنعش الإنسان بنسيمها العليل، وأحياناً أخرى كل شيء يتلظى وتهب من الجنوب الشرقي ريح كأنها شآبيب من لهيب، وتتصاعد الرمال من كثبانها كالبخار ثم تتكسر انكسار أمواج البحر العاتية، وعندئذ يكفهر الوادي. وفي ظلمته الكالحة يطرق

السمع تراشق بعبارات السب والشتم، وإذا بعنف الظاهرة وبشعور ينبىء بجور أمنا الطبيعة يرميان بالمرء في أحضان اليأس والأسى.

هذا وقد حدث ذات مرة أن قافلة من سيارات السرب الأوّل التابع لسلاح الطيران بإفريقيا قد أجبرت على التوقف عدة أيام وريح السموم على أشدها. إن الأجزاء المعدنية من مركبات القافلة قد صارت مشحونة بالكهرباء لدرجة أن أحداً لم يستطع ملامستها. ففي خضم تشابك السبل المتجهة من الشمال إلى الجنوب التي كانت تحيط بالكثبان المختلفة الأشكال والهيئات. وكل من يضل الطريق ينتهي ـ حتماً ـ إلى الفناء.

ولسوء الحظ قد حاد سائقو تلك القافلة العسكرية عن الطريق فتورطوا في مسالك مسدودة أو استداروا على أعقابهم. وفي الحقيقة أن كثيراً من قادة القوافل والخيالة المحليين وعاملي البريد قد هلكوا نتيجة لتيههم في «القاسي» الذي يسمى في إحدى نقاطه «قاسي العظام» ـ أي مجاز العظام ـ الذي كأنه مزخرف ترابه بهياكل الإبل الهالكة. وعلاوة على ذلك، يشاهد المرء أجزاء من الهياكل العظمية البشرية عرتها الرياح لتروي قصة شناعة احتضار إنسان مات ظمأً.

إنما الإنسان في الصحراء لا يستطيع العطش يوماً واحداً في فصل الصيف، ويكاد يطيقه البعير ثلاثة أيام.

وكما شهدت سنة 1918 وقوع جريمة اقترفها بعض الفلاقة من الطوارق المنشقين الذين نصبوا كميناً لوحدة عسكرية فرنسية أودى بحياة ضابط صف فرنسي وبكثير من الجنود. إن الخنادق التي حفرها القناصة وقتئذ ما برحت قائمة[1]، وإن ذات الموقع لموقع ملعون لا يحب رجال الهجانة أن يتوقفوا فيه.

لقد اكتشف ضباطنا عند «بولقبور» محاجر عائدة إلى عصر ما قبل التاريخ، واكتشفوا أيضاً غابة يرجع تاريخها إلى العصر الثلثي كانت أشجارها متحجرة جامدة.

إن عبد النبي بالخير الذي ما كان إنساناً خلواً من مشاعر الكبرياء لم يكترث بنصائح آمر الحامية في «فورفلاتير» فقام في الليلة التالية بشد الرحال مع ركبه المشتمل على واحد وخمسين شخصاً، وسارت قافلتهم نحو مصيرها المحتوم. ومرت بحاسي «تانسروفت» للتزوّد بالماء فملأت قربها ثم واصلت توغلها في العرق حتى تعذر عليها السير في وضح النهار، فاضطرت إلى مواصلة رحلتها في ما بعد غروب الشمس. إلا أن هؤلاء السراة الذين كانت تنقصهم الخبرة وما كان برفقتهم دليل قد فقدوا على

---

(1) هذه المجموعة من المجاهدين هي مجموعة السلطان أحمد آمود بعد احتلالها لجانت، المؤلف.

صفحة الرمال آثار طريق السيارات ومسلك القوافل المؤديان إلى ورقلة، وما كان عليهم إلا المضي قدماً صوب الشمال مهتدين بالنجمة القطبية على أن متاهة رمال العرق وقفاره الموحشة كانت تجبرهم - بلا انقطاع - على السير وفي خط ملتو غير مستقيم.

وبعد أن استمرت هذه القافلة المنحوسة في تذبذبها ست ليالٍ سوياً حطت رحالها في موقع اعتقده قائدها غير بعيد عن بئر «حاسي الطوارق» فانتشر الرجال للبحث عن مورد الرواء في النواحي المجاورة ولم يهتدوا إلى الهدف المنشود ولم يعثر عليه عدا زمرة مؤلفة من زنجيين وصبي كتبت لهم النجاة[1]. أما الآخرون فقد لقوا حتفهم مع استنزافهم لآخر قطرة ماء في قربهم.

وفي «فورفلاتير» حال وصول الدليلين اللذين كان قد اقترح آمر الحامية خدماتهما على عبد النبي بالخير - أخبرا بأمر القافلة وبأن أصحابها كانوا يعدمون الخبرة بالطريق. فأخذا يقتفيان آثارها على مسافة بضعة أيام بشيء من الانشغال. وسرعان ما أفضى بحثهما إلى اكتشاف آثار الكارثة التي حلت بإخوان لهم يشاطرونهم مشاعر القلق والاضطراب، إذ وجدوا جثثهم وجيف مواشيهم وحطام أمتعتهم المتناثرة هنا وهناك على الرمال بالقرب من «حاسي الطوارق» كانت الجثث تتضح كأنها أكياس رطب مفرط النضج وقد فقأت حرارة الشمس عيون من سقطوا على ظهورهم فظلت وجوههم موجهة نحو السماء ومعرضة للأشعة اللافحة. كما عثر الدليلان على الناجين الثلاثة عند «حاسي الطوارق». إن الصبي الذي كان قد أنزله رفيقاه في البئر بقي حتى ذلك الحين حبيس قاعها بسبب انقطاع حبل الدلو. كان يبلغ عمق ماء البئر مستوى ركبتي ذلك المسكين، الذي لم يألُ جهداً في تزويد رفيقيه بالماء بواسطة سطل صغير معلق بخيط رفيع طويل. إن أحد الزنجيين كاد يصاب بالجنون لشدة الخوف الذي اعتراه.

لقد تمكن المنجدان من انتشال الصبي من غيابة الجب ثم توجها مع الناجين الثلاثة شطر ورقلة لزف أخبار فظاعة ما رأوا إلى السلطات. وحينما وصلا إلى هناك أخبرا العقيد (كاربييه) كبير قادة الجنوب الذي لم يلبث أن أوفد كوكبة من الخيالة المحليين بمهمة التحقيق في الحادث بالموقع وكلفهم - بوجه خاص - بإكرام الضحايا وموارتهم التراب كما يجب. ولكن الخيالة لم يوفقوا في أداء ما أوكل إليهم حيث إن تنقيبهم عن رفات الهالكين في تلك الفيافي وجهودهم التي بذلوها قد باءت بالفشل. وفي الحقيقة أن الرياح العاتية المشبعة بالرمال لم تبق ولم تذر شيئاً تقريباً من مشتملات نجع القافلة

---

(1) الزنجيان والصبي، لم يعثرا على البئر ولكن قافلة أدركتهم أحياء أخذتهم ووضعتهم على البئر كما روى لي يوسف عبد النبي.

وكادت تمسح بساحة الهلاك تلك مسحاً كلياً.

إن انزلاقاً غريباً كان قد أخذ في إزاحة التوبة الغامرة لآثار كل خراب ودمار. وفي وضح النهار وأشعة الشمس تكاد تلتهب كان يبدو أن الصحراء قد استعادت جمالها المثير للعواطف، وأنها استردت سكونها المطلق الرهيب الذي كان يشبه سكون المقابر. أما الأرض فكانت تبدو لينة ملساء وما كانت تبصر النواظر - هنا وهناك - سوى عمامة مصفرة اللون بالية، وماعوناً هزيلاً وبضعة أشلاء مجردة من اللحم.

وفي قفص هودج مزقت العواصف الهوجاء أستاره كان لا يزال منبسطاً هيكل أحد صغار تلك القافلة المنكوبة وكأنه مسجى في ذاك المهد المروع.

وكان في حكم المستحيل فك تلكم الأنكات البشرية وتخليصها من الكثبان الضخمة المتراصة.

هذا وإنّ الوصف المثير الذي وصفت به حال القافلة التي طوتها الصحراء يعود الفضل فيه إلى العريف «بيانكي» أحد ضباط صف الفرقة الأجنبية، الذي ألف جوب القفار الرملية والتجوال في فيافيها. وهو إنسان كان يحبه سكان ورقلة قاطبة ويحظى بتقديرهم لما كان يتحلى به من دماثة الأخلاق.

إن أمثال هذا الرائد الصحراوي يعتبرون في عداد أجلاء الناس بالواحة، الذين يستوي لديهم الجلد والمديح». انتهى.

وقد استطرد الأستاذ علي الصادق حسنين معلقاً على ما ذكره هذا الضابط الفرنسي في وصفه لأحداث المأساة قال:

«.. أجل، إلى هذا المصير المحزن آلت قافلة علم من أعلام جهادنا المقدس وصارت وإياه في ذمة الله وذمة التاريخ. وما من مطّلع متدبر على قصة هذه المأساة - بصرف النظر عما جاء فيها من حشو بلاغي - إلا وتساءل عما دفع عبد النبي بالخير إلى تجاهل نصيحة آمر حامية «فورفلاتير» وعدم انتظار قدوم الدليلين وإلى مغادرته الواحة بين عشية وضحاها قاصداً ورقلة.

فمن المحتمل جداً أن تصرفه كان خشية تآمر إيطالي - فرنسي على حياته وسلامة صحبه. وهذا لعمري شيء معقول مقبول.

ومما لا مراء فيه أن المستعمرين بقدر ما يتنافسون ويختلفون على بعض القضايا نراهم يتفقون أحياناً على أخرى إذا ما اقتضت مصالحهم المشتركة ذلك.

ولذا فليس من المستغرب ولا من المستبعد أن كان ثمة إذ ذاك - بين السلطتين الاستعماريتين - شيء من التعاطف والتوافق على إلقاء القبض على عبد النبي بالخير

وتسليمه إلى عدوه لكي ينتقم منه ويقضي عليه.

إن هذا مجرد رأي أردت الإعراب عنه والله أعلم بحقائق الأمور..»[1].

إن الرأي الذي أبداه الأستاذ علي الصادق في محاضرته قد يكون له بعض الوجاهة. غير أنني سألت وبحثت عن السبب الذي جعل من عبد النبي يتخذ هذا القرار المفاجىء بالرحيل دون انتظار الأدلاء فوجدت أن تشجيع محمد الأصقع له وادعاء معرفته بالطريق جعله لا يضيع الوقت، فالإبل في حاجة إلى المراعي.

ولو أن الفرنسيين يريدون تسليم الزعامات لكان محمد بن حسن أهمهم للتسليم، لأن قراتسياني يعتبره عدوه اللدود، وهو دائب التحدث عنه لأنه في نظره استغفله وتسلح منه وهاجمه في (أبي غرة) وفي معارك أخرى.

فلو أرادت إيطاليا أن تطالب لطالبت بمحمد بن حسن قبل غيره، وقد سمح له بالرحيل إلى تونس وبقي هناك.

وقد اتصلت بأسرة عبد النبي بالخير ابنه يوسف الذي كان من مرافقي تلك المراحيل في تلك الفترة العصيبة وذكر لي أسماء أفراد المرحول الذين لقوا حتفهم عطشاً مع عبد النبي بالخير وهم:

1 - عبد النبي بالخير المبروك من قبيلة الصيعان ورفللة.

2 - المبروك بالخير المبروك من قبيلة الصيعان ورفللة.

3 - خير المبروك بالخير وعمره 15 سنة من قبيلة الصيعان ورفللة.

4 - محمد المبروك بالخير وعمره 12 سنة من قبيلة الصيعان ورفللة.

5 - الشيباني المبروك بالخير وعمره 7 سنوات من قبيلة الصيعان ورفللة.

6 - ناصرة المبروك بالخير وعمرها سنتين من قبيلة الصيعان ورفللة.

7 - علي المبروك بالخير وزوجته وأولاده من قبيلة الصيعان ورفللة.

8 - نوارة محمد حسن الشندولي زوجة علي من قبيلة الصيعان ورفللة.

9 - الحاج علي بالخير وعمره 18 سنة من قبيلة الصيعان ورفللة.

10 - عبد الرزاق علي بالخير وعمره 16 سنة من قبيلة الصيعان ورفللة.

11 - خليفة علي بالخير وعمره 12 سنة من قبيلة الصيعان ورفللة.

12 - جمعة علي بالخير وعمره 10 سنوات من قبيلة الصيعان ورفللة.

---

(1) محاضرة الأستاذ علي الصادق حسنين بمركز جهاد الليبيين.

13 ـ علياء علي بالخير وعمرها 14 سنة من قبيلة الصيعان ورفللة.

14 ـ ريا علي بالخير وعمرها 16 سنة من قبيلة الصيعان ورفللة.

15 ـ عامر محمد بالخير وعمره 16 سنة من قبيلة الصيعان ورفللة.

16 ـ غيث محمد بالخير وعمره 14 سنة من قبيلة الصيعان ورفللة.

17 ـ رحمة محمد بالخير وعمرها 8 سنوات من قبيلة الصيعان ورفللة.

18 ـ زمزم الصغير مصباح زوجة محمد بالخير قبض الإيطاليون على زوجها في شميخ وهو أخ عبد النبي.

19 ـ السوداني فتح الله بالخير وعمره 20 سنة من قبيلة الصيعان ورفللة.

20 ـ أبو عشية فتح الله بالخير وعمره 10 سنوات من قبيلة الصيعان ورفللة.

21 ـ بارقة فتح الله بالخير وعمرها 12 سنة من قبيلة الصيعان ورفللة.

22 ـ خطيطة بنت الشتيوي زوجة فتح الله بالخير.

23 ـ عبد الكريم سعد عطية وجميع أفراد أسرته من قبيلة الصيعان ورفللة.

24 ـ عيشة بالخير المبروك زوجها من قبيلة الصيعان ورفللة.

25 ـ حليمة عبد الكريم سعد وعمرها 25 سنة من قبيلة الصيعان ورفللة.

26 ـ أرميلة عبد الكريم سعد وعمرها 22 سنة من قبيلة الصيعان ورفللة.

27 ـ مصباح عبد الكريم سعد وعمره 16 سنة من قبيلة الصيعان ورفللة.

28 ـ عطية عبد الكريم سعد وعمره 14 سنة من قبيلة الصيعان ورفللة.

29 ـ منصور عبد الكريم سعد وعمره 12 سنة من قبيلة الصيعان ورفللة.

30 ـ عتيقة بنت مرعي زوجة علي بن بشر توفي بوادي (تهاوت).

31 ـ عيشة علي بشر وعمرها 12 سنة من قبيلة الصيعان ورفللة.

32 ـ هنية علي بن بشر وعمرها 10 سنوات من قبيلة الصيعان ورفللة.

33 ـ سالمة علي بن بشر وعمرها 8 سنوات من قبيلة الصيعان ورفللة.

34 ـ سعدة بنت الطليعي زوجة حسونة مصباح من قبيلة الصيعان ورفللة.

35 ـ محمد بن روين من قبيلة معدان.

36 ـ سالمة المعدانية زوجها من قبيلة معدان.

37 ـ فاطمة محمد بن روين ابنتها من قبيلة معدان.

38 ـ عيشة محمد بن روين ابنتها من قبيلة معدان.

39 ـ سلامة مسعود عوير من قبيلة المناسلة ورفللة.

40 ـ عمر الأكيرد السلاطي من قبيلة المناسلة ورفللة.

41 ـ قمرة. . . . . زوجة عمر الأكيرد من قبيلة المناسلة ورفللة. وقد استشهد جميع أفراد عائلته البالغ عددها (5) أفراد.

42 ـ عبد الله حماد بعيدة من قبيلة الدروع ورفللة. وقد استشهد جميع أفراد عائلته البالغ عددهم (13) شخصاً.

43 ـ محمد خليفة قريرة الملقب بالأصقع من جماعة المزاوغة.

44 ـ بنت امحمد سلامة المنسلي زوجته. كما استشهد معها جميع أفراد عائلتها البالغ عددهم (4) أشخاص.

ولم يبق على قيد الحياة من هذا (المرحول) المنكوب إلا اثنان:

اللافي المبروك بالخير 18 سنة

فرج (زنجي أسود) وعمره 20 سنة

وجميع شهداء العطش في هذا المزحول حوالى (64) شهيداً منهم حوالى (34) شخصاً من قبيلة الصيعان ومن أسرة الشهيد المجاهد عبد النبي بالخير بمن فيهم هو شخصياً عليهم رحمة الله.

* * *

ولم يكن العطش وحده الذي بطش بمراحيل المجاهدين المهاجرين بل الجوع أيضاً ساهم في إفناء مئات العائلات.

والمهدي ابراهيم المخيون المقرحي الذي رافق مرحول محمد بن عامر يتحدث عن المجاعة في سلسلة روايات الجهاد.

يقول:

«وصلنا إلى مرحلة من المجاعة لا توصف، وكنا نأكل القطف وأعشاب الأرض وقد جمعنا الفرنسيون في وادي تهاوت ومنعونا من التقدم إلى الأمام.

قلنا لمحمد بن عامر، نحن الناس المساكين لم يعد لنا ما نأكل ولم يعد لكم ما تنفقوه علينا، والأفضل أن نتسلل إلى داخل الجزائر. إما أن نموت بعيداً عن أهلنا أو نجد ما نأكل، وإذا قبض علينا الفرنسيون قل لهم إنهم سرقوا أنفسهم ولا أعلم عنهم شيئاً وهربوا هروباً.

أجابهم محمد بن عامر عندكم حق وانشاالله ما تشجوا حد. وسأقول إنني لا أعلم

عنهم شيئاً وأنهم تأخروا عن المراحيل وتاهوا.

اتجهنا إلى ورقلة وكنت أنا أملك بعيراً وابن عمي يملك بعيرين وعمي يملك بعيراً.

ارتحلنا بعائلاتنا ودخلنا سريراً من الرمال سبعة أيام لم نجد فيها حجرة واحدة ولا قطرة ماء. في نهاية اليوم السابع وردنا بئراً تسمى (الخلال) ويسمونها (القاسي) قبل الوصول إلى ورقلة بخمسة أيام، وأغلب الناس الذين ارتحلوا بعدنا ماتوا في ذلك السرير بالعطش.

لقد ذهبت قوافل قبلنا إلى عين صالح لتجلب لنا الميرة ولكنها تأخرت في الوصول.

استطعنا أن نصل إلى بئر (القاسي) حيث شربنا وليس لنا أي شيء غير الماء فبحثنا عن جلد بعير كان في متاعنا، وسرنا نقتطع منه ونحرقه بالنار ثم نسحقه في المهاريس ونسفّه ونشرب عليه الماء.

إستمرّرْنا على هذا الحال ثلاثة أيام. وفي نهاية اليوم الثالث وصلت إلى البئر قافلة قادمة من (ورقلة) لجماعة من الشعانبة (جزائريين) (12) بعيراً، يسوقها ثلاثة رجال استقبلتهم وأنا أقول لهم:

«يا جماعة عندكش باش تقوتونا اليوم لينا ثلاثة أيام ماناكلوا كان في المخلة ولا في الخبر ما يندس».

قال أحدهم: عندنا كل خير. وتقدم من الجمل وبركه وأعطاني حوالى ثلاثة صيعان دشيشة (سميد) وبرّك الجمل الآخر وأعطاني حوالى كيلوغرامين تمراً. وقال:

- أنتم الطرابلسية الهاجّون من الطليان؟

قلت له:

- نعم.

قال: وصلتوا الخير. غدوة هالوقت توصلوا للعرب.

وذهبت أبحث في مكان قافلة فوجدت بقية الشاي (الحشيشة) ملقاة على الأرض فجمعتها ورجعت إلى العائلة، وأعددنا الشاي ووضعنا التمر بدلاً من السكر وأعدت النساء الكسكس وتعشينا وشبعنا لأول مرة منذ زمن. وحتى الكلب الذي يرافقنا نبح لأول مرة تلك الليلة بعد أن شبع هو الآخر.

ووصلنا إلى ورقلة وبقينا فيها ثلاثة أشهر واسترحنا ونسينا التعب والجوع والملخة، ومنها رحلنا باتجاه تونس حيث وصلنا إلى الرديف واشتغلنا في استخراج الفوسفات.

سارت النجوع باتجاه تونس حيث تم تسجيل الرجال في العمل بجبال (الفوسفات) وتم تقسيم الذين وصلوا منهم بين مناجم (لمظيلة، والرديف، والمتلوي، وأم العرائس) وكان الرجال يحفرون في الجبل دون دراية بهذا العمل، ودون تأمين على أرواحهم ومن الأضرار التي تلحق بهم. وكثيراً ما ينهار الجبل على مجموعات من الليبيين ويدفنون تحته. وقد حكى لي أحد العائدين من المهجر أنه في إحدى المرات سقط الجبل على من بداخله ودفن داخل النفق خمسمائة ليبي من مختلف قبائل ليبيا.

وتشتتت المجموعات في الحرف المختلفة، منهم من امتهن الرعي، ومنهم من اشتغل في حصاد الزرع، وغرس الأشجار (والخماسة) عند الإخوة التونسيين.

أبطال الجهاد الذين أبوا أن يهادنوا الطليان أو يلقوا السلاح أرغمتهم الفاقة على أن يشتغلوا بالأجر الزهيد ليسدوا عوزهم ويحفظوا كرامتهم ويعيلوا أسرهم، ولاقى جلهم شتى الظروف الصعبة، ولاقى كل فرد منهم قصة من المآسي والمتاعب.

ونحن إذ نورد هذه القصص هنا لا نريد منها المتعة أو جمع الطرائف وتبديد الملل، ولكن لنضع أمام الأجيال الحاضرة والأجيال اللاحقة المصاعب والمتاعب والأهوال التي قاساها آباؤهم وأجدادهم في سبيل هذا الوطن الذي ينعمون اليوم بخيراته ويتفيأون ظلاله.

إن طرق الصحراء الكبرى على امتداد مساحتها الشاسعة ما زالت ترسمها عظام الآباء والأجداد وجماجم شهداء الواجب، عظماء الهمم، شم الأنوف رسموا للفخر طريقاً عز مطلبه وقل منتهجه، يحق لنا جميعاً أن نفخر بهم وأن نتبع مسالكهم وطريقهم الذي رسموه.

وللحرية الحمراء باب   بكل يدٍ مضرجة يدق

*

لم يكن العطش من نصيب الذين تركوا الوطن فقط، وإنما هناك آلاف الأسر الأخرى في داخل ليبيا صادفت أنواعاً من المتاعب والإنهاك أهمها العطش.

ولندع محمد ابراهيم الأمين العزومي المقرحي يروي لنا قصة من مئات القصص المحزنة التي سببها العطش في هذه الصحراء القاحلة في فترة الجهاد.

هذه القصة وقعت أحداثها قرب منطقة الهروج والجبال السوداء، حيث استقرت آلاف الأسر من مختلف قبائل القبلة في تلك المنطقة هروباً من الطليان عندما تقدّموا لاحتلال القبلة عام 1913.

لقد تمركزت هذه القبائل حول زلة، والهروج. يقول محمد ابراهيم:

«بعد خروج الطليان من سبها وانسحابهم من فزان، كانت نجوعنا بالقرب من الهروج، وقضينا فترة الربيع والصيف ولكن عند الشتاء كز الوطن فارتحلنا بإبلنا وأغنامنا إلى السودة حيث وجدناها (ربيعاً كبيراً) فربعت الحيوانات، وعند نهاية الربيع أخذنا مجموعة من الإبل، ورجعنا إلى نجعنا لترحيله ليلحق بالحيوانات. كان معي بشير بن نصر ومحمد بن نصر والعجيلي وواحد أو اثنان مشاشية.

رجعنا حتى وصلنا إلى نجعنا وكنا لا نعرف الأرض ولا نخبرها وارتحلنا بأسرنا حتى وصلنا (الفقهاء) حيث شربنا وحملنا ماءنا وارتحلنا ثانية ودخلنا أرضاً منبسطة (سريراً) لم نعد نخبر الأرض وبقينا اثني عشر يوماً نسير في طريق متعرج وندور لا نعرف الاتجاه، وكانت بداية الصيف والحرارة على أشدها.

وأخيراً أثر فينا العطش فعقلنا الإبل وبنينا بيتين جمعنا فيهما الناس وكانوا ثمانين نفساً كباراً وصغاراً وكنا في هذا المنتجع ثمانية رجال.

أخذ أحد المشاشية ومحمد بن نصر القرب وحملوها على جمال، ووجدوا مسارب قديمة متجهة إلى الجنوب ساروا معها ليجلبوا الماء.

ذهبت المجموعة عند الصباح وبقينا نحن في المنتجع وعند الليل مات لنا شاب من العطش. وهنا قال لي بشير: يا محمد، هيا قم واحمل على جملك القرب وأسير أنا وإياك وأحمل على جملي القرب، إما أن نجد الماء ونحيي هذه العائلات أو نموت بعيداً عن النساء والأطفال.

أخذ كل منا جملاً وحمله بالقرب وسرنا دون هداية، سرنا طوال الليل باتجاه الجنوب (ونحن لا نعرف وجهتنا) نجد مرة مسارب قديمة ومرة تندثر فلا نجدها.

عند الصباح كنا أحياناً نجد بعر الإبل في تلك المسارب واستمررنا إلى منتصف النهار، حيث وجدنا (رجماً) من الحجارة به قليل من الظل، فبرك جمل بشير قدامي وسقط هو في الشمس، يردد الشهادة. وصلته، وبرك جملي بجانب جمله. وضعت جردي على الجملين ليكون لي قليل من الظل وأدخلت رأسي فيه بين الجمال. وبشير لم يستطع الدنو من الظل فاستمر في مكانه يتشهد، ولم يكلم أحدنا الآخر وعند العصر قام بشير وهو يقول: محمد شن حالك؟

قلت له: حالي لا بأس عطشان بكّل.

قال لي: خطر علي فكر.

قلت له: ما هو الفكر؟

قال: الفكر هيا نذبح أحد الجملين نشربوا دمه وفرته والآخر نركب عليه نحن

الاثنان. إن كان وصلنا الماء وعشنا يبقى الجمل الحي بيناتنا وكان متنا الله يرحمنا.

قلت له: باهي هيا، أي الجملين نذبح؟

قال لي: أنت أيهما تقترح؟

قلت: نذبح جملك أنت لأن جملي أنا صغير (ثني).

قال: لا إن جملك صغير وعندما يشم الدم يجفل ويهرب ولا نستطيع القبض عليه وجملي أنا فحل وهادىء فالأحسن أن نذبح جملك وكان عشنا هذا الجمل يسوي الثمن أكثر.

قلت له: نحن أبناء عم وما بيننا حساب.

وقمنا إلى الجمل حيث عقلناه بأربعة (عقالات) من قوائمه الأربع ومسكت فم القربة ونحر هو الجمل ووضعت فم القربة في فم الجرح بحيث جمعت كل الدم فامتلأت إلى نهايتها ووضعناها في الظل لتبرد وأخرجنا الكرشة وثقبناها بالسكين وجمعنا ماءها الذي كنا نعصره بمنديل ونشرب فيبست شفاهنا وكان مذاق الفرت مراً لا يطاق.

بعد المغرب بقليل شرعنا في شرب الدم حيث وجدناه مستساغ الطعم أحسن من الفرت.

بعد العشاء بقليل امتطينا على ذلك الجمل وحملنا بقية ما حصلنا عليه من الماء (الدم) وسرنا حيث تسير تلك المسارب القديمة واستمررنا طوال الليل، وأشرقت الشمس وعند منتصف النهار وصلنا إلى بلدة (تمسة) ووجدنا رجلاً يخرج الماء من العين والجابية ملأى فسقطنا فيها بملابسنا وبدأنا نشرب ونتقيأ إلى أن رجعت لنا أرواحنا واسترحنا.

ووصل إلينا (عقاب القايلة) بعد الظهيرة الجماعة الذين ذهبوا قبلنا ليجلبوا الماء ولم ينحروا جملاً، وكانوا في أشد العطش.. ارتوينا وملأنا القرب ووضعنا على كل جمل ثماني قرب ورجعنا إلى المنتجع.

مررنا على جملنا المذبوح وأخذنا حويته وضعناها على الجمل ولم نلتفت إلى اللحم بالرغم من جوعنا.

استمررنا طوال تلك العشية وطوال الليل، ووصلنا إلى النجع عند منتصف النهار من اليوم الثاني.

وجدنا الناس جميعهم مغمى عليهم، وأحد البيوت متهدم والإبل معقولة تتقافز بعقالها.

بركنا الجمال وأخذنا قصعة ملأناها بالماء، وكلفتني الجماعة لأنني أصغرهم

بالدخول إلى الخيام لسقي الناس الأحياء وإلباس العراة منهم وستر الميت.

دخلت إلى الخيام وكنت أفتش بين الناس، هذا ميت. أقول لهم فلان مات، فلانة ها هي ميتة إلى أن أحصيت لهم جملة المتوفين ثلاثة عشر شخصاً من الأطفال والنساء ومن بينهم أربعة رجال.

وبدأ بشير يطوف على الأحياء ويسقيهم رويداً رويداً إلى أن استعادوا وعيهم.

وبدأنا نحن في حفر القبور للأموات دون غسلهم ودون تكفينهم. واستغرق منا هذا العمل كل تلك العشية إلى وقت المغرب.

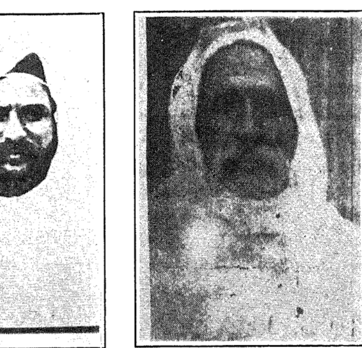
ارتحلنا من ذلك الموقع المشؤوم متوجهين إلى الغرب وفي آخر الليل افتقدنا ثلاث فتيات كن يسرن بجانب المرحول بحثنا عنهن ولم نجدهن. وسرنا حيث وصلنا في يوم الغد إلى بلدتي (الزيغن) و (سمنو) وأخبرنا الناس فركبوا الخيول وبحثوا عنهن ولم يجدوا منهن واحدة وضعن إلى الأبد»[1].

لم تكن هذه القصة وحدها حدثت لمراحيل المجاهدين بل هناك عشرات القصص. والمهاجرون إلى مصر قبل هذا التاريخ ضاع منهم العشرات من العطش في رمال سيوه عندما اجتازوا تلك البحار من الرمال المتحركة والقاتلة.

أما عن الخيل فلا تسأل، فلم يسلم أي جواد في هذه الهجرة من الموت عطشاً وحيا الله الإبل، وصلت حية وأحيت المهاجرين.

---

(1) هذه الرواية في موسوعة روايات الجهاد، جمع علي البوصيري. كتبتها هنا بتصرف ووضعتها في هذا الأسلوب بدلاً من الأسلوب الشعبي. وقال الراوي إن الفتيات أسماؤهن عيشة المتنانية ورجعة بنت الكيلاني ورقية بنت عرفة.



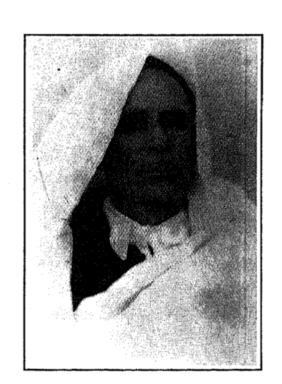
● المجاهد عبد الجليل سيف النصر
الصورة من أرشيف مركز جهاد الليبيين



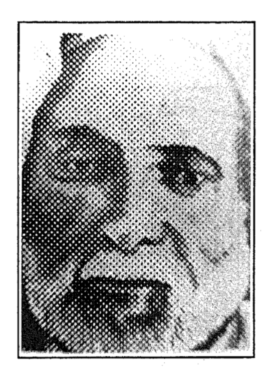
● صورة المجاهد عبد النبي بالخير
عضو الجمهورية الطرابلسية
هاجر إلى فزان ومنها إلى الجزائر حيث توفي من العطش عليه ـ رحمة الله ـ بالقرب من بئر (التوارق) في صحراء الجزائر.

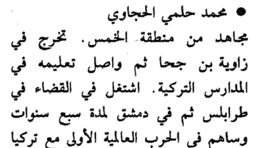


● المجاهد مختار كعبار
من المثقفين الليبيين، ساهم في معارك الجهاد الأخيرة وهاجر إلى السدادة وبني وليد وفزان
هاجر مع أسرة سيف النصر إلى مصر وصاهر محمد سيف النصر بأن زوجه ابنته (صالحة) التي التقيت بها عام 1974 في أنقرة بتركيا وروت لي ذكرياتها عن تلك المرحلة وقد طُلقت من محمد سيف النصر وتزوجت شخصاً من أسرة سلام من طرابلس كان مهاجراً معهم في تركيا وأنجبت منه ولداً وبنتاً



● الحاج يوسف بن عبد النبي بالخير
التقيت به عدة مرات بين وليد وطرابلس وحدثني عمّا علق بذاكرته من أحداث الجهاد في فزان والهجرة
ما يزال يتمتع بصحة جيدة ويقيم ببني وليد أمد الله بعمره





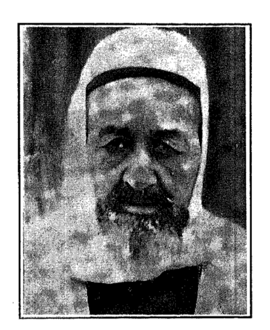
● محمد حلمي الحجاوي
مجاهد من منطقة الخمس. تخرج في زاوية بن جحا ثم واصل تعليمه في المدارس التركية. اشتغل في القضاء في طرابلس ثم في دمشق لمدة سبع سنوات وساهم في الحرب العالمية الأولى مع تركيا وجرح فيها (انظر ملخص سيرته في الملاحق)
ساهم في الجهاد وهاجر إلى فزان ثم إلى تونس حيث اشتغل في الفرع الزيتوني بقابس عاد إلى أرض الوطن في الخمسينات وتوفي بطرابلس عليه رحمة الله



• الطاهر بن عبد الله اليازجي
من سكان طرابلس المدينة ساهم في حركة الجهاد وانتقل إلى مصراتة ثم إلى فزان هاجر إلى الجزائر ثم إلى تونس ومنها انتقل بحراً إلى مصر. بقي هناك إلى نهاية الحرب العالمية الثانية ثمّ رجع إلى أرض الوطن حيث توفي سنة 1964 عليه رحمة الله. واليازجي من المثقفين الليبيين الذين واصلوا الجهاد إلى نهايته

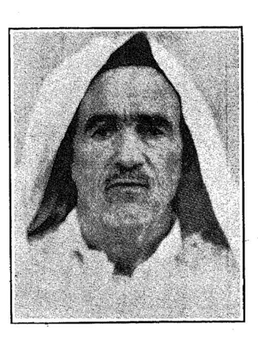


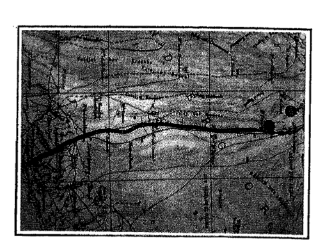
• المجاهد علي أبو ستة من النواحي الأربع ضابط مدفعية مع عبد الله تمسكت، هاجر إلى فزان ثم إلى الجزائر ومنها إلى تونس ثم رجع إلى أرض الوطن. وفي سنة 1966 توفي في حادث سير وقع للجنة المجاهدين في (النقازة) بالقرب من الخمس عليه رحمة الله



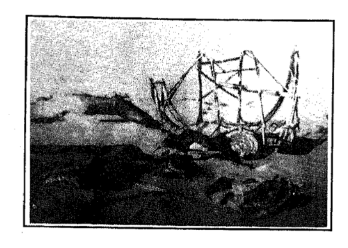
● المجاهد الشيخ محمد النعاس الفقهي من مواليد 1301هـ 1883 افرنجي
أحد العلماء الليبيين الذين ساهموا في الجهاد ضد إيطاليا وساهم في عدة معارك
هاجر إلى تونس عن طريق صحراء الجزائر وفقد مجموعة من أسرته في الطريق بسبب العطش عليهم رحمة الله
عاد إلى أرض الوطن عام 1957 افرنجي، له ديوان شعر. توفي ببني وليد يوم 28 من شهر الماء 1968 افرنجي عليه رحمة الله ودفن فيها

● علي شاهين الورفللي
من قبيلة أولاد بوراس، انضم إلى مجموعة سيف النصر وكلفه عبد الجليل باحتلال سبها وانتزاعها من سيطرة عبد النبي بالخير حيث قبض على محمد حلمي الحجاوي المكلف من قبل عبد النبي بإدارة سبها وحاول قتله ولكن مجموعة عبد النبي تمكنت من انتزاعه منه وطرده من سبها
نزل بقبيلته في القطرون ولكن (التبو) أغاروا على إبله ولم يتحرك عبد الجليل سيف النصر لنصرته فذهب إلى عبد النبي بالخير وصالحه وأرجع له إبله
هاجر مع عبد النبي وكلفه بقيادة مجموعة من مجموعات العمال المتوجهين إلى تونس
عاد من المهجر بعد خروج الإيطاليين وتوفي في أرض الوطن عليه رحمة الله





● طريق عبد النبي بالخير بين الزاوية الكحلاء وحاسي التوارق
الطريق الذي استشهد فيه عطشاً مع مجموعة من العائلات.
رسمه الضابط الفرنسي العقيد فايس في كتابه (سر الجنوب)



● بقايا العائلات في الصحراء الهوادج مكسرة وأخبيتها ممزقة والخيام مهدمة والأواني مبعثرة وعظام البشر والحيوانات تلوح في الشمس وتدفنها الرمال
الصورة من كتاب (سر الجنوب) العقيد فايس وقد وجد طفل ميت في هذا الهودج الذي يُرى في الصورة



● الفريق الفرنسي الذي كلف بالبحث عن المفقودين وأغلبهم من التوارق والشعانبة هجانة لدى الفرنسيين
الصورة من كتاب (سر الجنوب) للعقيد فايس

الفصل التاسع

الشعر الشعبي

في أحداث القبلة

الشعر الشعبي هل سجل الأحداث لدى الشعب في فترة لم يكن التسجيل ميسوراً لليبيين؟

لقد سجل الشعراء الشعبيون أحداث (القبلة) سلباً وإيجاباً، فخراً ومدحاً وهجاء ومراثي موجعة.

انتقل هؤلاء الشعراء إلى الرفيق الأعلى، وبقيت آثارهم يتداولها الرواة حفظاً، رغم أن جل الشعر الشعبي ضاع في طوايا النسيان.

ولقد تفضل مركز الجهاد الليبي مشكوراً بتجميع ما وجد من قصائد شعرية في فترة التجميع التي استمرت عدة سنوات من قِبَلِ بحاثة وبقيت آلاف القصائد دون تجميع، إما لتغيب رواتها عند مرور باحثي المركز أو لصغر سنهم ولهذا ضاع الكثير ولم نستطع جمعه.

أوردت في هذا الفصل بعض القصائد التي توضح أحداث القبلة ومشاكلها وحروبها ومآسيها، وذلك لاعتبارها وثيقة تاريخية من وثائق الجهاد الوطني تدعم ما جاء في الكتاب.

في معركة مزدة

عندما حاصر سيف النصر القارحة في مزدة.

قال أحد الشعراء:

صار يوم في مزدة قوي باروده — والقايلة ولّت غمامة سوده

*

نهار يحرّض — نهار فيه تفتاف الثقيل يقرّض
نهار فيه لولاد لملاح اتعرّض — تعريض هايج يدّقل في ذوده
نهار فيه فالق طبلة المتفرّض — غدي كيف ظلمان النعام شروده

*

في حصار مزدة

بعد انسحاب عبد الجليل من مزدة حين لم يستطع اقتحامها قال أحد الشعراء ويدعى (علي رفه) يخاطب عبد الجليل:

روي قمع بعد أن لاطموه أبّادي — مشوا شاربين العون منهم غادي

*

لاطموه ظراري — محاسير علْ سُبّق اسمان جراري
قفز قنطراري[1] من جعب هواري — خلّى الزنايز كايده العدّادي
بدي الخد منها نار كيفه ناري — على أخيّها تقول نايشة قدّادي

*

لاطموه الشيّب — وآخذين عل سوق الدّعاك قريّب
جاهم سبيب أصحاح ولّى عيّب — وجاهم يسوّط صول ولّى هادي
نيبان طقّن غاربه وتنيّب — وما ينبّن من ثلب في لنكادي

*

ما ينبن في ثلث[2] وقت اهياجه — وهنّ حواشي[3] عارفات علاجه

---

(1) القنطراري: كناية عن البارود الذي برع أهالي قنطرار في صناعته في مزدة.
(2) الثلب: الجمل المسن.
(3) الحواشي: القعدان الصغيرة من الإبل.

ومـاركـحـن فـي مـال[1] فـي مـدهـاجـه		ومـا كسّرت فـي خشـم مـوش امـقـادي
ومـا تـوقـوا فـي سـوق شـيـن عـجـاجـه		ومـا درجـحـوا فـي راس عـبـد الـهـادي

*

مـنـيـن زغـردت لـلّـتـنـا		وقـالـت أولادي قـومـهـم وصـلـتـنـا
ونـضـنـا نـكـابـر ديّـرت جـبـهـتـنـا		ردُّوه فـي عـكـلـه غـبـار الـصـادي
خـذيـنـا سـرايـا سـلّـكـن خـونـتـنـا		بـالـكـيـل وافـي ولـعـيـار مـقـادي

*

مـنـيـن زيـغـنـن فـي الـكـويـه		منـيـن قـومـنـا مـن قـومـهـم مـغـلـوبـه
وظـهـرت اتـخـب مـن بـيـتـهـا مـحـجـوبـه		وويـن زغـرتـت ولّـت الـخـيـل هـوادي
فـي يـوم جـمـعـة مـا يـخـط هـروبـه[2]		مـرحـوم فـيـهـا يـا جـنـيـن أفّـادي

*

في معركة أم العجرم

عندما تخلى أولاد بوسيف عن المشاشية وقبيلة أولاد أحمد وشيخها أحمر لحية وتركوهم لمصيرهم.

قال الشاعر الجعفري بشير بطرونة يلوم أولاد بوسيف لتخلّيهم عن إخوتهم إذْ بطش بهم الأتراك ويمن معهم. يقول:

مـنـيـن الـشـقـيـق مـن الـشـقـيـق تـبـارا		بـيـش يـا أسـيـادي تـعـانـدوا هـواره

*

مـنـيـن الـشـقـيـق الـدّانـي		امـخـلّـي أوخـيّـه لـلـعـدو حـقّـانـي
الـشـنـطـة فـزعـلـه سـوف والـرجـبـانـي		وجـاتـه جـرايـد مـن يـهـود الـحـاره
ولـحـم ظـهـر فـي نـسـبـتـه بـرّانـي		مـالاه يـا عِـزْ الـعـقـيـل اخـسـاره

*

خـوتـكـم هـنـتـوهـم		لـوطـن شـيـن افـوطـنـكـم دالـوهـم
ايـهـيّـالـكـم لا كـان سـيـبـتـوهـم		تـبـغُـوا اتـهـنُّـو اخّـر لـكـم طـيّـاره

---

(1) مال: المقصود بها هنا الإبل.

(2) يقصد الشاعر أن المعركة وقعت في يوم جمعة.

أيام الهنا بعد التريس انسوهم وحطُّوا على باب الهنا سُكّاره

*

خوتكم شُقّاكم تلاهم البارد والثقيل احذاكم
ويا ناقصين العِرف ما يغباكم راكم كما عرجون في جُبّاره
وهللي فطر هاذوك يتغدّاكم ولا بعد دوسان الشقيق آماره

*

خوك صعيبه اتقول موش خويا ويعجبك تسييبه
وبالحق كان الصف عنده هيبه حتى لمجاور ما يسيّب جاره
وتوّه بدت معّاد فيها ريبه اتهون خوك وتحيّد عليه ايساره

*

منين الشقيق تعافه امسيّب اخيّه للعدو خُرّافه
وهكّه لعشيب لاكان دار طفافه اتجيه لمّاشي قطّفت نّواره
عقاب الفريسة السعي موش يعافه وهِكّه طليبك كان دست اخياره

*

حسن بن بلقاسم الدرويش(*)

هو أحد قياديّي المجاهدين في منطقة أولاد بوسيف. ويتحدث في هذه القصيدة عند رحيلهم إلى (النوفلية) سنة 1914 بعد زحف الإيطاليين نحو الجنوب.

يا قلب ليش حزين وكيف سيرتك دون العرب محتار
ناض قال ليّ اسنين لابس ثياب الحزن عل ما صار
وين لربعه واثنين ضنا سيد من منسل خيار أخيار
ووين زاد عمي احسين ووين سي حمد ركاب للمضمار(1)
قعادي بلاهم شين كيف من خبط ليمن بغير إيسار
والصبر ديما زين والصبر كيف الحنظل المرّار
والصبر داه طعين يخلّيك كيف العود ما تخضار
بعيدة جبا يا عين ودمعك يذرّي تقول غير أمطار

(*) القصيد من رواية عبد الحفيظ البوسيفي.

(1) الأربعة والاثنان أبناء عمومته استشهدوا في الجهاد وكذلك عمه حسين وسي أحمد من جماعة أولاد بوسيف.

واليوم في تبيين   في فج خالي ما معانا جار

المنيا انديرهجين   غليظ الرُّكب عمره ثلاث أفطار

وفوقه انديرعوين   وقِربه جديدة غاية السفّار

اتّقّز المفروغين[1]   ونبغي انتعلّى كان قولي صار

وادى لحصان فنين   ودور (بوبلاع) يبان في المنظار[2]

يفوت الجمل في الحين   الياجي اموجوج يغلّب التيّار

تحلف أقلاع سفين   من وطن برقة كانّك خبّار

من البعد كان بدين   ووين مازويته زاد في المشوار

ما يوم دار حنين   ولا يوم هذا قلت خيره خار

أحرش ملولب زين   مشري ابميّه وأخذه سمسار

وأحجل من الشنتين   غزال أريلي غير الغزال اصغار

يدهم على (اتلاكشين)[3]   من الشايلة[4] امغرّب يدير قرار

يعقب أودي الطين   تعقب السودة والجبل والطّار[5]

ويفوت عل ليمين   ابلادات فيها تمر للميّار[6]

ما زال له يومين   يروّح يجي لينا سنا بشّار

يضل بيه مجتملين   فراحا بجملتهم انسا واصغار

رد غربتي من وين   لين ننزلوا من (بي) لا (زتّار)[7]

نركب قصير القين   وفوقه امكلّف سرز بالمصمار

ومعاي حكر الفين   ضنا سيد توّا ظاهرين اصغار

نبغي خلاص الدين   ولَوْ بعد ميّة عام يا حضار[8]

*

(1) المفروغين: يقصد (الوادي الفارغ).
(2) وادي الحصان ودور بوبلاع: مناطق في صحراء سرت.
(3) تلاكشين: بئر في الظاهر جنوب بلدة جادو.
(4) الشايلة: موقع قرب تلاكشين.
(5) السود: والجبل، والطار مواقع في القبلة.
(6) يقصد في هذه الشطرة منطقة الشاطىء فزان.
(7) بي: وادي (بي). وزتار (وادي زتار) من أودية القبلة.
(8) يتمنى الشاعر الفين من الشباب من أبناء عمومته ليخلص الثأر من الإيطاليين الذي حتمه سيخلصه ولو بعد مائة عام.

معركة (قاهره)(*)

الشاعر علي عمر معتوق الزنتاني يتحدث عن معركة (قاهرة) التي يرى فيها انتصاراً لمعركة (القارة) التي استشهد فيها الشيخ محمد بن عبد الله البوسيفي رحمه الله.

نهار قاهره خلّص نهار القاره   البراطيل فيها تعدهم بالحاره[1]

*

بدينا عليهم هجمه   قبل الصلاة ردّه ظهور النجمه
وعل من مطلين يا عملنا قجمه   جاته ظراري للعدو كسّاره
كبير طاليا انصرمت عليه الحزمه   ولعبوا الظراري بمريشه وخساره

*

جوه ضراري   واخذين على لز العدو من ضاري[2]
جوه في سواري العون ليهم واری[3]   لفُوه لقْت طير لفْ احباره[4]

*

خلص دين غابي دوله   اخْلص سي محمد قبل يوفي حوله[5]
عطيناه ساعة كيف ما نبوُّله   . . . .
طبخناه طبخت قِدر طايب فوله   قطعناه قطعة حبل من جُرّاره

*

اخلص ثارنا هالوّل   غلبناه ردّت غلبته عمنوّل
والنصر راهو من قداه تحوّل   اللّي يا جده تلزم عليه ابشاره

*

بديناه في فجريّه   بدي فيه يطّرشق اتقول قليّه[6]
. . . .   تمام كفر ما كمشت عليه اعماره

(*) القصيد من كتاب قصائد الجهاد، جمع مركز دراسات جهاد الليبيين، المصدر السابق.

(1) نهار قاهرة: يقصد معركة قارة سبها 27/ 11/ 1914.
والقارة: يقصد بها معركة المحروقة 24/ 12/ 1913.

(2) من ضاري: منذ سابق عهدهم.

(3) العون: ريح النصر.

(4) لفُوه: ضربوه. ومثلهم هنا بالصفر الذي يضرب طير الحبارى.

(5) سي محمد: هو محمد بن عبد الله البوسيفي الذي استشهد في معركة المحروقة.

(6) يطرشق: يصف صوت الرصاص (البارود) في كثرته (كالقلية).

مـن بـراك لا سـبـهـا الـيـافـاتـيّـه[1] قـدعـت بـلا نـدير غـيـر الـطّـاره[2]
وجـاتـه سـريّـة فـي قـرون سـريّـه جتْ بـالنّفـيـر تقـول غير سكـاره[3]

*

يا خالق الليل فرّج عليّ(*)

هذه القصيدة قالتها الشاعرة السوكنية فاطمة بنت مادي الرتيمية، عندما ارتحل أهالي سوكنة إلى سهل الجفارة وتركوا قريتهم سنة 1915 وبقيت الشاعرة بسوكنة.

يـا خـالـق الـلـيـل فـرّج عـلـيّ وتـبـدأ ثـريّـا
وفـرّج عـلـى جـمـلـة الـسـوكـنـيـه

*

أنـا نـادهـة الـلـه تـعـمـر بـلادي ويـجـونـا لـبـعـادي
وهـا ذاك تـجـلـى غـمـامـة أفّـادي

ولي عين تسكب كما سيل وادي ابـدمـعـة سـخـيّـه
وكـثـر لـمّـا جـع بـلا غـيـر سـيّـه

*

يـا عـين جـدّي لـبـكـا ولـغـريـدي عـلـى زول ريـدي
ولا خـوت لا عـم لا ولـد سـيـدي

أنا بديت كيف الحمام الفريدي اتـحـوّم هـفـيّـه
لا تـحـزنـوا ولا تـحـزّن خـلـيّـه[4]

*

جلينا وخلّيت موكر اعيالي والـنـوم مـا لـجـالـي
وأنـا الـيـوم يـا شـيـن فـتـقـة خـلالـي

---

(1) براك وسبها والفاتية: مواقع حدثت فيها معارك بين المجاهدين والطليان.
(2) الطارة: اطار الدف.
(3) النفير: نفير الحرب.
(*) هذه القصيدة رواية بلقاسم السوكني.
(4) نقصد أن الدنيا لا تسر ولا تحزن فهي خالية وفانية.

والبهم قدّام والخيل تالي والدنيا خليّه
والِّلي قبل حكّام ولّت رعيّه

*

ولد بي بن بي من يوم كان وعصر الزمان
وربّيت عصر جايبه من فلان

عطا صحته في سعود ليّام ويدّه مريّه
وبن خال شارب حليب الثنيّه[1]

*

انشالله يجينا حميده الغالي ويطمان بالي
وكنز الذهب ما يساويه والي

وصيته تعلّى مثيل لهلالي ولد سلطنيّه
والكارهة عطية العمي في اصبيّه

*

أنا نادهة الشيخ راقد أوباري يعمّر أوكاري
ونرقد بنوم الهنا كيف ظاري

يجدد طريقه علينا ابكاري كنونو اخيّه
وتبدا قمر بعد ظلمه عليّ[2]

*

(1) هذه الشطرة تمدح الشاعرة ابن خالها الذي هاجر وترك البلدة.
(2) تتمنى أن يرجع لها كل من أبي بكر وأخيه الكوني وتسعد برؤيتهما.

معركة (أبي غرة) الأولى(*)
18 يونيو 1915 م

يتحدث الشاعر محمد أحمد عمر قرضاب البوسيفي واصفاً هذه المعركة التي ساهمت السيول في دحر الإيطاليين.

سنة خمسطاش معركة بوغره — اللي ما قتلناهش الوادي كرّه[1]

*

الحاضر من البنداقه — اللي ما قتلناهش الوادي ساقه
راح الدبش والبندقة وأرزاقه — وفيه من تودّر غير ماله جُرّه
وفيه من عليه الطين دار شقاقه — تفتّق عليه البالطو وتعرّه[2]

*

جي جَرّادي — ونصّب قياطينه أفوسط الوادي
من العلو نوّضنا عليه الصادي — بارود تالاّ الخنادق زرّه
وجي برق ينده والرعود تنادي — سيل الجدارى دار فيهم هِرّه[3]

*

جي مسيّب — نوي حربنا ماهوش ناوي طيّب
ومنّا بدي فيه الرصاص ينيّب — على جبهته وصدره وعين الصُّرّه
وفيه من زواه السيل موش اقريّب[4] — بدا فيه عاد الذيب عايش ذِرّه[5]

*

(*) القصيد من كتاب قصائد الجهاد، المصدر السابق، ص 279 ـ 280.

(1) الوادي كرّه: يتحدث الشاعر عن السيل الذي جرف أكثر الجنود الإيطاليين عند المعركة.

(2) يصف الشاعر قتلى الإيطاليين الذين غطاهم الطين والوحل وتمزقت ملابسهم.

(3) يقول الشاعر إن العدو نصب خيامه في وسط الوادي فأبرق البرق وأرعد الرعد وجرت السيول غزيرة أحدثت فيهم معمعة.

(4) زواه السيل: أي أبعده السيل وجرفه.

(5) أي إن قتلى العدو عاش فيها الذئب وأولاده.

معركة الحشادية

شعر الشاعر مفتاح بشابش من قبيلة الدوائرة (ورفللة).

صار يوم في الطليان في مهموده   هي قايلة ولّت غمامة سوده

*

صار يوم بين علاوي   من قبل خط الفجر يبدا ضاوي
وما تلفّت من عيّل الشرماوي   يجي مرتمي املوّح على الجعروده[1]

*

صار يوم من فجريه   قِدْو المرابط راقد الخلويّه
وفوشيك يضّابح اتقول قليّه   فات المعاقل غصب ما هو جوده

*

صار يوم ركن امشرّق   قاعد اقباله العفن ما يدّرّق
أمنينه الثقيل من الصدور يمرّق   كثير العرب شدّت أحقاف السوده[2]

*

صار ركن امغرّب   أولاد صولبه[3] كسرت عدوها اتطرّب
وما يسالوا في الغير كان تهرّب   تبغى الحبش بتقصره ميعوده

*

صار يوم حلق السوادي   نهار المكوغط طالق الزغادي
وما كبكبت منّه ظنأ لجوادي   لِنْ رقّدت ميتين جيفه سودا[4]

*

صار يوم الطلياني   نهار اربحه جاغيم ما واتاني
وقاعد اليا قدر الله انتاني   اندقّه انخلّي كبدته مشروده

*

صار يوم لحشاديّه   نهار لُبّاند طالقات قليّه

---

(1) الجعرودة: الحطب اليابس.
(2) السودة: شعبة بالغرب من الموقع.
(3) أولاد صولبة: ورفللة يسمون أنفسهم في الحرب (أولاد صولبة).
(4) جيفة سودا: يقصد قتلى الأرتريين.

ويـات الـغـلـب لا ولـيـك لا هـولـيّ   امغيـر زلـبحـة مـن راكـبيـن اقـروده[1]

*

معركة قارة عافية

الشاعر مفتاح بشابش

ظهر مير بارز من كعب لنصار   الله ينصره ع الروم ويشنّيه
يا ابجاه مكة وجدنا صرار   تجعل ثقيل النايضة خاطيه
لمدّ شهي مشوار   المسلم من الكفار بيوازيه
بحرّ نزل في الكار   ايجي ست ميّة لايذات عليه
جاي بإذن من لسياد   وأعلام باب النصر بين يديه
شهر موعده في أزمام   في وين ما الشاشيد يسمع بيه
وتالي نزل في جيد (سيج التور)[2]   في وين مرمى الدرب يقطع فيه
وتالي (بدد)[3] في وين دار أوعار   هاوين مشرب القلتة يجي شرقيه
سري (لرواوص)[4] ناوي المقبال   وبيبات حتى الهايج يعشّيه
هاوين (بي)[5] موش بعيد   (وسيح النشب)[6] ما حد غابي فيه
فيه بجدوا تبجيد   صبحوا القوافل زايدات عليه
وشالوا عقاب نهار   هاوين (كوبة العرفج) اتبان عليه
فيها أثماد أخيار   ونقز ازْهزه سابقة راويه
نده قال يا خبّار   خمسين راجل حاضرونا بيه
قبل لا يجن لفجار   اقّم لمّا جن لايذات عليه
وقِد من يجي يُذكار   امفات العصا والمقط بين يديه
ليلة سعيدة ابنهجموا الكفار   وحتى أربحه ماني أمواني فيه
وجاته المحلّة ضاربة الطارار   غير من دريزة مشيها يِرْبيه
وتم المعدّل والذّقر لقصار   على قوت عطشه ساهلة اموتّيه
ناض التريكي[7] تبّع الخبّار   وهي ضاربة قِنوَ لحفاف عليه

---

(1) راكبين اقرودة: يقصدالليبيين المجندين مع الطليان.
(2 ـ 6) مواقع وأودية.
(7) التريكي: متطوع تركي مع المجاهدين يضرب بالمدفع.

وسيح المصانع[1] وين دار قرار لقوا ذود بايت منطلس راعيه
مشي للكفر خبّار وقال المحلّة جايّه تاريه
هاوين السويدا دايره منقار والحلق غارق كيف ما تبغيه
ناض التريكي في الخبر دبّار وقال من بعيد امديفعي ايجلّيه
وفيه عيلاً وغر ايمين أوعار حلف ما نولّي لين نوصل فيه
عطي حق وطنه وساعته ابلاجال الله يرحمه جوفن تمرّغ فيه[2]
اضرب وين معّادش يرد كلام يا عازة اللي من تكسّر فيه

*

الشاعر ادريس المليّح الطبولي(*)

قال الشاعر هذه القصيدة في معركة (تاقرفت) وقد كان نجع الطبول ضمن المجاهدين المستقرين بالموقع، واستشهد منهم مجموعة عليهم رحمة الله من ضمنهم شيخ الطبول الشيخ الساعدي.

*

نهار الحطيّه بارزن لاقنّه رد الحبش بالسيف غصباً عنّه[3]

*

ردا اقبـــــــــــاله نهار الحطيّه منين شاطت ناره
جن يضربن في الطبل والصّفّاره ضرب لارمي[4] عنده وما هابنّه
يهدُّوا ضنا لجوادع الكُبّاره واللي استشهد ما يسالوا عنّه
بعد المدقّع ركّبوا الطياره وهيّالهم في النجع ما طالنّه
وأولاد لاقوهم اتقول سكارى ما يحسبوا في الموت يبغوا الجنّه

*

حـــاربـــوه بـــنـــيّـــه منين الحبش يطلق اتقول قليّه

---

(1) سيح المصانع: مكان وكذلك السودا والحلق.
(2) يقصد بهذا البيت قظوار السهولي الذي استشهد في هذه المعركة.
(*) قصائد الجهاد، مركز جهاد الليبيين، إعداد خليفة الدويبي وعبد الرحمن البريكي ومصدق الشعاب.
(3) الحبش: يقصد الأرتريين المجندين مع الطليان.
(4) لارمي: الحرب كلمة إيطالية.

ما يحسبوا في الألف كيف الميّه | وأولاد في ضرب العدو صبّاره[1]
أهل الشجاعه وعندهم غيريّه | وأهل القطيفه والشرف والسنّه

*

حاربوه بغيره | ودون نجعهم ديما يقولوا ديره
يجوا هاجمين اهجوم ع البنديره | وكول الحبش لاجوه ما يستنّى[2]
كلامي صحيح وحق موش شكيره | اخزام العدو من قبل هذي لنّا

*

رد موش بالجوُده | نهار الحطيّه اللي قوي باروده
قدّاش وحده قاعده مكموده | من صقر فقداته مشِي للجنّه
منين الحبش داير سحابه سوده | مع كل عالي ومُخْرُم جابنّه
ضربن صفافيره ولَمْ اجنوده | مدافع ورشاشات ناضن منّه
منين راس (جالينا)[3] وقف في سوقه | الدلال باعه والتجار شرنّه
واللي زرق م الصبح هد اهدوده | قال الطيور وما لهم زبطنّه
فزع جدهم راكب على المكروده | وديما اليا صار الشّرَقْ يثنّى
نجا نجعهم والضان والمغدوده | واللي استشهد ما يسالوا عنّه
تحلّف قطا عطشان تاو وروده | تحس رحلهم في الليل داير رنّه
باتت اكحيله بالدبش مشدوده | والفجر لافي والطيور ايجنّه[4]
حار أمرهم بذيت سحابه سوده | والدرب واعر والخبير خطنّه

*

---

(1) هذه القافية يجب أن تكون بالنون مثل كلمة (دالنه) أو (ضربته).
(2) البنديرة كلمة إيطالية معناها (العلم)، والكول تعني الفرقة.
(3) أحد الضباط الإيطاليين في المعركة.
(4) الطيور: يعني الطائرات.

وصف الرحلة إلى فزان
والدخول إلى أرض الجزائر(*)

الشاعر مفتاح بشابش

ظهّر مير من وادي وليد … أفكار العلم عنده ظايقات

ثلث أرباع من عربه يزيد … صبحن للكفاره داژات

عشر آلاف بقول العديد … جن للكراسي زافرات

أطيور الحرب حارن في السما … من اللي ادخول واللي ظاهرات

مير العز بالناس اندوى … يخطّر في السنين الكالحات

خلط في الغرب هياله يفيد … لقي اصفوف عنده بايدات

بنت القود ما كمل ربيع … قبل أطراف عشبه صايفات

نوي فزان والبر البعيد … لقي اخشوم هلها زافّات

وهان الحكم معّادش يريد … وخلّي الراي للّي واطنات

ودز القفل لبر الجريد … جنّه بالغراير فارغات

تنفّس ميرها تحت الوبر … وقال الحرب يا اللي طالبات

راكب حمر يلعب بلهجر … ينابش في الطيور الطايرات

ودار امحال بيهم مندفر … وعرب البسر منّه غافلات

وسيف النصر من غادي انحدر … فك ابلد هلّلي امطّرّفات

ولّى اليمير رصدنّه انحصر … تحت أبواب سور إمقفّلات

ثماني اشهور بهلال الشهر … وهن بالمربّع لايذات

كبفلوا فيه لاكني عكر … هارب فوق مهاري جاريات

منّه اجرود لا عند الحداده … خافوا من ملايين جايات

مير العز حايم في الدبارة … اسلاح العز منّه طالبات

(*) هذه القصيدة يتحدث فيها الشاعر عن رحلة عبد النبي بالخير وخروجه من بني وليد ونزوله في الطابونية وإرساله للقافلة إلى فزان لإحضار التمر فرجعت بدون تمر لأن خليفة الزاوي لم يسمح بمرور التمر إلى الشمال.
ثم يتحدث عن الحرب مع خليفة الزاوي وحصار مرزق الذي يقول الشاعر إنه استمر ثمانية أشهر.
ثم يتحدث عن وصول المجاهدين إلى الحدود وتسليم سلاحهم وعن وفاة عبد النبي بالعطش.
ويرجع أخيراً الأمور كلها إلى الله وأحوال الزمن.

اسقّد بات بيبيّت خباره ... قعد في اقواز رمله عاليات
هذا الحال تشبح في حواله ... اللي جايات واللي ماضيات

*

في معركة الشويرف[1]

الشاعر عبد الله حسين أبو سيف

لي قلب دوم حزين ... يبكي الياجدوا عليه أفكار
أفحال الصغا مسكين ... شقى دوم لا لاجوا عليه اهكار
له ناس كانت قبل مجتملين ... شهير نجعهم عنده نبا يذكار
في البر نزّالين ... افوين العفا له يرحلوا يعمار
وفي الراي متفقين ... مسلم قلدهم بيد ناس اكبار
في الأوقات صلاّيين ... خفيف نومهم لا علموا نعجار
أكرام ضيافين ... أجاويد جودة فعل موش أفخار
بناديق رزّايين ... أيديهم سقايم يضربوا بالنار
للريّم صيّادين ... نهار العدو جاهم بغير احكار
أقوام حاشدة بلألوف معدودين ... طقاطيق وامدفع مع الطيار
وهم لهم ما يجيب اعياط وشويين ... ولا حرفوا بيمين ولا بيسار
شي ما عطوش الروف منّه لين ... قعد دمهم فوق لكسا غدّار
شهيدين ماتوا ساهرين الدين ... هنيّا لهم متوافين أعمار
مشوا ابيوتهم والقود مسعيين ... وقعدوا انساهم يغردوا في الدار
اخُيه يا ليّام خوّانين ... حتى أن زهوا لك يبرموا بأكدار
وبعد الطرب لسبد من التقرين ... والخير لا بد يعقبوه اشرار
بعد غيبة الزينين ... اللي فعيطتي لازم يجوا حُضار
ما ليس كان الكدر والتلوين ... ولا لي بنا لاغادشي نذكار
دورتهم ما قابلوني وين ... وسيع شين فاهقهم بغير استار
يا كسرتي كسرين ... مشتنا كسورى ما لهم جبار
كيف من قصر شبحه مع الرجلين ... الراجل بلا خوته قليل ازهار

(1) القصيد من موسوعة روايات الجهاد، جمع المبروك الساعدي.

والدهر خاين يا عطيه البين ... إن كان برم مالك اعماه اقدار
وفيهم ولد مشكور فعله زين ... سنيور في اوجوه لعدا ما بار
مضروب مرزي في المداس نيين ... دالوه ما بين النسا واصغار
الدولان ما هو كار للصفّيين ... المديول عمره ما يخلص ثار[1]
غير صنعة الكيين ... اللي يلبدوا تاو أن يصير اقحار
في الأدباش فرّاتين ... صيفة زحم ما هم اطيور احرار
ما حرها غلبة المغلوبين ... اللي الخوت منهم سيبوا لوكار
قعدوا اقلال الجهد مكبوبين ... واللي لقا جنحان بيهم طار
ويا ما عطوا من يوم كاسح شين ... مخاويرهم رقدوا نهار آقار
دنُّوا بنات القود رحّالين ... وخشُوا سرير أزرق اتقول ابحار
حلفوا يمين يمين ... ما نقعدوا امّاليك للكُفار
ولا تجاويوه بلين ... لن نكملوا جمله على الاشفار
واللي قعد للكفر بينه بين ... يرقب على رايه خفا واجهار
ما له معاه ذنين ... يظل عسكري منّه بغير خيار
عليه يحكموا اللي قبل رغّايين ... مجبور يعطي المديه ولعشار
إلا من خلق خلقه عليه صنين ... اسبل علينا الستر يا ستار
بجاه من قرا يا سين ... بجاه من عبد ربّه وحج وزار
كمّل عليّ يا كريم آمين ... عبد طلب عالم خفي لسرار
كأنّي من الحيِّين ... منية الخاطر قبل لانقبار
ناجد اصحاب الدِّين ... وفيهم انصور كيف لي ما صار
ونبغي خلاص الشِّبر بذراعين ... ونبغي الوقيّة ردعها قنطار
سوى كيف عل عامين ... سوى بعد شيب الوجه يا حضّار
وصلوا على الموزار في الحرمين ... شفيع أمته في يومهم الاحشار
صلاة وافية كادت العدّادين ... على قد ما في برورنا وابحار
غفارها سية المذنوبين ... اغفر ذنوبي أنا وهالجمع يا حضار

*

(1) المديول: هو الجريح الذي يجهز عليه العدو.

الشاعر محمد عبد الله بن حسين بوسيف

يتحدث عن معارك القبلة ويرثي شهداء أولاد بوسيف ويشتم المأجورين الذين باعوا أنفسهم للعدو[1].

هناش منو يبكي زعم كيف ابكايا ... على حال نجع العز راح هتايا

*

اهناش منو شاقي بيهم ... هناش منو يبكي بالدموع عليهم
هناش منو يتبني على ذراريهم ... مكاسيد والا بايتين هنايا
واللي خلقهم ما يفرط فيهم ... يسهّل لهم مولاي بالتُّولايه

*

هناش منو يبكي كيفي ... هناش منو يسخّف كما تسخيفي
هناش منو يلقي ذكرة البوسيفي ... اللي قبل ما صارت عليه جرايه
في آقار[2] ناشوهم شبوب عصيف ... راح التريس وذابت السّمّايه
راحوا رميم وحنّه ... عليهم تكالي ريم يا ما منّه
رقدوا ظراري فايحين الصّنّه ... انصبُّوا عليهم صب في وهطايه
المستشهدين كلهم في الجنّة ... اقصر وعدهم يوم الجهاد سعايه
وطق الخبر للنجع صارت رنّه ... النسوان باتوا حايرات كبايه

*

النسوان ما يولاموا ... فقدوا تريس العِز باش يكاموا[3]
ربايه دلال أياهم ما داموا ... من الهول يمشوا في السرير حفايا
خشُّوا الفيافي جاليات انظاموا ... مكاميد يبكوا بالدموع سخايا

*

خشوا لبساط وغابوا ... كبار المزاود حرش ما يرطابوا
ما يغزلوا بالرِّق لا يغلابوا ... لين يقعدوا فوق لوساد قسايه
لجواد كمهم الثقيل وذابوا ... والأردال قعدوا للكفَر كرّايه

*

---

(1) القصيد من موسوعة روايات الجهاد، جمع المبروك الساعدي.
(2) آقار: هي الواحة المعروفة بالشاطىء حيث استشهد في معركتها مجموعة من أولاد بوسيف.
(3) يكاموا: يفتخروا.

الأردال في ملكيته — خدّام للكافر خذوا شهريته
حتى يموتوا لا يرحم لهم ميته — عدوا الدين ما تنفعش فيه اخوايا
دارع لهم في أرقابهم خُرّيته — رابط عليهم ربط بوقُطّايه[1]

*

للكفر خدّامه — يجروا على البارات راحوا شامه
تلقى الولد متعطبات أيّامه — يخدم لهم في الشانطي بالشّايه
وكبران يطمي هايضات غرامه — يدور لهم يلقي لهم رقّايه

*

ولُّوا عسكر — طليان بقفا طينها تدّسكر
تشرب امعاهم في العصير وتسكر — دبّارهم معاد فيه أو عايه
في وطننا معاد لمن نشكر — ولا ريت منهو نجمته ضوّايه

*

الأجواد ما طابو له — لا يرقرقوا لا يخدمو له دوله
الياكان هب العون ينحدرو له — مشايح افحوله ويتعبوا بعنايه
لا عيّطوا له يركبوه الغويله — منهم جفوله نصرهم في وصايه

*

نصرهم في وصيّه — اليابرّوا همّ اكبار الدّيّه
احنا ناسنا ولّت اليوم رعيّه — اخذا اسلاحنا وخلاّ التريس ولايه
لا سيف لا منيار لا كميّه — نوبة خدم للبيع يا شرّايه

*

نوبة خدم مجلوبه — لا سيف لا منيار لا سبُّوبه
تمنيت ينصب في الجبل عرقوبه[2] — والخوت ياتي نصرهم بهوايه
من كل جيهة القيرّا[3] منصوبه — على كل حال يهونوا لي دايه

*

(1) بوقطّاية: نوع من العقد تربط بها الأشياء فيصعب حلها.
(2) يقصد (صاحب الوقت) أي صاحب النصر.
(3) القيرا: كلمة إيطالية تعني الحرب.

في معركة (أبو غرة)[1]

الشاعر علي بن محمد بن ابراهيم

الـتـمُّـوا عـدد مـيـتـيـن — والـثـالـثـة خـصّـت فـي سـت أنـفـار[2]

انـقـسـمـوا عـلـى صـفـيـن — صـار الـشـوَشْ هـدُّوا عـلـى الـنـقّـار

زرم وسـطـهـم بـوعـقـال دار رنـيـن — تـفـكّـر الـلـي نـاسـي خـلاص الـثـار

مـشـوا مـشـي مـغـتـاضـيـن — وسـاعـة كـثـيـر الـغـايـضـيـن اكـثـار

جـا مـشـيـهـم يـومـيـن — مـا ريُّـحـوا الـعـيـان لـيـل نـهـار

تـاقـوا عـلـيـه الـكـلـب فـي كـراديـن — عـقـاب لـيـل لا أتـريـك لا شـيّـار

قـربـوه بـكـل لـيـن — بـدوا يـعـرفـوا بـوخـيـط مـن لـنـفـار

دهـمـوه مـنـتـدهـيـن — عـلـى قـلـب واحـد غـايـريـن مـغـار

أولاد عِـز مـعـروفـيـن — مـن قـبـل لا نـوّب رفـيـق أغـبـار

ضـج بـيـنـهـم بـومـشـط دار رنـيـن — لـبـخـاش تـقـدي وقـد كـيـف الـنـار

*

عثمان رفّه الجماعي

من المهاجرين إلى تشاد، شارك في بعض معارك القبلة.

قال هذه القصيدة في معركة (قارة عافية)(*).

سطاش وأربحه يقدي قوي تياره[3] — رمـوهـا عـلـى كـردون تـوقـد نـاره

*

قـوي مـشـهـابـه — رمـوهـا عـلـى كـردون بـالـلـهـلابـه

لـجـواد مـا بـت ع الـطـلـب تـصّـابـه — ولـلـيـاش تـمـت غـالـيـه الـنـزّاره

*

رقـوا مـا كـنـوا — ولا ريّـبـوا م الـخـوف لا شـي ضـنُّـوا

---

(1) القصيد من موسوعة روايات الجهاد، جمع المبروك الساعدي.

(2) يقصد أن المحلة في مجموعها 294 مجاهداً.

(*) قصائد الجهاد، الجزء الأول، منشورات مركز جهاد الليبيين، الطبعة الثانية، سعيد الحنديري وسالم حسين الكبتي، ص 155ـ 151.

(3) سطاش: أي كان تاريخ الشهر 16. (واربحه) كانت المعركة يوم الأربعاء.

بسلاحهم حرب اللعين تعنُّوا قاصدينه موش هايبين كداره
جهاد في سبيل الله بيه يغنُّوا ويارودهم طالق إلا كُبّاره
وما زال يندفروا بغيض يفتُّوا لين كبروا بزناد شاطت ناره
وكم كول تابع كول جيفة خلُّوا وهو الكلب نايض ما عرف خباره[1]

*

رقـــوا مـــا ذلُّـــوا وما ريّبُوا م الخوف لابوا يولُّوا
وداروا ضناً لجواد بيش يعلُّوا ضعيف الجواجي جابهم يذّاره
مطاويح م الكُفّار ميّه خلُّوا تانينتي والا كبير نصاره
وحازوا صناديقه عليه تعلُّوا ولزُّوا الكافر قِهر من موكاره
وحازوا السلاح وما كفاهم قلُّوا واللي طاح مات شهيد موش اخساره

*

رقـــوا بـــغـــيـــريّـــه أجواد من أخيار الناس زينك فيّه
وجابوا الكافر عاصبين يديّه ناس بالكمامى والجعب كسّاره
وبوامشط والمتروز[2] عاد قليّه وكل حد من مطراح طالِق ناره
وجوا أجوادها جملة الدور اشويّة ولكثر املبّد في الجبل واوعاره
خمسين يعركن في ألوف من الروميه نصارى وحبش ضاربين الذاره
ولين فطسوا منهم ميات وميّه اكبار الدمى قالوا تكون معاره
وجاهم (علي بن غيث) زينك جيه (وقذوار) و (الشرفه) اللي نغاره[3]
مطاويح تموا م الثقيل رميّه استخسرتهم لجواد هم يا اخساره
وكل نفر طاح شهيد له حوريه تسير بيه للجنة اتقول فناره
غفر الله ذنبه من جميع السيّه وخلّى عذاب الدهر هو واكداره

*

رقـــوا جـــرادي أجواد من أخيار الناس نسل أجواري
اكبار دم لا عيّط رقيق الصادي جوا صلب ع الرومي تقول سكارى
الواحد جريح وضربته بدادي تفلت كما الصخان من بذّاره

---

(1) كول: فرقة.
(2) المتروز: الرشاش.
(3) قذوار: هو الشهيد قذوارا السهولي. والشرفة: أهالي (ودان).

وما زال يضرب في العدو ويفادي إن ما فتت عشره قال مت اخساره
واللي حطهم تسعة احذاه نضادي والعاشر بحربه مجله الدوّاره
وروّح على الجنّة تريح غادي وارتاح من عذاب الدهر هو وأكداره

*

المهدي مفتاح جلغم

قال هذه القصيدة في معركة (خرمة أبو غرة) 1928[1].

صار يوم للطليان في بوغره انداس لين ميتهم غلب من كرّه

*

جوه ضراري عابيين عل سوق الدعاك سوارى
واخذين عاده من عوايد ضارى وناقلين نية الطيبة والمره
خلوهم ذوارى تبن بين مذارى ذيابه تقفّن سعي ليلة قِرّه

*

جوه جماعه قلال في العدد لكن أصحاب شجاعه
سفوه لين سلم في الخزين امتاعه إلا الناس ما لقيت علاش اتكرّه
وين ما وصل بعضه ثبت واستاعه تريح وصارت في لسلام مضره
قعد بينهم راسم أطناش أن ساعه يزّاوى كما حس النحل في الجرّه

*

صارت هجمه عقاب ليل في ساعة ظهور النجمه
خفاف العدد لكن تريس بعزمه وهو في ثلاث آلاف غير اعترّه
حبش قرسيان امجنده باللزمه من غير البواند كل حد من بَرّه

*

صار يوم عونه هادي فقد خمسميه من الحبش في البادي
خلوهم نضادى ما لهم عدادي خذوهم بوادي عارفين الغره

*

جوه اشبويه كبار العزايم صافيين النيه
الميّه تقفّت خمسطاشن ميه حتى م الغنم ما تسوقها في مره

---

(1) قصائد الجهاد، المصدر السابق، ص 93، 94.

ضرب بالجراب ويعض بالكمية جهاد في سبيل الله عالم سرّه

*

(المهدي محمد جلغم)

قال المجاهد محمد بن حسن المشاي هذا البيت عندما ابتعد عن الطليان مفارقاً لهم. وارتحلت مجموعات من المشاشية مفارقة له متبعين مسعود الشويشين ولم يبق معه إلا القليلون.

قال:

فراق خوتنا والوحش والتكديره رموني على الدخان سيف انديره

فأكمل الشاعر المهدي محمد مفتاح جلغم القصيدة.

كدّرتونا من أمر الهمع بالكارطه بعتونا
العاقل يلوّج فجكم بعيونه يجي دمعهن فوق الحجا تقطيره
اللي عز ضاري في نهار الشونه اليوم عز للي دايرين شفيره
كان منو هانك موش عيب اتهونه عيب غير تبديل الحبيب بغيره
اليا قدر الله نعدلوا تشحونا أقران طاليا نجروا على تكسيره
من بر فسّاطو اليا ترهونه جميع من قعد يندم على تدبيره

*

ما كم ضاري تهابوا التعب وتوافقوا ماكارى
قروب الكفر خلّوه للهواري اللي قربته جرّه وبات أسيره
ما عندكم ريتون لابقاري تروموا الحبش وتجاوروهم جيره

*

أنتم قبل عِز الخايف أنتم قيل عز اللي عليه حسايف
أنتم قبل ترقوا في لبساط ضفايف منكم يباتوا ويصبحوا في حيره
واليوم روكم جايين صرايف عملتوا شماته يا اخوان كبيره

*

أنتم قبل عز الجالي أنتم عز للّي لفا زيوالي
أنتم قبل ما كم يا اخوان ايهالي تروموا ديار الكفار واللي يديره

(*) قصائد الجهاد، المصدر السابق، ص 95 ـ 96 ـ 97.

خايف عليكم في النهار التالي	يتلف اكبار النجع ومخاويره
واما حنا تحت الكريم العالي	المومن على دينه يهون صغيره

*

أنتم قبل ما هي ليكم	تبينوا شماتة منو شامت فيكم
قروب الكفر يا اخوان عيب عليكم	تكرُوا الرشاد وتجهرولـه بيره
داير كوارط باش يسعيكم	كيف منو يحرث في عشاه مطيره
هيهات كان الروم بيهنيكم	وهو قبل عارف منو كان قميره
يحوز النسا والمال وذراريكم	وبعدين يبدا الأمر بالصغيره

*

بنادم عيبه	اليا قابلت شرقه يهون حبيبه
منين لورصه عنده تبو تقريبه	ووين خاف على راسه شهيتوا غيره
كلام الهلالي يا اكبار الهيبه	قال معان ربي منو هان أميره

*

● عندما هدد أحد الضباط الإيطاليين محمد بن حسن المشاي وشهر مسدسه في وجهه انسحب هذا إلى القبلة وجمع المشاشية وقال لهم: من أراد منكم أن يلتحق بالطليان فليذهب. أما أنا فيحرم على حصاني وسرجي لن أقابل الإيطاليين أبداً.

وأرسل الإيطاليون عمار محارب ومكاري إلى المشاشية يطلبان عودتهم إليهم، كما عيّنوا بدله مسعود الشويشين وقد ارتحلت مجموعات كبيرة من المشاشية باتجاه الشمال مع مكاري ومحارب، وبقي محمد بن حسن مع مجموعات قليلة. ولهذا قال هذا البيت، ويدأ في شرب الدخان الذي لم يكن يشربه في الماضي[1].

---

(1) رواية المهدي مفتاح جلغم المقرحي، موسوعة روايات الجهاد، جمع علي البوصيري.

الشاعر المهدي ابراهيم مخيون[1]

يرثي الشاعر في هذه القصيدة ابن عمه الذي استشهد في معركة (الشويرف).

نهار النصارى ضاربين كلامه (امحمد) استشهد تامات أيامه

*

نهار الغينه الله يرحمه بالسيف هان علينا

داير دير في وكّالة السردينه ذيب قيطنه في ضان داير شامه

يطيح قد من يشبح تشوفه عينه يضرب براضه موش ضرب غشامه

*

وسبع فاهقه ما بتش تبرد ناره ما لاه يا عز الرفيق تواري

خذا فوهة البارود في الكبّاره نهار صاحبك ما ينسمعش كلامه

عليهم يزيغر قايله ونصارى كيف الرطب يسّاقطوا قُدّامه

*

(امحمد) اليوم تهنى الله يرحمه من حفرته للجنّه

ستين حوريه اللي ساقنّه وستين حوريه اللي قدّامه

ترك دنيته وخلّى الغشايش عنّه وخلّى الشقا لاوي عليْ أحزامه

*

هيه يا رفيقي عدّى وهيه يا رفيقي في الهنى والشدّه

وهيه يا رفيقي ما لقيتش ضدّه وهيه يا رفيقي حاسبات أيّامه

وهيه يا رفيق العمر هذا حدّه الله يرحمه ويرحم الله رمامه

*

(1) قصائد الجهاد، المصدر السابق، ص 104.

معركة زازمت

وتسمى وعيرة زازمت. قال الشاعر[1]:

صار يوم ع الطليان في الوعيره   انكسروا النصارى وطاحت البنديره[2]

*

يوم حبايب   يوم نصرة الخاطر وناب النايب
رقيق الجواجي فيه فكره غايب   نزّار قاعد في بنات كحيله
أولاد الشنّا جوا يندهوا بالغايب   خايفين من مشوَخ طويل نجيله

*

يوم امسمّى   يوماً مع الزازمت سايل دمّه
كبير النصارى جاي ذارف جمّه   شوي حبته جاته على القنطيره
بدا بليمنه وبليسار يشرّف   شرك جبته وقطّع طوارف ديره

*

---

(1) موسوعة روايات الجهاد، جمع علي البوصيري لم يذكر الشاعر.
(2) البنديرة: العلم.

الهجوم على الشويرف

في إطار حرب العصابات هاجمت مجموعة من المجاهدين بقيادة الشيخ محمد ودان البوسيفي إبل المعسكر الإيطالي في الشويرف واستاقتها. وقد قال الشاعر وكان الهجوم يوم (العيد) الذي هاجم مع حسن درويش النصارى وأحدث فيهم مقتلة عظيمة مفتخراً بذلك:

كان غزي (ودان) جاب المهارى وتـلّـف اخـيـاره
احنا عيدنا بقطع روس النصارى

*

جـاب الـهـجـنّـه وبـرم عـاد كـنّـه
قلب وين ما موّتوا اثنين منّه
هم شيخهم عالم لقى الجنّه خـطـاهـا يـساره
واحنا شيخنا خش فيها توارى

*

جـاب الـمـواشـي وهـاب الـقـلاشـي
أحنا شيخنا طب فوق الفراشي
ولـيـنـا اديـاره وجبنا بغاغيلهم والعذاره

*

قصيدة عبد النبي بالخير(*)

هذه القصيدة قالها المجاهد عبد النبي بالخير عند نزوحه من بني وليد إلى الجنوب والتقائه مع أسرة سيف النصر الذين كان له منهم مواقف سابقة ولهم منه مثلها. وقد ألجأته الظروف لمسايرتهم لما يتحدث في القصيدة.

يقول:

صبرنا وطول الصبر ذقنا منّه ... مرارات علقم زاخمه في البنّه[1]

*

صبرنا وطول الصبر ريٍّ رايد ... ودرنا الهن ليام دير جوايد

مع عكسهن درنا اعزوم شدايد ... علينا وجب بالشرع فرض وسنه

وفي ما مضى المدوّب[2] ليه عوايد ... رفيقات في وقت اللزوم يجنه

ميتين من جنس الإناث جوايد ... وميتين من جنس الذكور احصنه

وفي وسطهن زباطهن بالزايد ... وهن تحتهم في لمر يستنّنه

وميتين لاسمعن يجن جرايد ... بلا أمر يلتمّن عجل يا تنّه

مكافيت[3] سُبق والسروز جدايد ... يسيرن مع المكرود يحمن عنّه

وهالوقت ها هو منفرد متكايد ... مع جيش متلفّق ووسطه غُنّه

وجيش العرب من قبل خارب بايد ... يا بال هذا من عقاب مدنّه[4]

رماه الصغى[5] والوقت بيه تكايد ... لا عنتره لا جاه لا له صنّه

كيف من ينكرس[6] في أحبال أبّايد ... على بير غارق كيف بيسقنّه

طوله كما دوفان والا زايد[7] ... والدلو متمزق وفضلة شنّه

يا جب اخيوط المقط غزر جَرايد ... ويعمد مناهل يا الله يرونّه

(*) القصيد من كتاب صدى الجهاد الليبي للمؤلف. وكتاب عبد النبي بالخير للمرزوقي.

(1) زاخمة في البنّة: مرة المذاق.

(2) المدوب: الحصان.

(3) مكافيت: سمينات.

(4) مدنّة: معركة (بقايا المعركة).

(5) الصغى: الوقت الجائر.

(6) ينكرس: يعقد ويحاول إصلاح الحبال البائدة.

(7) دوفان، وزايد: بئران عميقتان في منطقة ورفللة.

ورود المطل وزغات[1] غير شوايد اضْمُطْ من ورد عطشان ما يرونّه
ويا جب على ابنادم الصبرا بزايد بِمع الصبر يرجى للفرج يستنّه
أبواب الفرج ع الرب موش مكايد كل من استنّى خير من يتمنى

*

صبرنا وعقب الصبر عنا طوّل ومذبال منه عن مكانه حوّل
مع ذبلته لسبد[2] يبي يستوّل مع عكسهن ليام بيعادنّه
يفوّض أموره والكريم يعوّل يغيُّر أيام العكس يمشن عنّه
واما ابنادم ايش يبغي ينوّل بلا قدرة الرحمان ما يتمنّى

*

صبرنا وعقب الصبر عنّا باطي[3] واللي رفع العبد هو اللي يواطي
كمِّين تبغى اتصيب جبر تخاطي[4] تبي تبلغ المقصود تقصر عنّه
مخلوق والمخلوق حيطه واطي لجله وقسمه دوم هو يستنّى
حجاب الضماير للظواهر غاطي غفلات من غزر الجهل صابنّه
يا جب يفوّض للكريم العاطي إن كان هو بغي يعطيه ما يتمنّى

*

زاخمه في ريقه لين خلقن في الفكر منهن ضيقه
يا جب ابنادم لا جفاه رفيقه يكمّل عوينه قبل يصمل عنّه[5]
ويعدن فهم دربه وشور طريقه يبعاد من منقد حبيب المنّه
خشوش الخلا للعبد خير حقيقه من رفقة اللي بالمليحة تظنّه
خزن لمّا جع في اقلوب غريقه خير من عللهن يعقبن بالغُنّه

*

خير من عللهن يعقبن حوحايه[6] يا جب رفيقك تحمله في اسوايه

---

(1) المطل، وزغات: الآبار الضحلة القليلة المياه.
(2) لسبد: لا بد.
(3) باطي: بطيء القدوم.
(4) كمين تبغي: كم مرة تريد.
(5) يصمل: يفارقه.
(6) حوحاية: ضجة.

وكـان تـقـدر الـشـنـتـيـن هـي الـغـايـه   وفـي الـثـالـثـة بـرّم جـوادك عـنّـه

*

زاخـــمـــات صـــعـــيـــبـــه   والـصـبـر تـاريـبـه عـلـيـك مـصـيـبـه
يـخـلّـي رفـيـقـك ويـن تـحـمـل عـيـبـه   يـزيـد بـالـخـطـى مـا عـاد يـرجـع عـنـه
يـسـتـسـهـلـك مـا عـاد عـنـده ريـبـه   ويـستـحـقـرك فـي الـعـيـن شـيـنـك غـنـه

*

زاخـــمـــات غـــزيـــره   لـيـن خـلـفـن فـي الـفـكـر مـنـهـن حـيـره
والـصـبـر تـاريـبـه عـلـيـك نـكـيـره   مـعـاه لا تـصـيـر الـعـنـتـره لا صـنّـه
يـخـلّـي رفـيـقـك كـل شـي يـديـره   يـغـيّـر حـقـوقـك لـيـن تـصـمـل مـنّـه
وبـحـال مـا تـاجـد أعـمـاه بـصـيـره   حـتـى لـنـفـظ بـشـي يـرجـع عـنّـه
والـلـه يـا لـولـى شـمـاتـة غـيـره   مـن الـلـي عـدو فـي الـتـالـيـه يـسـتـنّـى
يـصـيـر راي يـصـعّـب عـلـى تـدبـيـره   طـلامـيـس مـا يـا جـذ مـعـاهـن بـنّـه[1]
تـفـطـن اعـيـون الـنـايـمـات كـثـيـره   فـي مـا مـضـى كـانـت سـهـايـا عـنّـه
وبـعـد الـرفـق عـنّـه احـقـوق كـبـيـره   تـكـمـيـل هـالـمـشـوار لـسـبـد مـنّـه
سـوى طـوّلـت والا سـوى تـقـصـيـره   اتـمـامـه وجـب لـيـن الـرفـق يـتـهـنّـى
ويـعـديـن تـاجـب فـرقـتـه بـالـشُّـيـره   خـيـر مـن يـقـول اخـتـار نـفـسـي مـنّـه
كـان وافـقـك يـبـدي فـهـم تـدبـيـره   وكـان خـالـفـك بـرّم جـوادك عـنّـه[2]

*

محمد أحمد عمر قرضاب(*)

قال الشاعر هذه القصيدة في ذكرى استيلاء المجاهدين في معركة الشويرف على مجموعة من المهاري وقتلوا الهجانة.

مـهـر الـروم سـاقـاتـه الـعـرب   سـتـه رقـدوا والـسـابـع هـرب

*

سـاقـوا لـمـهـار   ردًّا الـظـهـر فـي نـصـف الـنـهـار

---

(1) طلاميس: غوامض الأمور.

(2) برم جوادك عنه: فارقه وابتعد عنه.

(*) القصيد من قصائد الجهاد، مركز جهاد الليبيين، إعداد خليفة الدويبي وعبد الرحمن البريكي ومصدق الشعاب، ص 281ـ 282.

ستـه رقـدوا خـلُّـوهـم اسـطـار | وسـاقـوا الـمـهـر كـل واحـد اركـب
السـابـع طـاش لـلـرومـي فـرار | وقـت ان خـبّـره عـقـلـه الـتـهـب[1]

*

وقـتـن خـبـره عـقـلـه فـزع | ضـرب صُـفّـيـرتـه ونـادى الـفـزع
وجـي لـلـمـقـتـلـه زاد اتـخـلـع | لـقـاهـا امـقـلـبـه زي لِـقْـرب[2]
وامـا الـمـهـر لـيـه سـاعـة طـلـع | خـش الـغـيـم والـمـيـلـق عـقـب

*

قـلـيـد الـمـهـر مـن خـارج بـعـيـد[3] | مـن الـطـلـيـان يـبـغـي يـسـتـفـيـد
سـتـه مـاتـوا بـالـنّـار والـحـديـد | الـلـي مـن دمـهـم غـيـهـب اشـرب[4]
ومـنّـا مـات عـبـد الـلـه[5] شـهـيـد | فـارس مـن فـراسـيـن الـعـطـب

*

رثاء عبد النبي بالخير

الشاعر مفتاح بشابش الورفللي

لـي عـيـن عـمـيـت م الـبـكـا | طـول الـلـيـل يـا مـشـيـن غـريـدهـا
عـلـى فـرسـان مـا هـم لـلـغـبـا | أشـداد الـعـزم لاكـتّـر زغـيـدهـا
صـبّـايـيـن لا ضـيـفـن لـفـا | وركّـابـيـن الـلـي عـاتـى جـريـدهـا
احـتـازوا تـحـت مـن عـونـه سـفـا | فـي لـرمـال راحـت بـقـلـيـدهـا
خـبـيـر الـنـجـع فـي روحـه الـتـهـا | قـصـيـر الـوعـد مـعـادش يـفـيـدهـا
مـا لاه يـا حـيـطـوم الـسّـرا | يـا لـبّـاس مـن نـايـر جـديـدهـا
هـلـلـي بـلاه مـا يـصـيـرش خـيـر | ولا مـغـصـوب ع الـلـي مـا يـريـدهـا
مـن شـرقـاه لا غـربـا | من لبحور لا وين يقصر جريدها
وهـو سـلـطـان مـتـهـوم بـالـوفـا | لـيـن الـنـفـس غـابـت عـنـد سـيـدهـا

---

(1) طاش: هرب مسرعاً متزعجاً.
(2) لقرب، القرب: وبها مثل الشاعر جثث الإيطاليين.
(3) قليد المهر: قائد الهجانة.
(4) غيهب: الذئب.
(5) عبد الله: هو عبد الله الشيباني أحد شهداء المعركة رحمه الله من المشاشية.

بـغـاه الـلـه مـقـبـول الـرضـا   الـلـه يـنـجـيـه مـن قـاوي صـهـيـدهـا

*

عند استياق الإبل من ورقلة

الشاعر مفتاح بشابش

اكّـان بـيـنـا قـاعـد الـلّـي نـشـكـيـلـه   يصعب على الزعلوك[1] وكل اكحيله .

*

لـو كـان بـيـنـا فـي الـردّه   موش من مثيلك نطلبوا في الشدّه
الـهـاتـر الـيـا هـدّك عـلـيـك اتـهـدّه   اكّان في الترعه عاقل عليك عقيله
ويـا جـيـت الـقـيّـاد تـاو الـرّدّة   جيّت الزاير في عقاب الليله

*

لـو كـان بـيـنـا فـي ابـلاده   يـصـعـب عـلـى الـزعـلـوك تـاوا رقـاده
طـيـر حُـرْ لاخـبـطـه يْـقُـر افّـاده   يـا عـازة الـعـربـان فـي تـغـيـيـلـه
مـشـي ويـن مـعـادش عـلـيـه امـنـاده   يـا سـيـد يـونـس يـا ونـيـس الـعـيـلـه

*

الشاعر أحمد بن عروس البوسيفي

الشاعر أحمد من المجاهدين الذين استسلموا للطليان بعد نهاية الجهاد في فزان. وقد سلم بندقيته كغيره وهو هنا يتحسر عليها ويرثي حالته التي وصل إليها بعد استسلامه للعدو[*].

داي مـن ثـلاثـة دهـسـهـم غـطّـاطِـي   فـراق خـوتـنـا والـبـنـدقـه واحـلاطـي[2]

*

دهـسـهـم بـالـكـدرى   وكـل يـوم تـصـبـح مـوجـعـه فـي صـدري
لاخـوت بـيـش ابْـتُـقْـف حـرمـة قـدري   ولا بـنـدقـه بـاش نـحـضـروا لـعـيـاطـي

---

(1) الزعلوك: كلمة شتيمة واحتقار تقال للرجل الذي لا أصل له ولا فصل.
(*) القصيد من رواية عبد الحفيظ البوسيفي.
(2) الحلاط: الحزام الذي يوضع فيه الخرطوش.

ثلاثة بدوا هم سبايب غدري   أمّاجع كبيره مرّقوا من باطي[1]

*

داي من ثلاثة كامي   قوي صهدهم كيف اللهيب الحامي
وكاثر غرامي من فراق امسامي   ومن كان متعلّي بدي متّوَاطي
أوقات في منامي يخطروا لوهامي   دمْع لميامي ينحدر نقّاطي

*

داي من ثلاثة دهسهم شاقيني   ذبل خاطري كيف السّفَا امخليني[2]
بدي شوق شبح البندقه خاطيني   يكبر حنيني وقجمتي تسماطي[3]
بدوا حاكميني يقيدوا في اسنيني   ابكا غط الصيني والقلم شغّاطي[4]

*

---

(1) باطي: الإبط.
(2) السّفا: الرقيق من التبن.
(3) قجمتي: حديثي ومزحي. تسماطي: تصبح بدون مذاق.
(4) يتحدث في هذا البيت عن البطاقة الشخصية التي فرضها الإيطاليون على الليبيين بعد احتلالهم.

الفصل العاشر

الملاحق والصور

ملحق رقم (1)

● رسالة من قائمقام فزان حسن بك البلعزي إلى والي الولاية بشأن الأمن في طرق القوافل بعد فترة الفوضى أثناء حكم سيف النصر عبد الجليل.

دولتلو أفندي حضرتلري

معروض عبدكم أننا كنا عرفنا حضرة ولي النعم قدوم قافلة من برنوح وقبل التاريخ بأربعة أيام دخل أول القفل نحو. أربعين تباوي من تجار بر القبلة وخلفوا القفول متقاطرة وراءهم وأخبروا عن قافلة تجار العرب والحباشي أنها قافلة كبيرة ياسر وهي آخر القفول لأنهم افترقوا منها مسافة ثلاثة أيام ببر نوح ومنتظرين إلى الرقاقيص الذي من طرف الشيخ باليوم والساعة ولما يقدموا علينا نعرفوا السيادة بصورة حال ذلك وكذلك أمس التاريخ قدمت قافلة من السودان وأخبروا بهمة السيادة. إن الطريق عافية وإن القافلة التي توجهت إلى السودان وصلت إلى أزبد التي هي عمالة التوارق نقولوا الآن بلغت السودان وكذلك في التاريخ المذكور قدمت قافلة من غات بالرقيق لله الحمد والمن بهممكم السنية وبذل جهد عبدكم جميع الطرق التي بأراضي بر القبلة وتمشي المرأة حتى بالذهب على رأسها فلا من يغير عليها ما عدى الفتنة الواقعة بين بعض التوارق وتبو إرشاده ولا كرهاً نحن باذلين الجهد في تصفاة الأمر بينهم لتحصل الأمنية الكاملة إلى أبناء السبيل والله المعين والأمر إلى حضرة من له الأمر متمناً أفندم في 15 صفر 71[1].

بك قائمقام فزان

حسن عبده

---

(1) من كتاب الوثائق العثمانية، المجموعة الأولى، ترجمة محمد الأسطى، إعداد خليفة الدويبي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ص 46ـ 47.

ملحق رقم (2)

● مضبطة من أهالي تبو كاوار إلى الوالي علي رضا باشا يشكون اعتداء عليهم وسلب أموالهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

إلى صاحب الدرجة العلية والأخلاق الحسنة المرضية وكيل الدولة العلية بالديار الطرابلسية سيدنا المشير حفظه الله آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يليه إعلامكم أنه نحن جماعة تبو أهل كاوار من قديم الزمان المجاورين إلى فزان وصنعتنا ودأبنا التجارة وخدمة الحلال. مسلمين موحدين قايمين بأمور الدين من قراءة القرآن والعلم الشريف وأداء الزكاة لمن له نصاب وصيام شهر رمضان وحج بيت الله الحرام وكان احترامنا بحرمة الإسلام ولا من يتعدى علينا ثم زمن يوسف باشا وعبد الجليل وأول حكم الدولة العلية بفزان في حياة حسن باشا البلعزي وبعدها في سنة اثنتين وسبعين قدم ناس الزاوية. والحسون من رباب سرت وأخذوا الأموال وقتلوا بعض الرجال وبعدها بسنة قدم غزي كثير الشيخ محمد بن يوسف بن عمر لطيوش ملك النسا والرجال وبعضاً من الرجال.

وأخذوا كافة مكسوبنا الذي وجدوه في البلدان ورفعنا أمرنا إلى مشير طرابلس في ذلك الوقت وظهر محله لسرت والذي وجدوه من أولادنا ونساء فأردوه وسقدوه صحبة الحاج حسين التيتيوي أعضاء مجلس مرزق وحصل لنا الفرج بنا سيدنا السلطان نصره الله وعمر بملكه الأرض. ومن ذلك الوقت ما أتى لنا أحد من جهة البحر وفي العام الماضي في شهر رجب قدم إلى بلدنا أولاد سليمان ومغاربة من عرب بني غازي ومن معهم من الغرب... رفقتهم القرعان من عربان كام أناس كثيرة ما يزيد على ألف

وخمسمائة فارس وتريس لا يحصي عددهم إلا الله قتلوا منا ما يزيد عن الخمسين نفر وملكوا منا ألف وأربعمائة رقبة ونحو خمسمائة بعير ومثلهم بقر ونحو ثلاثمائة بهيم وأخذوا كل ما عندنا من... أثاث. وقاموا في بلدنا عشرين يوم ولولا العرب المذكورين القرعان ليس لهم قدرة على الوصول إلى بلدنا ومن ذلك الوقت رفعنا الشكاية إلى حاكم فزان ولا رد لنا خبر حتى الآن. قدم إلى بلدنا مأمور الهدية السلطانية الحاج محمد أبو عايشة وحصل لنا بقدومه الهناء والراحة لكون قدومه وكيل من الدولة العلية في فتح الطريق وجزي الأسباب ونحن بلدنا آتت متوسطة بين فزان وتوارق وبرنوح وسودان وعندنا... إتمام الذي قايمين له كافة أهل هذه المحلات وإذا انعدمت بلدنا وليس يخدمون الملح بين أهل السودان وبرنوح تحصل لهم المضرة ولا تستطيع لهم المعيشة من غير ملح ومولانا السلطان نصره الله ظل الله في الأرض وقايم بالمسنون والمفروض وإذا صار عند حضرته ما وقع النيل واطلع على حقيقتنا ومنفعة بر العبيد المذكورين في عمارة بلدنا توصلوا من فضله... الخدمة في راحتنا في المستقبل ورد ما ضاع لنا لكونه بحول الله وقوته متحقق... عن شيء ربنا يمد في عمره وينصره نصراً عزيزاً مقتدراً هذا ما عندنا من جانبكم بعد السلام بتاريخ العاشر من شهر الله ربيع الأول سنة سبعة وثمانين وماتين وألف من هجرة سيد الكاينات صلى الله عليه وسلم من حاكم تبو ادنمة والحاج بلال وكافة تبو كاوار من غير تخصيص[1].

(1) هذه الوثيقة من كتاب الوثائق العثمانية، المجموعة الأولى، ترجمة محمد الأسطى، إعداد خليفة محمد الدويبي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ص 64 ـ 65 ـ 66 ـ 67.

ملحق رقم (3)

● رسالة من محمد كاوصن إلى أعمامه

أقدز في 10 مارس 1917

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى سيادة العزيز الكريم الكامل إلى عمنا الحاج موسى وعمنا (أدمبر) وإلى جميع قبيلة (ايكزكزن) وكل من في حمايتهم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وعلى كل أحبابكم وأصدقائكم سلاماً تاماً عاماً يعمكم جميعاً أنتم وبلادكم.

إن سألتم عنا فنحن على خير ولا ينقصنا ولا نهتم إلا بكم ونرجو من الله أن نلتقي معكم قريباً والله سميع مجيب الدعوات ونطلب من الله تعالى أن يجمع شملنا بجاه النبي الحبيب.

ونحيطكم علماً بأن ما يجري في الوقت الحاضر ليس إلا خيراً وأن الله سبحانه وتعالى والزعماء قد طردوا الفرنسيين في بلاد (أزقر) وأن المجاهدين قد استولوا على مراكزهم.

إن المسلمين جميعاً قد قاموا إلى الجهاد. وإن الشعامبا الذين كانوا مع أعداء الله قد انقسموا، فهرب بعضهم وذهب إلى المناطق الرملية قرب (غدامس) وكذلك الذي سترونه في رسالة أخينا المختار بن محمد بأن قوات كبيرة تتوجه الآن للإقليم الذي يحتله الفرنسيون أعداء الله ورسوله. واعلموا أن الحكومة التركية والألمان ينتظروننا في

(كانو) حيث سبقونا ولا تشكوا في ذلك وكونوا رجالاً، وانتظروا. إن كل البلاد التي ستفتح بين البحر ومصر ستسلم إلى الحكومة السنوسية، وذلك هو النصيحة التي أوجهها لكم تمسكوا بها. إن الله العلي القدير قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم «إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء».

والسلام. إنها رسالة قادمة ممن يدعون الله من أجلكم

وعنهم كاوصن بن محمد

كتبت في 6 ذي الحجة 1334هـ (اكتوبر 1916) ومختومة بختم يحمل العبارة التالية:

خادم الحكومة السنوسية حاكم وادي فزان كاوصن 1334

ملحق رقم (4)

- رسالة من محمد كاوصن إلى (اغمبلو) أحد مشايخ توارق النيجر.

السيد اغمبلو وكل أفراد قبيلتي في (تشيميا) ومن كانوا معهم في المجتمع المسلم. جمع الله شملهم ووحدهم آمين.

الحمد لله

إلى العزيز الفاضل إلى أخينا (اغمبلو) وكافة أفراد قبيلته وكل المسلمين الذين معهم وحدهم الله آمين.

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

إننا نطلب منكم أخباركم وأخبار كل من معكم والذين يتنقلون من حولكم. وإن سألتم عنا وعن أخبارنا وما هي الطريقة التي يسير عليها زعيمنا. فاعلموا أنها تقود إلى الخير وإلى الله وإلى السلام وأننا نخبركم بأننا قد أرسلنا من طرف سيدنا الأكبر السيد محمد العابد الشريف بارك الله فيه وباركهم، فأمرنا بإنهاض الناس وتحريضهم على القتال في سبيل الله والطريق المستقيم وعلى كلمة الدين. فكونوا متحدين جميعاً باسم الله، وبروابط متينة، ولا تفعلوا إلا الخير، وانهوا عن المنكر، ولا تنازعوا فيما بينكم، ولا تنهبوا أموال بعضكم، أعلنوا أنفسكم متساوين في الخير من أجل الأمن العام، وليكن طريقكم مضموناً من أجل أن يظل المسلمون في راحة وتبقى القرى هادئة، وأوقفوا أطماعكم واتبعوا سبيل الله. إننا نرجو أنكم عندما تستلمون هذه الرسالة ستتأملونها وتبدأون في إعداد شؤونكم بدون ارتكاب أي خطأ وبدون أي جدال فيما بينكم لتفصلوا أنفسكم عن الكفار ولتكن كلمتكم واحدة وكونوا متساوين واتقوا الله، فهذا هو ما نريده منكم. أما نحن فإننا سنصل بإذن الله وبأمر من زعيمنا من أجل إصلاح بلدكم، ولدينا قوة كبيرة من الذخيرة والمدافع والرشاشات وجنود مدربين

متعودين على الانتصار تحت أعلام رايات شريفة جلبت من الأماكن المقدسة.

والقضية التي جعلتنا نأتي إليكم هي إصلاح بلدكم وليكون كل الناس على سنّة النبي التي تمهد الطرقة من أجل طرد أعداء الله بعيداً عن كل البلاد الإسلامية، ثم يتوجهون إلى أحوالهم الداخلية ويطيعوا الله ورسوله، ولا تتبعوا إلا رئيساً واحداً واتحدوا ونحن نقول لكم انهضوا وهبوا بكل قواكم وقلوبكم لأنكم تعملون من أجل الخير، وستصلون إلى الراحة. ونرجو من الله أن يعينكم، فاحذروا قبل كل شيء من انقسامكم، وكل ما نريده نحن هو أن يتبع الناس جميعاً الطريق المستقيم لأننا نعمل وفقاً لإرادة الله ونطيع أوامر السيد العابد، لأن عهده قد بدأ بدون أدنى شك وبكل يقين. وليس هناك سلطة أخرى غير سلطته لأن العالم قد قسّم فأخذ كل واحد نصيبه ـ وذلك بمشيئة الله ـ وأنتم من الجزء الذي يقع في نصيب السيد محمد العابد.

يا أيها الناس فكروا جيداً. إننا مبعوثين من عنده لنهديكم إلى الصراط المستقيم ونقوم بإدارة بلادكم. فلتبقى هذه الكلمات في ذهنكم وتقبلوا تحيات خادم الطريقة المجيدة الشريفة الصحيحة الطريقة السنوسية.

حاكم فزان والأقطار الجنوبية

والغربية الزعيم

محمد كاوصن بن محمد

وان تكّدا من ايكزكزن

بتاريخ الخامس عشر من محرم

في الحاشية:

يجب عليكم أن تحضروا أمامنا كما أنه يجب أن يعرف مسبقاً أن حامل هذه الرسالة هو أخونا السيد بن قميز الذي سيعطيكم مزيداً من الأخبار. وإن الجمال التي كانت قد سرقت منكم هي عندنا وكذلك اثنان من السراق وكانا تحت حراستنا وسنسلمهما لكم عندما نصل إليكم، وأن كل ما كلمناكم به لن يتغير، وبمجرد وصولكم إلينا لن يمسكم أحد، ولن يسرقكم لأننا مبعوثون من عند سيدنا من أجل إدارة أموركم ومن أجل طمأنة المسلمين وحماية كل جانب. ولله عاقبة الأمور.

ملحق رقم (5)

● رسالة من السيد محمد العابد إلى آمر دائرة كوار.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على من سيتولى شفاعة أمته في يوم الدين

من خادم سيده محمد العابد الشريف السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي إلى معالي النقيب مدير وآمر كوار تيبستي.

هدانا الله وإياه آمين

أعلم أن رسالتك قد وصلت عن طريق مندوبنا في القطرون في 10 من شهر ربيع الثاني 1335هـ (3 فبراير 1917) وقد فهمناها من بدايتها إلى نهايتها. وكان ذلك في الحقيقة واجبنا جميعاً من أجل العمل على إنهاء كل أعمال الحرب. ونضمن سلامة الطرق وأمن كل مسافر يأتي من عندنا أو من عندكم.

وكان عليك أن تعلم أن تمرد التيبو وغيرهم لم يكن بأمر منا ولن نوافق عليه أبداً ولن نقبله.

وقد منعته من قبل. ولكنهم تركوا أحياءهم فذهبوا متمردين دون أن يراهم أحد. وهذا هو ما حدث بالنسبة لهم.

وفي أحد الأيام الماضية تجمعت غزوة ثم أرسلنا إليها فمنعناها من أن تتشكل.

وكذلك وبناء على أخطاركم، فإننا سوف نرسل أناساً ومعهم رسالة لمنع الغزوات. لنعطي الدليل على أننا نرغب في استتباب الأمن والخير دائماً. فقد فرضت رقابة في كل أنحاء البلاد لأننا لا نريد حدوث غزوات ولن نقبلها أبداً. وعندما يصل

إلى علمنا تشكيل أية غزوة فإننا سنمنعها ثم نخبركم عنها بواسطة بريد خاص.

إننا قد استعجلنا سفر المبعوثين لكي تعرف الأوضاع والظروف التي تحيط بالدخول في التمرد وكيفية حدوث الأمور وتطورها.

والسلام على من اتبع الهدى

10 ربيع الثاني 1335

فبراير 1917

ملحق رقم (6)

● جواب مفوض الإدارة العامة إلى محمد العابد

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على من لم يستخدم اسمه ليرتكب السيئات

وآمن به. أدام الله بقاءه وأعطاه سعادة الدارين

من حاكم زندر إلى معالي محمد العابد السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي.

أعلم أن النقيب التابع لنا آمر «كوار» «تيبستي» قد وجه إلينا الرسالة التي فهمناها من أولها إلى آخرها، وأننا مسروورون جداً من رغبتكم ـ مثلنا ـ في استتباب السلام والهدوء على الطرق التجارية وهو سيتحقق ما دمتم تعاقبون قطاع الطرق وسنقوم به نحن أيضاً من جانبنا وتدل الطريقة التي عاملتم بها مبعوثنا على حسن مشاعركم.

ولا شك أنكم علمتم بأن الطوارق (إيكزكزن) بقيادة كاوصن قد هاجموا موقعنا في (أقدز) وأننا طردناهم هو وجماعته بعد قتال قتل خلاله عدد كبير من الناس. ولا نجهل أنكم منذ وقت طويل قد تكرمتم بتشريف كاوصن بصداقتكم ولكن العلاقات الودية التي ندخل في إقامتها معكم لا تسمح لنا بالاعتقاد بأنكم قد أرسلتموه إلينا ليشن الحرب ضدنا، ولذلك، ولأنكم قد أعطيتموه المدفع والبنادق. إن كاوصن قد قال ذلك، ولكنه بالتأكيد قد كذب، مثل كذبه في قوله بأن الألمان ينتظرونه في (كانو) وأنه سيكون في يوم من الأيام سيداً على الكفرة.

إن هذا الرجل الذي نهب أهله وأقاربه قادر على ارتكاب كل جريمة لأنه عبد شرير من عباد الله. وعليه فإننا سنكون مسرورين من علمنا أنكم تستنكرون تصرفاته مثل ما فعله محمد السني عندما طرده من (قورو) بسبب قيامه بنهب (كايدا) و (مكاسه).

إننا قد أعطينا الأوامر إلى خليفتنا في (بلما) ليعيش في سلام معكم ويدخل في علاقات حسنة وحسن الجوار. إننا لا نريد إلا شيئاً واحداً هو حرية الطرق التجارية وحرية المرور والتنقل وكذلك مثلما كتبنا إليكم في هذا الموضوع من قبل. إننا لا نرغب أبداً في توسيع أقاليمنا إلى جهتكم، بل إننا نحترم دائماً المناطق التي يحكمها السنوسيون، ولكن عليكم أنتم أيضاً أن تسيطروا على رعاياكم فتردوا ما استولت عليه القبائل التي تقوم بالنهب وذلك بإرغام إخوانكم على ذلك لتكونوا قد خدمتموهم بذلك من أجل العيش في وئام مع إخواننا في (واداي) و (بوركو) و (كوار) و (تونس) و (آيير).

إن ذكاءكم الحاد سيجعلكم تفهمون أنه لا يمكن غير ذلك وسنكون سعداء دائماً باستقبال مبعوثين منكم، وباستمرار الاتصال المشرف مع سيادتكم.

ملحق رقم (7)

● الرسالة التي أرسلها خليفة الزاوي إلى الوالي الإيطالي عن طريق كمال فرحات من فزان.

مرزق 15 سبتمبر 1924

إلى صاحب السعادة والي طرابلس الغرب

أفيد سعادتكم أني من قضاء الزاوية أصلاً وهو يبعد حوالى 50 كيلومتراً عن طرابلس وجئت إلى فزان خلال الحرب العالمية تابعاً لقائد القوات التركية صاحب بك. ولما أن انتهت الحرب وعاد صاحب بك إلى تركيا توليت القيادة المدنية والعسكرية للإقليم، وأخذت في عمل دائب للقضاء على حالة الفوضى التي كان عليها سكان الأقاليم الصحراوية، الذين اعتادوا سلب ونهب كافة الناس الضعفاء الذي لا حامي لهم. هكذا تمكنت من تأمين السلام أولاً لمن في الإقليم كله ثم لمن في حدوده، بعد أن وصل الحال إلى أن يكون غنيمة سهلة حتى لأولاد سليمان والقذاذفة سكان صحارى سرت دون أن نذكر الطوارق والتبو وبعض سكان مزدة ووادي البي.

بعد عقد الصلح بمنح القانون الأساسي، حدثت انشقاقات في بعض الأقاليم الدواخل فقرر الزعماء عقد ملتقى في غريان لبحث الوضع والنظر في المصالح العامة للبلاد.

كنت آمل أن يسفر ذلك الملتقى عن نتائج صالحة تطفىء نار الخلاف (وازداد ذلك عندما رأيت إعلان صاحب السعادة الوالي مركاتيللي الذي أثبت ذلك رسمياً).

واستجابة لطلبهم أرسلت أنا أيضاً مندوبين عن فزان. إلا أننا فوجئنا بأن ذلك الملتقى قرر صياغة طلب إلى الحكومة من أجل إقامة إمارة إسلامية ذات سلطة تنفيذية للشريعة الإسلامية بين المسلمين وأن تشرف على إدارة البلاد.

كان هذا القرار السبب الأول للشقاق الذي أدى إلى نتائج موسعة من الحرب والدماء والدمار.

وحيث لم يستمعوا إلى تنبيهاتي أبيت الانضمام إليهم وبقيت على الحياد إلى وقتنا هذا.

وإنني لم أقم بأية اتصالات مع الحكومة خلال تلك الفترة المضطربة وذلك إلا توخياً للحيطة، أخذاً في الاعتبار على الأخص مركزنا الجغرافي حيث المتمردون يتواجدون بيننا وبين المواقع التي تحتلها الحكومة.

أما الآن وقد أخليت الأرض إلى حد ما، لم تعد الحالة تدعو إلى التزام الحذر البالغ.

لذا أسارع إلى التوجه لصاحب السعادة الوالي كي يتخذ الإجراءات اللازمة التي آمل منها نتيجة سارة.

أما من جهتي فأصرح بأني على استعداد لتجردي من أي سلطة وتسليم سلطتي إما في الحال إذا أراد صاحب السعادة ذلك، أو في المستقبل إن رأى ذلك مناسباً.

ورغبة في إدراك غايتي الحميدة أرسلت إلى تونس شخصاً موضع ثقتي هو «محمد كمال بك» وهو أمين سري الخاص والمستشار الخاص مفوضاً إياه تفويضاً كاملاً بشأن جميع الاتفاقيات التي يقوم بها مع المندوب الذي تبعثون به سعادتكم للتباحث بخصوص تفاصيل الإجراءات التي سيحتم اتخاذها. ولتقرير كل ما يمكننا من الحصول على نتائج طيبة للحكومة ولشعب فزان. وقد اخترت تونس مكاناً للاجتماع لأني لا أريد أن يسبق الناس بخيالهم الأمور قبل تحقيقها وتحويلها إلى واقع، ولتجنب صعوبات قد تنشأ لا سيما إذا أخذنا في الاعتبار العدد الكبير من اللاجئين من أهالي الساحل والجبل الموجودين في فزان، ثم إنه قبل التوصل إلى نتيجة إيجابية فإنه من الحكمة العمل في سرية دائماً. سيسلمكم «كمال بك» هذا الخطاب عن طريق أمينكم العام وسيحيطكم علماً بمكان إقامته وبعنوانه.

وفي الختام أرجو سعادتكم أن تتقبلوا أطيب تحياتي وتمنياتي الخالصة.

متصرف وآمر خط فزان

خليفة الزاوي

ملحق رقم (8)

• رد الأمين العام م. او. نيكولي على رسالة خليفة الزاوي.

إلى خليفة زاوية متصرف فزان

مرزق

كما ستعلم بناء على ما أبلغكم به اللواء قراتسياني فإن صاحب السعادة الوالي استلم خطابكم، وسره أن يفهم غاياتكم ثم إني تحدثت هنا في طرابلس عدة مرات مع مندوبكم كمال فرحات الذي أفادني شفوياً بإيضاحات أكثر عن نواياكم وطلباتكم.

قال لي بصفة رئيسية إنكم ترغبون أن تبعث الحكومة إلى هناك قواتها مع ضمان وسهولة المجازفة التي سيسندها مسلحوكم، كما قال لي أيضاً: إنه إذا كانت الحكومة لا ترى ذلك الآن، فإنكم ترغبون في أن تبعث إليكم على الأقل بعض ضباطنا الذين تريدون أن تسلموا إليهم قيادة المسلحين الذين يتولون حماية فزان. وأضاف كمال فرحات أنه في هذه الحالة فستبقون هناك تحت تصرف هؤلاء الضباط على استعداد لتقديم أي ضمان ولتؤمنوا في حدود الممكن الاتصالات بين مزدة وفزان.

هذه الأخبار تؤكد حسن نواياكم التي إذا ما تم الحفاظ عليها بصدق وباستمرار، كما لا أشك في ذلك، فإنها ستقيم علاقات طيبة بينكم وبين الحكومة لخير وطمأنينة هذه البلاد، التي يجب أن تضع نفسها هي أيضاً تحت الحماية الفعلية للدولة الإيطالية العظمى لتتمتع بجميع المزايا التي تتمتع بها الآن الأقاليم الأخرى من طرابلس الغرب.

لهذا يمكنني أن أؤكد لكم أن الحكومة عاقدة العزم على أن تحل في وقت مناسب مشكلة فزان آخذة في الحساب ما تقدمتم به وفي انتظار أن يتم استكمال الإجراء بعون الله، يطلب منكم أن تحافظوا دون تغيير على إخلاصكم الذي يمكنكم الحصول بدله

في الوقت المناسب على الاعتراف الرسمي من قبل الحكومة الإيطالية بمنصب متصرف فزان.

إنه من مصلحتكم أن تستمروا في الاتصال بالحكومة عن طريق الخطابات، بإفادتنا عن سير الأمور هناك وآرائكم اللاحقة بشأنها، بحيث تتمكن الحكومة من أن يكون لديها أهم العناصر لاتخاذ الإجراءات الملموسة بخصوص أراضي فزان.

التحيات المعتادة.

الأمين العام

نيكولي

ملحق رقم (9)

● رسالة خليفة الزاوي إلى صديقه خليفة خالد

عزيزي الصديق خليفة خالد

طرابلس

بعد التحية

أفيدكم أني استلمت خطابكم الأول وخطابكم الثاني اللذين أعلمتموني فيهما بنوايا الحكومة بشأن هذه الأقاليم والتي تحتاج إلى اتفاق عليها وغير ذلك.

قلتم في خطابكم الثاني إن كمال فرحات تقدم إلى الحكومة وتباحث معها وأنه سيفيدني عن نوايا الحكومة عند عودته من طرابلس ولكني لم أرسل كمالاً أبداً بخطابات أو غير ذلك إليكم فهو غير جدير بهذه الخدمة. أما أسباب سفره فهي أنه أرسل من قبل والده الذي له نقود في مصرف تونس فذهب لسحبها.

وعندما عاد وطلب إليه تفسير ذهابه إلى طرابلس، اعترف لي بأنه اعتقلته دورية إيطالية فاضطر أن يقول إني أنا الذي أرسلته لينقذ نفسه كي يعود إلى بلده، فرافقه الإيطاليون إلى طرابلس وترك حرسه في غدامس.

هذا ما اعترف لي به، ولم يقل لي شيئاً أكثر من ذلك عن رأي الحكومة. وإذا ما تقدم إليها بخطابات بها توصياتي فإنها أكاذيب وزيف.

ولكن إذا كانت الحكومة في نيتها حقيقة بث السلام والطمأنينة بين السكان يمكنني أن أكون وسيطاً حسناً لتهدئة وطمأنة الجميع.

سلامي إليك وإلى أصدقائك.

متصرف وقائد فزان

خليفة زاويه

ملحق رقم (10)

● رسالة خليفة الزاوي إلى الجنرال قراتسياني.

3 يونيو 1925

إلى اللواء قراتسياني ـ غريان

بعد التحية

علمت أن بعض الأشرار سعوا لوضعي في وضع سيىء في نظر الحكومة فأساءوا الحديث عني، وبالتأكيد علمتم بهذا أنتم أنفسكم ولكني متأكد أنكم لن تنصتوا إلى مثل هذا الكلام، وستكذبونه لدى الحكومة لأن نواياي الطيبة معروفة جيداً لديكم.

ونظراً لبعد مسافة مكاني، لن يكون من الصعب في حقيقة الأمر أن يسعى أشخاص إلى خراب البلاد. لهذا لا يمكنني أن تكون لي علاقة ظاهرة بالحكومة، وأيضاً لأني أجهل نواياها الحقيقية نحو فزان ونحو أهالي الساحل الذين لجأوا إلى هنا، وهم في انتظار عفوها.

لذلك أحتاج إلى معرفة ذلك كي يمكنني أن أعيدهم إلى بلدهم، أرجو أن تكون المراسلة معي بمنتهى السرية حتى لا يعرقل الرأي العام سير الأمور، فأنتم تعرفون فعلاً أن العرب جهلاء جداً. وبما أنهم لا يميزون مصلحتهم من مضرتهم فمن الممكن أن يذهبوا إلى الجانب المضاد، سيما في هذه الأيام التي يقال فيها إن أولاد سليمان يريدون احتلال فزان.

أرجو في هذه الأثناء أن تفصحوا للأهالي الذين يصلون إلى هناك أن يبقوا على ولائهم لي، وبالتالي للحكومة أيضاً. خصوصاً المقارحة الذين لا يثقون كثيراً في الذهاب إلى الساحل والذين كنت قد أكدت لهم ذلك.

ولكي أثبت لهم صحة موقفي بعت لهم فعلاً حوالى ثلاثة آلاف ليرة من النطرون تقريباً التي سيدفعونها لي عند العودة.

وأرسلت معهم أيضاً حامل هذا الخطاب ليبتاع بضائع لي أنا وليأخذ هذا المبلغ أرجو أن تساعدوه.

في انتظار ردكم

متصرف فزان

خليفة زاويه

ملحق رقم (11)

- رسالة خليفة الزاوي إلى الجنرال قراتسياني.

حضرة اللواء قراتسياني قائد منطقة الجنوب.

أعتقد أن سيادتكم على علم بأننا منذ عدة شهور في صراع ضد أعداء فزان إخوة سيف النصر لهذا لم أجد فرصة أبداً للكتابة وإعطاء المعلومات كي لا أظهر بأني على اتصال بالحكومة ولئلا يضيع نفوذي في هؤلاء الناس.

لذلك كلفت حامل هذا وهو السنوسي أفندي بأن يفيدكم شفوياً عن الحالة القائمة بفزان وعن الصراعات المتعاقبة التي قمنا بها وعن وضعنا الحالي.

فإذا كان في نية الحكومة احتلال فزان فأنا لا أزال على عهدي القديم ولم أغير رأيي أبداً وليس لنا سند غير الحكومة التي نطالب بمساعدتها وذلك بإرسال الذخيرة وحسب أنتظر الرد.

ملحق رقم (12)

● رسالة محمد بن حسن إلى الجنرال قراتسياني[1].

إلى اللواء قراتسياني قائد المنطقة الجنوبية.

بعد التحية والاحترام

أفيدكم بأني استلمت خطابكم المؤرخ في 23 ديسمبر 1926 وقرأته من أوله إلى آخره.

فيما يخص ما قلتم بشأن عدم حضوري إليكم أعلمكم بأني لا أستطيع أن أفعل ذلك بأي حال لأسباب مختلفة.

قلتم ذلك بأني أسأت التصرف بتعيين محمد بن عامر مديراً وغير ذلك. هذا أمر لا أفهمه لأني أعلم أنه من مزدة إلى غريان لا يمكنني التعيين في أي منصب، ولكن أعلم أيضاً أنه من مزدة فما دونها ليس هناك ما يمنعني من أن أفعل ما أريد أي أن أعين ابن عامر أو أي شخص آخر حسبما يروقني.

يمكنكم أن تقولوا بأني أسأت التصرف إذا ما أضر أحد أتباعي بالمستسلمين فقط.

قلتم بأني كنت أريد معاقبة سالم بن نصر لأنه حضر بين يديكم فإذا علمتم هذا منه هو، فإني أصرح بأنه كذاب، ولكنه سيلقى ما يستحقه من عقاب مهما كان الثمن، لأنه لا يعمل للصالح العام ولكنه يسعى لغاياته الشريرة فقط. هذا ما سترونه في المستقبل. أعتقد أنه من غير المناسب أن يكون سيادتكم والحكومة قد أوليتم اهتماماً

---

(1) من المراسلات التي جرت بين محمد بن حسن المشاي، والجنرال قراتسياني اخترت هاتين الرسالتين كنموذج لبداية الخصام بين الرجلين، وخروج محمد بن حسن من دائرة السيطرة الإيطالية والتحاقه بالمجاهدين.

بشخص مجرب، وهذا يثبت أنكم تبحثون عن الأضرار والشقاق بين الناس.

أما بشأن ما قلتم من أنني بعثت بلجنة إلى أهالي الشرق دون أن أطلب إذنكم مسبقاً. فلقد قمت بهذا لأن كل ما يتعلق بمصالحنا وأملاكنا نحن أعرف به أكثر من غيرنا في الماضي لم نفعل شيئاً ضد آراء ومصالح الحكومة.

وقلتم بأنه لا أحد يمكنه أن يحول دون زحف الحكومة على القبلة حينما تريد ذلك وغيره.

هذه أمور لا فائدة من قولها إليّ. إذ تعرفون سيادتكم أكثر من أي شخص آخر، ما إذا كان بإمكان الحكومة أن تزحف أم لا ـ إن ما أعرفه هو فقط أن الحكومة في الماضي تقدمت في القبلة مراراً ولكنها اضطرت إلى الانسحاب في كل مرة.

قلتم بأنه يضيق صدري ولا ينطلق لساني.. وأنا يهمني بهذا الخصوص أن أعلمكم بأني أريد تقديم النصح للحكومة، ولكني أعلم أيضاً بأن الحكومة لا يمكن أن تقبله رغم أنها لا تجهل أن نصائحي صحيحة.

عندما تتقدمون فقط ستبدي الوقائع ما إذا كان الحق معي أو معكم. والزمن وحده سيثبت ذلك.

قلتم لي بأني عبرت عن الصعوبات التي يمكن أن توجد عند التقدم في القبلة لإخافة الحكومة، وهذا غير صحيح، لأن ما قلته ما كان إلا لتقديم النصح للحكومة.

قلتم بأن الحكومة تعرف كيف تتغلب على الصعوبات كما عرفت كيف تتصرف في سنة 1925 في عز الصيف حينما كان الضباط الإيطاليون يسيرون على الأقدام حاسري الرؤوس، بينما نحن مواليد القبلة كنا نسير بالمظلة وغير ذلك.

أود أن أفيدكم بأن أسود القبلة وأتباعهم في ذلك الوقت، كانوا تحت الحكومة ـ كما هو معلوم لدى سيادتكم ـ أما إذا أردتم من هو (صاحب الشمسية) فاسألوا العقيد (غالياني) عندما رافقته في حملته بالحمادة وبوادي الخيل وستعرف مرة أخرى إذا ما أطال الله في عمري.

قلتم بأن نصائحي بالخصوص غير مجدية وغير ذلك. وهذا أمر معلوم لديّ ولديكم، ولا أطلب إلا أن يطلع سعادة الوالي على خطاباتي وكذلك الأمين العام وقائد القوات حتى يكون هؤلاء شهوداً بيننا.

أما فيما يخص ما قلتم بأن الحكومة ستعينني قائمقاماً على المشاشية، فأعلمكم أنه

سواء في الماضي أو في المستقبل فإن المنصب الذي أتولاه أهم من قائمقام لدى الأهالي ولا أطلب منكم أن أعين في هذا المنصب، لأن الأمر بيد الله الذي هو وحده القادر على إعلاء وخفض الرجال.

أما بشأن ما تقولون بأني لا أهتم بما يخص المقارحة وغيرهم فإني أؤكد لكم أنه سواء المقارحة أو الأهالي الآخرون، فإنهم دائماً تحت أمري ولا يجب أن تخدعوا بما يقوله لكم أشخاص لا أهمية لهم.

وبخصوص ما قلتم بأنكم ليس في نيتكم اقتسام القيادة أعلمكم بأن الحق في جانبكم إذا كان هذا يعني مناطق الشمال ـ طالما نحن على اتفاق ـ ولكن إذا كان هذا يخص القبلة فلا يحق لكم أن تقولوا ما كتبتم إلي.

وإذا لم تتركونا مطمئنين في أراضينا فسنأتي حتماً لنقتسم حتى أراضي الجبل، فما بالكم إذا ما أردتم أن تمنعوا مواشينا من الرعي وأهالينا من الأسواق، ويظهر من هذا أنكم تريدون قطع كل علاقة، الأمر الذي يبدو لنا من أنكم لا تريدون أن ترسلوا ماهيات أهالينا، الذين من المؤكد أنهم سيسعون إلى قوتهم بكدهم وسيبحثون عن سوق آخر.

وحيث إنكم أصدرتم أمراً في خطابكم بأن أنتقل من الأراضي التي احتلها حتى الآن، فسأذهب إلى مكان آخر في انتظار تحركاتكم ونواياكم.

كما علمت بالتفصيل جميع ما قلتم عني في غريان وهو ما فهمته من خطابكم وكذلك ما يخص اتفاقكم مع سالم بن نصر لكي تتخلوا عني.

محمد بن حسن المشاي

الملحق رقم (13)

رد قراتسياني على رسالة محمد بن حسن الأخيرة.

غريان 4 فبراير 1927

إلى الشيخ محمد بن الحاج حسن

استلمت خطابكم المؤرخ في 15 يناير 1927

إن ردي عليكم هو فقط بأني لست معتاداً على القيام بأعمال لا تتمشى مع توجهات الحكومة، وحيث إن خطاباتكم سلمت إلى سعادة الوالي، فقد فهم منها أنكم تريدون فرض إرادتكم وليس تنفيذ الأوامر الواردة منه.

وعليه فإن هذا معناه التصريح تلقائياً بالتمرد على قوانين الحكومة.

وبخصوص ما تقولون من أنكم لا تثقون فيّ، وهو ما يمنعكم من الحضور فإنكم تكذبون، مع علمكم بأنكم تكذبون لأنكم تعلمون مبلغ الخيرات التي تلقيتموها مني. أما أصل مخاوفكم فابحثوا عنها في أعمالكم السيئة.

لقد التقطتكم بأسمال بالية وجوعان في العوينية سنة 1922م ومكنتكم من نيل التكرم والسلطة والغنى. وقدت أهاليكم إلى القضاء على عدوكم القديم وإلى نيل الرفاهية والاطمئنان.

ولذلك سيحكم عليكم أهاليكم قبل الحكومة وسيتخلون عنكم، وستكون نهايتكم كنهاية محمد فكيني، ولكن لا شيء يمكنه أن يوقف عمل الحكومة لتعيد طرابلس الغرب كلها وأهاليها إلى الهدوء والعدالة وحضارة روما.

اللواء قراتسياني

الملحق رقم (14)

مقتل السلطان تقامه[1]

زندر في 30 يوليو 1920

الطبيب العسكري مساعد الماجور من السلم الأول

إلى السيد المقدم ليڤيڤر مفوض الإدارة العامة في الإقليم العسكري بالنيجر المكلف بالتحقيق حول مقتل تقامه السلطان الأسبق.

إن التحقيق الجاري حول مقتل السلطان الأسبق تقامة لا يبدو لي أنه يسير في الطريق الصحيح، وأرى أنه من واجبي من أجل المصلحة العليا لكشف الحقيقة أن أنقل إلى علمكم الأحداث التالية التي لم أتمكن من إعلانها حتى الآن، وذلك للأسباب التي سأوضحها أثناء هذا التصريح.

في 30 أبريل 1920 في حوالى الساعة السادسة صباحاً، وبعد معاينة جثة (تقامه) تأكد لي أنَّه يظهر عليها بوضوح آثار الخنق في مقدمة العنق وأن العينين قد برزتا، وقد انتفخت أماكن الغدد. وكان طرف اللسان مشدوداً بين الأسنان، والسائل المنوي يجري في مجرى البول. كل هذا جعلني أعود كما قلت أثناء استجواباتي في الدائرة حيث عبرت للنقيب «ڤيتالي» إلى اقتناعي الشديد بأن «تقامه» قد قتل شنقاً.

ومما زاد من دهشتي أن هذا الضابط قد رد علي باختصار قائلاً: «هذا صحيح فأنا الذي قمت بشنقه، فإنني تلقيت برقية مقلقة جداً فأردت إنهاء هذه القضية والتخلص منها فأعلنت رغبتي لـ «صوما كاليبالي» ملاحظاً له أن (تقامه) كان قد ارتكب جرائم كثيرة تجاه الأوروبيين والرُماة (الجنود الأفارقة). ولذلك فإنه من العدالة التخلص منه،

(1) مترجم عن كتاب كاوصن أو الثورة السنوسية لمؤلفه أندري ساليفو.

إذن الآن أنت افعل ما تشاء».

وقد صدر هذا الكلام من النقيب (ڤيتالي) وأنا ألاحظ انهياراً عصبياً، وكان وجهه مضطرباً تماماً، فشاهدت في عينيه نية محاولة الانتحار فاعتقدت أنه من واجبي كطبيب العمل على تجنب مثل هذه الكارثة في حق الرجل الذي ما زلت أكن له كل الاحترام، ولذلك أجبته باختصار:

«نقيبي إنني لم أسمع اعترافك، إنني أقوم بإعداد تقرير شرعي، لا يمكنني أن أعبر فيه إلا عمّا رأيته وعاينته وهو ما سأعبر عنه كاملاً، لأن ذلك بالنسبة لي واجب وفرض».

فردّ عليّ قائلاً: «إنني أشكرك، إنك لست غريباً عن الدوافع التي جعلتني أقدم على هذا العمل. إنني أتذكر أن (تقامه) هو الذي اغتال صديقك الدكتور «راينورد» الذي قتل في (تشين التوارق) وأتذكر أيضاً تأثرك عند كلامك على مقتله الذي لم يتم الانتقام له بعد..».

إنني قد تابعت فحوصاتي فجاءت المعاينات التي شاهدتها لتؤكد بطريقة صريحة افتراضاتي عن طبيعة مقتل «تقامه».

إلا أنني إذا توصلت عن طريق الطب الشرعي الذي أثبت بالتأكيد المطلق بأن (تقامه) قد قتل خنقاً، فإنني لم أتوصل إلى إعطاء الرأي عن طبيعة هذا الخنق، وذلك هو ما عبرت عنه في تقريري الذي لا أغيّر فيه ولو كلمة واحدة.

وعندما توجهت إلى (أقدز) كان لدي نية بأن أقول لك كلما سمعت وعرفت، ولكن الانهيار العصبي الذي أصاب النقيب (ڤيتالي) في الأيام التي سبقت وصولك إلى (أقدز) هو الذي جعلني أتردد في أن أكلمك رسمياً: ولنفس الأسباب السابقة.

وقد طلبت منك حينئذ مقابلة خاصة كصديق قديم، فكنت تعتقد أنه لا يمكنك الموافقة عليها، فقد كنت أنوي أن أشرح ما كتبته أعلاه، ثم أطلب منك النصيحة.

إن النقيب (ڤيتالي) قد أقر لي بهذا الاعتراف في القاعة الكبيرة في الدائرة حيث كنا وحدنا. وقد احتفظ بهذا السر إلى أن وصل النقيب «لاڤييارد» إلى «أقدز» ولأني أكن تقديراً فائقاً وأثق ثقة كاملة في هذا الضابط فإني قد حكيت له قصة الاجتماع الذي كان بيني وبين النقيب (ڤيتالي) فسألته عمّا إذا كنت على الطريق الصحيح، فهو الذي نصحني بأن أطلب منك اجتماعاً كصديق.

إنني أعتقد من أجل إتمام هذا التصريح أنه من المفيد إبلاغك بما يلي:

1 - إنه في خلال شهر مايو كان النقيب «ڤيتالي» قد صرح أمام كل من الملازم «زايس» والملازم «أوموان» بالأقوال الآتية:

«لم يعد يوجد ما يزعج في المركز مثل جهاز الاتصال اللاسلكي والطبيب».

2 ـ إن النقيب (ڤيتالي) قد أبدى في الأيام التي سبقت وصولك إلى (أقدز) قلقاً كبيراً، لكي يعرف ما إذا كنت قد لقيت في طريقك مفرزة العريف «صوما كاليبالي» وهو القلق الذي لاحظه كل من السادة: النقيب «لاڤيارد» والملازم «زايس» والملازم «أوموان».

3 ـ إن النقيب (ڤيتالي) قد صرح بالأقوال التالية للنقيب «لاڤيارد» عندما حكى له في «انقيقمي» عند مرور «تقامه» بأن أحد الرماة (جندي أفريقي) قد طلب منه الإذن بحراسته في الطريق ليتمكن من قتله. «إن ذلك هو الحل. ولماذا لم تتركه يفعل ذلك؟».

4 ـ إنه قبل وصولك بعدة أيام إلى «أقدز» قال لي (ڤيتالي) «إن العقيد لديه جو مهيأ تجاهي. وإذا ذهب الرماة إلى (زندر) فإنني سوف أخبرهم قبل مغادرتهم بأنني سأقول بأنهم قاموا بضربه (تقامه) تلقائياً، فيجب عليهم تصديقي بصفتي أوروبيّاً لكي توجه التهمة إليهم وحدهم.

5 ـ إن خادمتي المسماة الزهراء من قبيلة (البرداتن) والتي لم تعرف شيئاً عن موضوع (تقامه) قد سمعت في ليلة 29 ـ 30 من شهر أبريل ثلاثة أصوات حشرجة في جهة الثكنات العسكرية عندما كانت نائمة أمام كوخي، وهي موجودة في الوقت الحاضر قرب (زندر) ويمكن استدعاؤها.

وكان علي أن أقول إنه من خلال شهر مايو كنت قد طلبت إلى السجن المدني لدى سلطان «تقدا أن تيسمت» الذي اعتقد بسبب قوله «إن الأوروبيين هم الذين قتلوا تقامه» وكان هذا المواطن من أهل البلاد مقيداً بالسلاسل ويشتكي من الحمى والإرهاق العام. فقد لاحظت لرئيس عرفاء «بنيود» المشرف على السجون بأنه ليس من الإنسانية أحد الأهالي في السجن دون تعريضه على الهواء في بعض ساعات اليوم، لأن ذلك من الأسباب التي تؤدي إلى شدة المرض عليه. فقال لي:

«إن ذلك كان بأمر من النقيب (ڤيتالي). وقد علمت بعد ذلك بوقت قصير بالإفراج عن ذلك السجين وقبل إنهاء هذا التصريح، يلزمني أن أخبركم مثلما فعلت في (أقدز) في نهاية شهر يونيو، عندما أخبرت رئيسي في الخدمة بالانهيار النفسي الذي بدأ على النقيب (ڤيتالي) والإرهاق العصبي الذي يظهر لي بأنه يخفف في بعض النقاط مسؤوليته.

التوقيع

سوشارد

الملحق رقم (15)(*)

تقرير النقيب بوميي آمر المجموعة المتنقلة في (الهقار) حول سلوك موسى آق أماسطان خلال الفترة من ديسمبر 1916 إلى أغسطس 1917.

إنني أتشرف باطلاعكم على نتائج التحقيق الذي أجري حول السلوك الشخصي لموسى آق أماسطان سلطان الهقار خلال فترة التمرد من (ديسمبر 1916 إلى أغسطس 1917م).

فقد أرفقت به مختلف الرسائل التي كان موسى يقوم بتسليمها فهي رسائل من السيد العابد، آمود، كاوصن ومنتمين آخرين إلى الطريقة السنوسية، وتكتسي أهمية كبيرة في الاتجاه الذي تلقي الضوء عليه ولو كان ضئيلاً في ما كان يتعلق بسلوك موسى.

وقد وصلت كل هذه الرسائل في شهر مارس 1917 ولم يتم إرسالها فور وصولها على أمل أن نتائج التحقيق الجاري حول تصرفات موسى ستمكن من الخروج باستنتاجات أكثر وضوحاً من التي تأتي أو من مجرد أقوال المعني.

وبما أن الطلبات الموجهة إلى أقدز، وطاوة، وزندر من أجل الحصول على المعلومات، تظل دائماً دون الحصول على الجواب (انظر الرسائل 121ش و122ش التي أرسلت نسخ منها على شكل أعلام) فإن المعلومات المتنوعة الشفوية المروية عن الطوارق المنشقين وغير المنشقين. وكذلك الطريقة المتعددة الأشكال والظاهرة التي كان موسى يتصرف بها منذ عودته من آيير. كل ذلك يسمح ـ فيها اعتقد بالتوصل إلى نتيجة أن موسى لم يرتكب خيانة أبداً في حق القضية الفرنسية، ولو سمع أنه نوى الكفاح ضدنا

(*) مترجم عن كتاب أندري ساليفو، كاوصن أو الثورة السنوسية ترجمه إلى العربية عبد الرحمن محمد عبد اللطيف.

أو معارضة نفوذنا بأي وجه من الوجوه، فإن ذلك حدث لأن موسى كان قد فقد سلطته وسيطرته بشكل لا يمكنه من مواجهة نشاط رجال السنوسية، فقد بادر باتخاذ بعض القرارات الموفقة، ولكننا إذا بحثنا في تفاصيل الظروف التي حصل فيها ارتباكه بعد أن غادرنا مجموعة الملازم «كونستان» أحياء الهقار (ديسمبر 1916) فقد أخبرنا عن الصعوبات التي واجهته، والتي يمكن أن تبرر تردده وحيرته والخط الذي كان يسير عليه سلوكه.

وفضلاً عن ذلك فإن موسى كان قد توقع صعوباته الكبيرة التي كان قد أشار إليها. بإلحاح في الرسائل الموجهة إلى آمر المنطقة وحاكم الإقليم في الوقت كان قد تُرك فيه وشأنه أو بوسائله الخاصة.

وبعد ذهاب فصيل الملازم «كونستان» حاول موسى أن يجمع رعاياه ويعود إلى «تين زواتن» مفضلاً بذلك أن يتصرف على نمط غزوات «البيرابير» بدلاً من ترك نفسه ينزلق في حركة التمرد في جهة الشرق فقد اصطدم منذ البداية بالصمت التام من طرف اتباع الثورة الذين ظلوا مرتبطين بأمغي زعيم تيطوق الذي انضم إلى العدو حينئذ. فقد أبلغ الشيخ باي الهقار بقدوم غزوة كبيرة من «البيرابير» من جهة الغرب فانتقل الأحياء إلى جهة الشرق في «تامالا» وفي نفس اللحظة وصل خبر الاستيلاء على «أقدز» وإخلاء حصن «بولينياك» والاستيلاء على قافلة العريف «فرنسوا» كما كان الأهالي يتوقعون وصول الإمدادات في الأيام المقبلة مما سيعمل على ثبات الطوارق وتصديقهم لعجزنا وانسحابنا الذي لا مفر منه في القريب العاجل من هذه المنطقة وفي حين أُبعد خطر الغزوة في الوقت الذي كان فيه موسى يستعد للذهاب إلى جهة الغرب وصل إليه خبر يفيد بأن قوافل الدخن قد أخذت. بعضها أخذ في طاوة عن طريق السلطات السودانية (400 جمل) وبعضها في أقدز بواسطة كاوصن (600 جمل) فبلغ الغليان ذروته، فلم يعد موسى يقدر على السيطرة على الموقف. ولم يتردد الزعماء في التوجه إلى أقدز فالتقى «أنابا» مع كاوصن وأعلن انضمامه إليه وأوصاه بعدم الكتابة إلى موسى إذا لم يرد أن تسلم رسالته إلى الفرنسيين.

وكان كاوصن قد استقبل «أنابا» استقبالاً حاراً فأشار عليه بأخذ مكان موسى وجميع محلته «معسكر» بفرض حصار حصن «موتيلانسكي» فقد حاول «أنابا» تنفيذ هذه الفكرة، ولكنه لم يتمكن من إتمام مخططه الحربي بسبب رفض الهقار له جميعاً. وفي أثناء ذلك الوقت كان «إمغاض» يتناقشون فيما بينهم فترى غالبيتهم أن من الجنون الاعتقاد

(1) امغاض: أو إمغاد هم المشايخ في لهجة التوارق.

في إمكانية استرجاع القافلة التي أخذها الفرنسيون في طاوة. ويبدو لهم أنه على العكس فإن القافلة التي أخذها كاوصن هي التي يمكن استرجاعها. وكان كاوصن يطلب حضور موسى إلى أقدز ليتسلم الجمال، ويأذن مكرهاً أو مقتنعاً بمشاركة الطوارق الذين كانوا في القافلة في الهجوم على مركز أقدز... الخ.

فقد نصح موسى عبثاً بالهدوء والصبر وأكد دون أية نتيجة بأنه سيحصل على إعادة القافلة التي أخذتها سلطات «طاوة» وذلك في كلام وجهه إلى القيادة فكتب إليها في هذا الموضوع.

ولم يستمع إليه إلا عدد قليل من الأشخاص المنعزلين وأتباعه المخلصين الذين يتشبثون به، مع أن معظمهم لا يتفق معه في النظرة إلى الأحداث وفي تقديره إلى القوات المتصارعة. وفي النهاية قرر «إمغاض» دون أن يشعروا موسى لأنه كان عليه أن يذهب إلى أقدز، لأن ذلك من واجبه كسلطان وإلا فإنهم سيتركونه ويذهبون جميعاً إلى أقدز وكاوصن. ولكن موسى ظل صامداً، مع أنه علم بأن جماعات كاوصن بدأت تقترب من أحيائه لغرض إجبارهم على اتباع المتمردين وإلا فإنه سينهب ممتلكاتهم، وحينئذ فإنه أخذ يتردد إلى قرار في النهاية وعزم على الذهاب إلى «أقدز». وهل اعتقد هو أيضاً بأن الفرنسيين قد وصلوا إلى نهايتهم فتركوه وتخلوا عنه؟ يمكن قبول ذلك لأنه من الإنصاف عدم أخذه بذلك. ولو أمكن توجيه اللوم إليه بتوجهه إلى أقدز دون إعلام السلطات بذلك. ويصرح موسى ويؤكد بأن الغليان كان قد وصل إلى درجة أنه لم يعد يثق في أحد. وأن الذين قبلوا القيام بمهمة التمسك بالعهد هم من المخلصين الأوفياء له. ويرى أنه من الحيطة والحذر عدم افتراقه معهم في هذه اللحظات الحرجة. وكانت هذه الحجة يبدو أنها سخيفة عند من يعرف الاعتزاز بالنفس والكبرياء المفرط لدى موسى، ويبدو أنه من الحقيقي، أن موسى قد حاول، تاركاً نفسه للقضاء والقدر وإرادة «مولانا» للخروج من هذا المأزق، دون أن يعترف بعجزه المطلق الذي يرى أنه قد يعرض للخطر ليس فقط شخصه وإنما وضعيته الرسمية بصفته السلطان المفضل للهقار.

وهل يلزم، بعد تصريحاته اتهامه كمجرم بسبب سلوكه؟ ألا يمكن الأخذ بعين الاعتبار في بعض الإجراءات، الظروف التي كان فيها عندما تخلينا عنه، وكذلك سلوكه السابق لتلك الأحداث مباشرة؟ ومن جهتي فإنني أعتقد أن إجراء تحقيق حول هذه الأحداث لا بد منه قبل كل شيء. وأنني قد تطوعت للقيام بهذه المهمة في «تنيصرت» حيث الانتصار العسكري الذي كان سهلاً ورائعاً في نفس الوقت.

إن موسى كان قد ذهب إلى أقدز حيث حصل على استرجاع الجمال، ولكنه أخذ

بالقوة فوضع رهينة تحت الإقامة الجبرية حسب أقواله وأقوال عدد كبير من الطوارق التي لم نر ما يكذبها.

وقد رفض هناك كل المناصب القيادية على الرغم من العروض والترشيحات التي كانت تقدم إليه، ولا ينفي أنه كتب عدة مرات إلى كاوصن، وأنه قد ارتكب بعض الأعمال المشينة وأنه قام بشرح موقفه دون تردد منذ أن أعيدت إليه الثقة مؤكداً أنه لم يسبق له أن تنازل إلا تحت التهديد بالقوة.

وفي عدد من المرات كان عليه أن يعين الرجال ليذهبوا مع المتمردين، فقال إنه فعل ذلك بإرسال عدد من الرجال وأوصاهم بعدم النشاط في المشاركة في العمليات، ورفض بشدة وبإصرار أن يسلم كاوصن الأسلحة والذخيرة التي وضعها «الباي ليك» (الحكومة الفرنسية) تحت تصرفه. وكان كل هذا ـ حسب كلامه ـ هو السبب في احتجازه، فقد حاول الهرب في إحدى المرات أثناء الليل فقبضت عليه دورية الفرسان التابعين لكاوصن. ولم ينج منهم إلا بالحيلة عندما قال بأنه كان ذاهباً إلى كاوصن ليطلب منه معاملة أقل قسوة فقد حصل على ذلك بعدما قدم هدية حصان إلى عبد الرحمن تاقامه سلطان أقدز.

وأخيراً كان وصول المحلة السودانية فرصة له من أجل استعادة حريته. فقد هرب وبدأ على الفور وبدون أي تأخير في الاستعدادات لقطع العلاقة مع كاوصن وغادر آيير وبرفقته كل إلهقار.

وهل كان صادقاً ودقيقاً في كل هذه الأقوال؟ وبسبب جرأته فإنه يؤكد صدقها ودقتها المطلقة والكاملة.

ولكن يجب الاعتراف بأن موسى قد صرح بهذه الأقوال تلقائياً وبدون أي إكراه، وأيضاً لا يمكن أن يغيب عن بالنا الاعتراض بأن ذلك قد يكون مناورة ذكية من رجل ماهر يريد أن يهيىء نفسه للمستقبل.

وإذا كان من الممكن إعطاء وجهة نظر مبنية على الملاحظات التي أعطيت أثناء دراسة طويلة للمعنى، فإنني أعتقد في الواقع أن موسى مخلص وصادق.

إن رسائل كاوصن تعطي شيئاً قليلاً من المعلومات عن هذه الأحداث وسلوك موسى. إن موسى يصرح بأنه كتب أولاً إلى كاوصن يطلب منه تسليم قافلة الهقار معلناً أنه لا يحب إلا الخير والسلام هو وكل رعاياه، فرد عليه كاوصن بأنه يريد أن يراه شخصياً في «أقدز».

وبعد ذلك قرر موسى ولو ظاهراً من أجل كسب الوقت تحديد السلوك الذي يفرض على «إمغاض» فكتب مرة أخرى إلى كاوصن معلناً له أنه سيتوجه قريباً إلى

«أقدز». كما كتب في نفس الوقت إلى زعيم المشاكرة[1] فأعطاه ميعاداً في «تقدًا» حيث سيتوجه هو شخصياً. وكان ينوي بذلك أن يقترح على صديقه القديم الاتفاق معه لدراسة إمكانية الهجوم على كاوصن، وكان يعلم أن المشاكرة يحتجزون (5 بيرابير) أسروا في إحدى الغزوات، فعرض عليه أن يطلب مساندة (البيرابير) أو على الأقل حيادهم تجاه حيوانات المشاكرة والهقار مقابل الإفراج عن الأسرى. فقد خاب أمل موسى الذي انتظر 3 أيام في تقدًا. ولم يكتف زعيم المشاكرة بعدم الرد على هذه العروض وإنما أبلغ كاوصن باحتمال قيام موسى بسلوكه المشبوه.

ولما نفد صبر كاوصن الذي رد على موسى بالرسالة رقم 3 نظم حركة قوية فتوجهت إلى أحياء الهقار بمهمة غزوها، إذا لم ينفذ موسى أوامره. وعند ذلك قدر موسى الموقف فرضي بالتوجه إلى أقدز بعد أن أعلن ذلك لكاوصن في رسالة ثالثة، فردّ عليه الأمير بالرسالة رقم 4 وفي 3 أو 4 فبراير غادر موسى أحياء فوصل إلى «أقدز» في 11 أو 12 فبراير ثم غادر أقدز في 7 أو 8 مارس.

وكانت الرسالة رقم 5 قد وجهت إلى موسى في الأسر بعد أن قبض عليه فرسان كاوصن أثناء محاولته الهروب، فرد على رسالة من سلطان أقدز الذي كان قد خضع لكاوصن أثناء وجود خيامه على بعد مسافة يوم ونصف يوم من المدينة. وكانت شكاوى موسى تتعلق بالنظام الذي فرض عليه ويلتمس تخفيفه.

وكانت الرسائل رقم 6، 7، 8 قد أرسلت إلى موسى بعد وصول المحلة السودانية وبعد عودته إلى إحيائه، وتطالبه كلها بالحضور فوراً هو ورعاياه ليساعد الإخوان ضد الكفار.

ولم يخف موسى أنه أجاب على كل رسائل كاوصن معلناً وعده بالتوجه إليه ومساعدته ـ ويؤكد أنه لا ينوي من وراء ذلك إلا مجرد كسب الوقت من أجل توصيل أحيائه إلى طريق الهقار بعيداً عن متناول ضربات المتمردين قبل أن يشن غزوة على حيوانات كاوصن.

وكان وصول فرقة الهقار قد غطى وسهل حركته. وفي 18 مارس أرسل غارته أثناء انسحابه إلى الشمال من (تنيصرت) حيث انضمت إليه الفرقة الفرنسية في 23 مارس. أما الرسالتان الأخريان رقم 9، 10 المرسلتان إلى السيد العابد والمنشور الصغير (إن هذا المنشور الصغير لم يترجم لأن مترجم (موتيلانسكي) لم يقدر على الخروج منه

(1) المشاكرة قبيلة عربية من قبائل النيجر، التحمت مع الثورة وحاربت الفرنسيين ولكنهم بعد هزيمة كاوصن بطشوا بهم وشردوهم.

إلا بترجمة ناقصة وغير واضحة في تحرير ضعيف جداً، وهو ليس إلا نداء أو إعلان طويل موجه إلى السنوسيين لتحريضهم على إعلان الجهاد) المرفق بها، فإنها كانت قد أرسلت إلى موسى في أقذر. فقد استطاع موسى أن يهرب دون أن تؤخذ منه هذه الوثائق التي قام بتسليمها في «موتيلانسكي» إلى آمر المنطقة.

وقد أجريت أبحاث دقيقة ومكثفة في أسباب تمرد الهقار الموجودين في الكديه بوجه خاص نظراً للمعلومات التي رويت بصددها منذ البداية، بأن الحركة كانت بأمر من موسى. وكانت هذه الرواية كاذبة من جميع الوجوه، وبناء على أقوال الشهود التي سمعناها فإنه ليس هناك أمر مكتوب من هذا النوع ولو كان مزوراً كان قد سبق أن أرسل إلى الهقار من طرف أي أحد مما كان أن الطارقي الذي قال إنه رأى رسالة موسى في يد (أغالي) زعيم قبيلة (أجون تاهلي) وأحمد أق الشريف مندوب موسى في «موتيلانسكي» لا يعرف القراءة ولا الكتابة أنه فعلاً قد رأى ختماً، ولكنه لا يعرف ما إذا كان ختم موسى أم لا، ثم لم يزد إلا تكرار أقواله. ويحتمل أن إبراز هذه الرسالة لم يكن إلا مناورة من أجل إقناع الطارقي عثمان بالذهاب إلى التمرد، فقد تم استجواب كل رجال (ادجون تايهلي) فقالوا إنهم لم يسمعوا أبداً بأية رسالة أو أمر من موسى. وأخيراً أكد (وان الشيخ أق غالي) وفي الواقع هو شيخ القبيلة الذي كان قد طلب الأمان فحصل عليه، أنه لم يتلق أبداً أية رسالة من موسى في موضوع ذهابهم إلى التمرد. فشرح ذلك بقوله: «وفي 4 فبراير بيومين بعد ذهاب المحلة إلى السودان وصل ولد الحاج عبداوي من قبيلتنا إلى «موتيلانسكي» حاملاً بريداً من موسى إلى آمر المنطقة (وكان موسى قد كتب في تلك الرسالة المؤرخة بتاريخ 20 أو 22 يناير بأنه يستعد للتوجه إلى «تين زواتن» فطلب إرسال فصيل عسكري إلى ذلك المكان، كما أعطى فيها أخبار احتجاز القافلة التي كانت قد ذهبت إلى طاوة. وكانت الرسالة التي استلمت في (موتيلانسكي) قرئت دون أخذ أية صورة لها فأرسلت إلى آمر المنطقة برفقة نفس الطارقي الذي توجه إلى الأحياء بدل أن يلتحق بالفصيل، فقام بنشر أخبار (آيير) ثم عاد إلى الأحياء أيضاً حيث روج لأخبار تقول إن موسى كان في أقدز وانضم إلى كاوصن وكذلك «كل اهقار» فإنهم قد انضموا إلى دعوته وقضيته فلم يبق أمامنا إلا الاقتداء بهم. فنقلت نفس هذه الأخبار إلى الأحياء الأخرى بواسطة شخص من قبيلة «داق غلي محمد بن العامل ومعه عبد يدعى ضياء» من نفس القبيلة، ولذلك وبالإضافة إلى سلوك موسى الذي نرتبط بموضوعه ارتباطاً وثيقاً فإننا قد قررنا فوراً اتباعهم بدون أي تردد، في حركتهم إلى التمرد. وقد عرفنا فيما بعد أننا قد خُدعنا، إلا أن رعايانا اعترفوا بارتكابهم أخطاء عديدة وخطرة تجاه السلطات فلم نتجرأ على تنفيذ ما أمرنا به موسى الذي ظل دائماً معنا وحده بصفته الزعيم الحقيقي.

إن الأشخاص المجرمين من أتباع الحرب وأهل «آيير» كانوا يؤكدون أن موسى كان سجيناً عندهم وأن كل من يتوجه إلى «موتيلانسكي» سيقتل رمياً بالرصاص، ثم بعد أن عانينا طويلاً من الدمار والجوع فإننا قررنا طلب الأمان. فحينئذ تمكنا من الإبلاغ عن كل الأكاذيب التي خُدعنا بها، ونحن دائماً كما كنا من الماضي مرتبطون بقضية موسى.

وبعد عودته من آيير لم يكن سلوك موسى فقط خالياً من أي عيب، ولكنه يستحق التقدير والمدح أيضاً، لأنه لما عاد إلى أحيائه قام على الفور بتنظيم غزوة ضد الناس الموالين لكاوصن مستهدفاً نفس الحيوانات الخاصة به (كاوصن) على الرغم من كثرة القوات التي سيصطدم بها. وكان يريد أن يخلق واقعاً يفصل بين الهقار نهائياً عن المتمردين، وينتقم في نفس الوقت للطعنات التي أصابت كبرياءه وكرامته بسبب وقوعه في الأسر في أقدز، فقدم معظم الشبّان كل أغلال ثمناً غالياً من حياتهم للقيام بهذه المحاولة الجريئة.

وفي أثناء تنظيم هذه الغزوة علم موسى بوصول فرقة الهقار فاقترح «إمغاض» أن يهربوا بسبب خوفهم من القمع قائلين لموسى إن الفرنسيين سيقطعون رأسه، ولكن موسى لم يتحرك ولم يترك مكانه، فتمكن من تهدئتهم وجمعهم ليقدمهم إلى آمر المجموعة فاحتفظ بهم كرهائن عنده إذا لزم الأمر.

وأخيراً ولدى عودته من آيير فإن موسى وبعض كبار قبيلته تبعوا الفرقة، وكانوا وراءها على بعد 24 ساعة لما وصلهم خبر انتصار الطوارق في موقعة «إلّان» تعمدوا إخفاء ذلك الخبر بعناية على آمر المجموعة قبل أن يعلم به موسى، ثم احتدمت المسألة لمعرفة ما إذا كان عليهم أن يهربوا وينضموا إلى المتمردين في الجبل، فأرسلت الحيوانات كلها إلى مختلف المناطق التي تتوفر فيها المراعي لتخرج بذلك على رقابة الفرقة الفرنسية. ولم يعترض أي شيء تنفيذ هذه الخطة، فكان الكبار متحيرين، وقد هرب أحدهم وهو «أُوكّا» من قبيلة «لوهن توهرا» خلال الليل.

أما موسى فقد وصل بدون أي تردد إلى (موتيلانسكي) فذهب ليقدم من جديد عهده على تمسكه وإخلاصه لموقفه الذي لم نر ما ينفيه أبداً، فظل أربعة أشهر إلى جانب آمر المجموعة يساعده بكل ما لديه من وسائل وحماس لا يمل رافضاً دون أي تردد كل الاقتراحات المقدمة إليه لجره إلى جانب أعدائنا، وإليه يرجعُ الجزء الأكبر من عودة الهدوء إلى هذه المنطقة.

استنتاجات

إن موسى قد فقد سلطته بدون نقاش، ولم يعد يعرف كيف يقاوم بفعالية المد الجارف لنفوذ العملاء السنوسيين والمناوئين لفرنسا فقد ذهب إلى كاوصن .زعيم المتمردين بدون إذن وبدون إبلاغ السلطات. فقد انبهر طوعاً أو كرهاً ببعض الأعمال المعادية للوجود الفرنسي.

إلا أنه يستحق التقدير على إعطائه الصورة الحقيقية للأوضاع حتى شهر فبراير 1917م فأعلن توقعاته في عدم مقدرته على مواجهة الصعوبات التي ستنجم عن ذهاب الفرقة التي تقوم بحماية الأحياء. وكذلك إلحاحه على الحاكم في موضوع قافلة الدخن التي احتجزت في أفريقيا الغربية الفرنسية، بأنه لا يقدر على مواجهة ذلك الحادث. إذن ليس من المستبعد أن هذا الحادث هو الذي كان قطرة الماء التي طفحت على الإناء فسبب وضع موسى في حالة غضب حرجه. ويبدو أنه كان قبل شهر يناير لا يتوقف أبداً عن تقديم النصائح بالخضوع والاستسلام للفرنسيين. وقد أعطى أيضاً منذ شهر يناير 1917م أدلة كثيرة على إخلاصه لقضيتنا. وأخيراً فإنه أيضاً كان قد تُرك وشأنه وبوسائله الخاصة في ظروف صعبة في الوقت الذي كانت المساعدة ضرورية له أكثر من أي وقت مضى.

إن موسى في رأيي لا يستحق أي فقد لاعتباره الشخصي لأنه مخلص تماماً ودائماً لقضيتنا، ومحب للخير والسلام. فهو الرجل المتفوق عند كل الطوارق بدون منازع، وقد ظل زعيماً للحزب الموالي للقضية الفرنسية. وبهذه الصفة يمكنه أن يقدم خدمات جليلة سواء في أفريقيا الغربية الفرنسية أو في الجزائر.

ومن الضروري إذن العمل على مساندة سلطته التي تقدر على مقاومة كل الهجمات المعادية، والرامية إلى أخذ مكانة بصفته زعيماً للطوارق، ولكنها إذا تركت وحدها فإنها ستتلاشى أمام الحركة الشاملة الزاحفة للثورة الدينية المتأججة في نفوس المسلمين.

عين صالح في 20 أكتوبر 1917

النقيب آمر مجموعة الهقار

ملحق رقم (16)

● بيان بأسماء شهداء (هون) الذين أعدمهم الإيطاليون بعد معركة (قارة عافية). وقد استلمناها من مركز جهاد الليبيين مشكوراً.

وبعد الثورة أجريت عملية صيانة وتحسين للميدان الذي به النصب التذكاري. وبعد مقارنة الأسماء التي عندنا في الروايات الشفوية بالأسماء المكتوبة على اللوحة التذكارية وجدناها متطابقة. ويقول نص اللوحة الآتي:

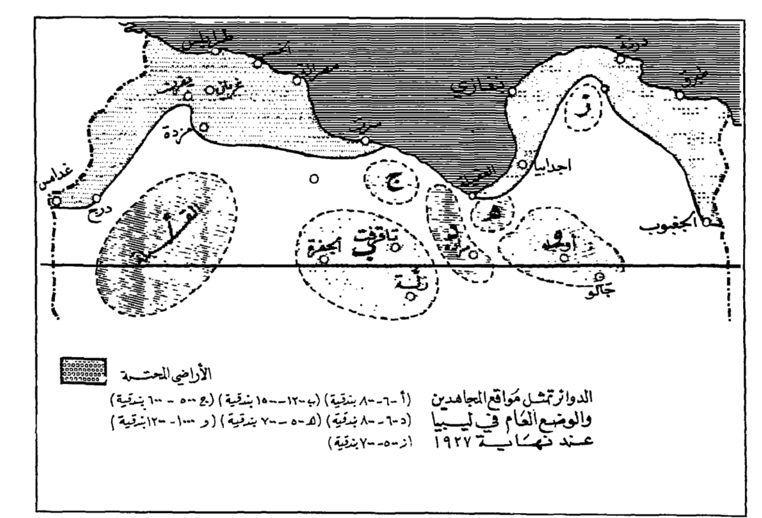
مساء يوم الأحد الخامس عشر من شهر نوفمبر عام 1928 نفذ الغزاة الإيطاليون حكم الإعدام شنقاً في تسعة عشر مجاهداً بطلاً من أبناء هذا البلد هم:

السادة:

أحمد كاجيجي ـ بشير بن مازن ـ بشيز دراويل ـ جمعة بن علي ـ محمد البشير بن مازن ـ محمد بن الحاج أحمد ـ محمد وداني ـ محمد بوقصيصة ـ محمد العكشي ـ محمد بن الحاج أحمد ـ محمد قرينقو ـ عمرو شغيوي ـ عربي حاج ميلاد ـ علي عبد العاطي ـ علي محمود تيتوي ـ علي السنوسي البريكي ـ عبد الرحمن بن معتوق ـ فضيل حاج محمد ـ صالح بن الحاج صالح.

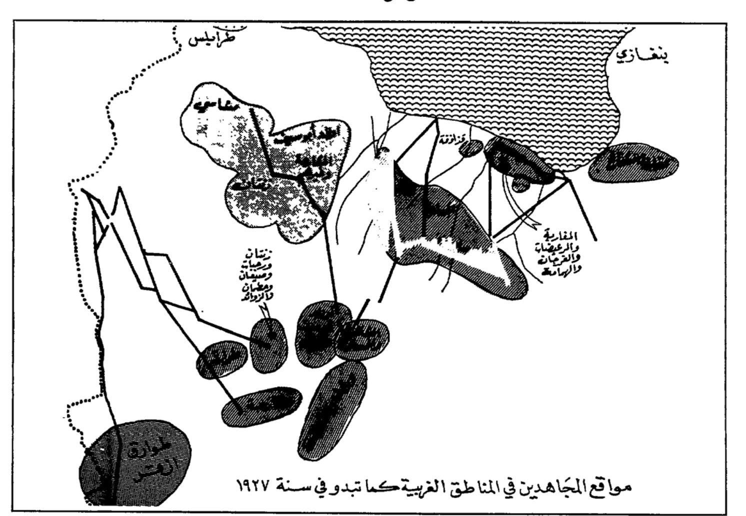
مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية

ملحق رقم (17)



● خريطة تبين مواقع المجاهدين والأراضي المحتلة في سنة 1927 عن كتاب معارك الجهاد الليبي للأستاذ خليفة التليسي.

ملحق رقم (18)



● خريطة تبين مواقع القبائل المجاهدة سنة 1927 من كتاب معارك الجهاد الليبي لخليفة التليس. وقد ذكر من اليمين إلى اليسار المغاربة، الرعيضات، الفرجان، الهماملة، القذاذفة وذلك في منطقة خليج سرت وأولاد سليمان والجعافرة، ثم أولاد بوسيف والمقارحة والمشاشية والحساونة، ثم الزنتان، الرجبان، الصيعان والحطمان والزوائد. وإلى أقصى الجنوب طوارق آزقر.

ملحق رقم (19)

سبق لي أنني حفظت القرآن في [illegible] سيدي أحمد بن حجا في بلدي الخمس وبعد أن ختمته تعلمت مدة من الزمن الفقه والتوحيد في الزاوية
المذكورة ثم دخلت المكتب [illegible] التركية ونلت الشهادتين الابتدائية والثانوية واستخدمت مدة خمسة عشر عاما في وظائف الحكومة
منها ثمان سنوات بطرابلس وسبع في دمشق الشام وملحقاتها واشتركت في الحربين الطرابلسية والحرب العمومية بجانب الحكومة العثمانية
[illegible] الشمال [illegible] ناقصة عن أجزائها وبعد أن وضعت الحرب أوزارها [illegible] الحرب [illegible] مستمرة
في طرابلس غادرت الشام ورجعت إليها برا على طريق فلسطين ثم مصر والتحقت بالمجاهد الكبير والزعيم الشهير السيد رمضان باشا
السويحلي واشتغلت بمعيته مديرا للرسائل وكان مصاحبا [illegible] في ذلك الوقت الزعماء الثلاث السيد عبد الرحمن عزام بك والمرحوم
السيد [illegible] والسيد البشير بك السعداوي ولما توفي الزعيم رمضان باشا في واقعة أورفلة وتولى أخوه أحمد
بك السويحلي استمرت الحرب [illegible] مدة سنتين ثم تغلب علينا العدو واستولى على السواحل كلها غادر الزعماء الثلاث
[illegible] وقصدوا مصر وبقيت أنا [illegible] مع بقية الزعماء القائمين بالحركة نقاوم العدو كرة وأخرى
من محل إلى محل واحتلت [illegible] في سنة 1928 عندما [illegible] وانقطع عنا المدد من كل جهة تقرر لدى جميع
المجاهدين [illegible] الوطني [?] الهجرة إلى الأقطار المجاورة وانقسمنا إلى ثلاثة أقسام قسم طلب تونس وآخر طلب مصر والثالث
طلب السودان [illegible] الذين طلبوا تونس فدخلت قابس في سنة 1929 ولم أزل بها إلى الآن فاشتغلت في
تعليم القرآن العظيم [illegible] تعليم أبناء البلاد ثم [illegible] فتح فرع من المدرسة القرآنية للبنات [illegible]
[illegible] سنة 49 [illegible] أهل البلاد [illegible] الشيخ سيدي القاضي إمام الجامع سيدي مصطفى بن [illegible]
[illegible] الأستاذ سيدي أحمد [illegible] 1959 [illegible]
[illegible] إمام [illegible] من طرف [illegible] صاحب السعادة السيد [illegible]
[illegible] عبد الرحمن [illegible] وتكتب بالفرع الزيتوني [illegible]
[illegible] سنة 1960 [illegible] التاريخ [illegible]

محمد حلمي بن الحاج صالح بن [illegible]

● ورقة بخط يد المجاهد محمد حلمي الحجاوي يذكر فيها نبذة عن تاريخ حياته. الأصل عند السيد يونس بالخير.

ملحق رقم (20)

تحريرا في ٢٤ صفر ١٣٤٥ يوافق 3/9/1927 م

حضرة الفاضل المحترم ولدنا الشيخ محمد النعاس الورفلي حفظه الله وتولاه آمين

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ومغفرته ورضوانه وبعد نوجه السؤال عنكم

وعن قبيلة احوالكم الباهية واعمالكم المرضية هذا وقد اقتضت [illegible] حفظ بكم مجددا بالله

تعالى على ما انتم عليه وهذا هو اللي في نيابتكم زادكم الله نورا وتوفيقا واقوم طريقا

ويجب ما شرحتم اي عن حالة الوطنيه افدنا سعادة نائبنا احمد بك بما نحمد عليه

الاحترام حيث منذ يوم كان عنا شهادة الحسنه للحاضر بحسبتكم والآن على هذا المنوال فالأمل

زيادة الجد والاحترام فيما انتم بصدده بحيث لا ينقطع شمل شمل اتحاد الكلمة الاسلاميه

وهذا ما سلامنا لكافة جميع [illegible] وكل المجاهدين ودمتم محفوظين

الوكيل العام

محمد رضا

● رسالة من الوكيل العام محمد رضا السنوسي إلى الشيخ محمد النعاس الورفللي، يؤكد فيها على نيابة أحمد سيف النصر له. ويؤكد على اجتماع كلمة المسلمين في 24 صفر 1345.
توافق 3 سبتمبر 1927

ملحق رقم (21)

611

بسم الله الرحمن الرحيم .. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

١٠٢٦

تحريرا في ٢٧ شعبان سنة ١٣٤٤ الموافق 12/3/1926 م

جناب الأفضل الأمثل الغيور الصفي المحب المخلص سيدي محمد النعاس الورفلي حفظه الله ووقاه
من كل ما يكره بجاه آمين

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته ومغفرته ورضوانه (وبعد) فقد وصلنا الأعز كتابكم الذي
في الجاري وعلمنا ما شرحتم به علم وإن ما صرحتم به لنا سابقا ولاحقا فلكم الشكر الجزيل على إخلاصكم
دينكم ووطنكم بارك الله فيكم وأكثر من أمثالكم للأمة والوطن فجزاكم (؟) هذا هو غاية مقصد
الوحيد والعزم الموطد الذي يجب على كل من لديه غيرة إسلامية وحمية دينية أن لا [illegible]
سبيله ولا عن بغيته يحيد

ونحمده جل وعلا على إطفاء نار التشاغب الذي على غير جدوى القائمة بين خليفة وعبد الجليل
[illegible] واتفاق الفئات الإسلامية من أرض العدو والتحاقهم بأرض الإسلام
فكونوا على ما أنتم عليه من المواساة (؟) واتحاد القلب والقالب والثبات للدفاع بما عليكم والفرج قريب وما
سيسمع جلالة مولانا [illegible] الأمير أيده الله [illegible] بالمعية [illegible] جزيل السلام - ودمتم في عز واحترام
والسلام

الوكيل العام
محمد رضا

● رسالة من محمد رضا السنوسي إلى الشيخ محمد النعاس الورفللي رداً على رسائل النعاس.
ويحمد الله على إطفاء نار التشاغب الذي على غير جدوى القائمة بين خليفة وعبد الجليل.
بتاريخ 27 شعبان 1344، الموافق 12 مارس 1926 افرنجي

ملحق رقم (22)

قد تقرر ما هو آت بمجلس [illegible] من عموم الأعيان والمشايخ من قبائل المجاهدين [illegible] الواقعة أمرها [illegible] قبائل [illegible]

المادة الأولى الاتفاق الحقيقي الذي لا يحله طول زمان ولا يعدم معانيه على ما يرضي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم

ثانيا . . تعيين رئيس عمومي ليباشر الأمور حلاً وعقداً وترتيباً وعزلاً مربوطاً بالقوانين الشرعية والتعديلات الآتية في كافة إجراءاته وما هو إلا الشيخ الأمير سعادة أحمد بك سيف النصر

ثالثا . تعيين مقدار كافي من الجند لمحافظة موقع الرئاسة من عموم القبائل المشار إليهم

رابعا إراحة خزائنه وتأمين كف الفساد والتعدي الواقع بها من الدور الأول

خامسا لا تؤخذ أعشار ولا ضرائب ولا أقساط من الفقراء والمساكين إلا ما كان بأمر الرئيس المومى إليه وصرفه في سبيل الجهاد وعلى المتعينين بمصالح الوطن ومحافظته

سادسا للرئيس تعيين أشخاص من ذوي الخبرة والرأي يرجع لمشورتهم في مهمات الأمور

سابعا يجب على الكل امتثال أمر الرئيس والتزام ذلك حساً ومعنى في كل ما يأمر به أو ينهى عنه بشرط أن يكون موافقاً للكتاب والسنة والاتفاق مع الهيئة القرارية التي تتشكل أولاً من ثمانية أشخاص

ثامنا تعيين رؤساء وقواد للعساكر بمناطق الجنوب وترتيب الخطوط الحاكمة على جهات البلاد مربوطين بالرئيس المومى إليه

تاسعا تعيين رؤساء مالية وضبط الوارد والصادر بدفاتر وسندات بإمضاء العارفين مصدقة من الرئيس كل المشار إليهم حسب التعيين مربوطين بالرئيس المومى إليه

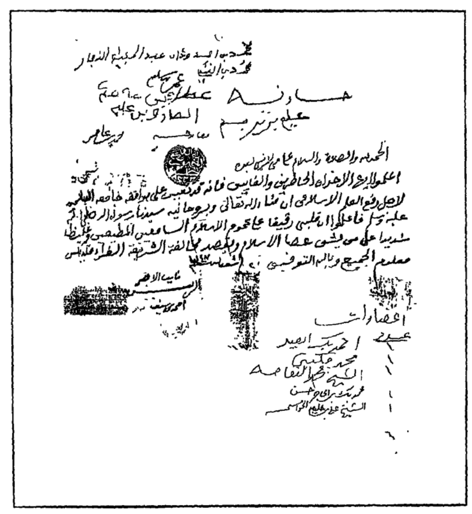
عاشرا للرئيس تقديم الأهم والأصلح في جميع إجراءاته والنظر بموجب ذلك حسب الواقع وتعيين المأمورين وتعديل المعاشات وتقديرها على مقتضى الواردات الوطنية والمصلحة النضالية والله الموفق والمعين

حرر في [illegible] شعبان 1347 الموافق 1/2/1929 م

فقد حصل الاتفاق من عمومنا على مقررات الاتحاد [illegible] مادة المبينة أعلاه ولأجل ذلك صار إمضاؤها ووضع [illegible]

[illegible]

ملحق رقم (22) مكرر



الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده

اعلموا ايها الاخوان الحاضرين والغايبين فانه قد تعين علي بموافقة خاصة العامة لاجل رفع العلم الاسلامي ان شاء الله تعالى وبروحانية سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلموا انني رقيبا على عموم الاسلام السامعين المطيعين وغليظا شديدا على من يشق عصا الاسلام ويقصد مخالفة الشريعة الغراء و... مصلحة الجميع وبالله التوفيق

امضاءات

على ظهر الورقة التي تم الاتفاق عليها بقية توقيعات الحاضرين وكلمة لأحمد سيف النصر يحدد فيها نهجه في العمل ثم توقيعه.

خاتمة

بحمد الله وعونه استطعت أن أنجز هذا الكتاب، الذي كان إنجازه لي حلماً يراودني منذ أكثر من عدة سنوات.

واستطعت في فصوله العشرة أن أوضح الجهاد المستميت الذي جاهده أجدادنا وآباؤنا في هذه المهمة من الصحراء القاتلة وأن أبين مقدار الجهد الذي بذلوه في سبيل هذا الوطن الذي ينعم الجميع الآن بخيراته دون أن يعي أغلبهم بأن دماءً دفعت ثمن ما نحن فيه اليوم من راحة وطمأنينة وخير.

ولقد ذكرت المعارك التي جرت والدماء التي سالت والشهداء الذين تساقطوا في هذه الصحراء الشاسعة والتي ابتلعت الآلاف من البشر والحيوانات، من الصديق والعدو دون أن تمل ودون أن تكل.

غير أن السؤال الذي يطرح نفسه بعد هذه المعاناة وهذا الجمع للوثائق والشهادات والروايات والصور.

● لماذا لم يستطع المجاهدون صد الإيطاليين والانتصار عليهم؟

إنه لسؤال مهم يجب أن نتكفل بالرد عليه من خلال متابعتنا لحركة الجهاد.

إن الحرب التي دارت رحاها في ليبيا كانت بين دولة عظمى تمتلك الوسائل الحديثة من بواخر وبوارج وغواصات وقوارب وطائرات وسيارات ومصفحات وبنادق ورشاشات ومدافع.

وبين مجموعة من البدو الرحل الضعفاء لا يملكون إلا ما يغنمونه من العدو، وهذا لا يكون إلا بنادق وذخيرة وبعض المدافع، فهم حتى لو غنموا السيارات لا يستطيعون قيادتها. ومن أين لهم وقودها وقد غنموها فعلاً في مرسيط فأحرقوها، وكذلك غنموا عدة سيارات في القرضابية فأحرقوها أيضاً.

أيضاً هي حرب الضعيف ضد القوي، وهذه الحرب لا يمكن لها أن تنتصر ما لم تتخذ من حرب العصابات وسيلة لها لتحطيم الخصم وتمزيق قوته.

غير أن الليبيين في أغلب معاركهم مع الإيطاليين ومع الفرنسيين كانت حرب مواجهة، معارك ضارية تستمر يوماً ويومين وأكثر. ينتصر فيها حتماً القوي، الأكثر ذخيرة والأكثر رجالاً والأكثر أسلحة.

وبالرغم من هذا فقد انتصر الليبيون في كثير من هذه المعارك رغم ضراوتها.

لكم تمنيت لو اتبع الليبيون حرب العصابات وهاجموا العدو في مواقعه الحساسة وقطعوا خطوط اتصالاته وطرق تموينه، وهاجموا معسكراته البعيدة ونقاطه المبعثرة دون أن يشتبكوا معه في معارك فاصلة.

إن الصحراء شاسعة فلم يستغلها الليبيون أفضل استغلال، وإن موروثهم من الشجاعة والحرب جعلهم يواجهون العدو دون تراجع وهم يعرفون أن قوات العدو أكثر منهم عدداً وعدة ويستمرون في القتال إلى أن يبادوا دون تراجع ودون مناورة.

ولقد كانت الأسر والأطفال والنساء عبئاً على حركة المجاهدين، بحيث يستطيعون المناورة والهجومات البعيدة في عمق العدو، فهم يخشون هجوم العدو على أسرهم وخيامهم وهذا ما كان يفعله العدو دائماً. لهذا نرى المجاهدين ينسحبون نحو الصحراء دون أن يكلفوا مجموعات صغيرة تبث الرعب والخوف في مؤخرة العدو الذي كان يزحف هو الآخر مجتمعاً ولا يترك إلا نقاطاً صغيرة لحماية ظهره.

كما ارتكب المجاهدون خطأً آخر سبب الضغط عليهم وأعان العدو على مطاردتهم وكشف مواقعهم وآبارهم وطرقهم.

فلقد هاجم المجاهدون النجوع من المواطنين الذين وقعوا تحت السيطرة الإيطالية، واستاقوا حيواناتهم واستباحوا أرزاقها بل وهاجموها وقتلوا بعض رجالها.

إن هذا العمل الذي لجأ إليه المجاهدون ـ وهو حتماً بسبب الاحتياج وإيجاد المبررات لتوفير الغذاء لأسرهم وأطفالهم ـ. إن هذا العمل سبب عداوة بين المواطنين وكسب العدو من جرائه آلاف المتعاونين الذين كانوا يخبرون عن تحرك المجاهدين في المنطقة، وبالتالي كشفوا أنفسهم من السواتر التي كانت من الممكن أن تقيهم وتحجبهم عن أعين الإيطاليين.

وبالتالي عادوا يتحركون في أرض معادية لهم من العدو وحتى من الذين كان من المفروض أن يكونوا أصدقاء.

وهذا أحد الأسباب التي منع المجاهدين من التحرك في عمق الأرض وراء العدو.

والسبب الآخر هو عدم وجود التنظيم الموحد الذي يوحد حركة الجهاد ويسيرها

حسب تحرك مدروس ومنظم، وفقدان التوجيه المعنوي داخل المجاهدين، الأمر الذي فسح المجال أمام بعض الشيوخ الذين كسبهم الطليان إلى جانبه وبدأوا في نشر فتاواهم بين المواطنين من أن محاربة الطليان لا تجوز لأنهم أولي الأمر، «ولا ترموا بأنفسكم إلى التهلكة». إلى غير ذلك من الفتاوى التي ثبطت بعض العزائم.

ومن الأسباب التي ساهمت في انكسار حركة الجهاد أيضاً عدم وجود وسائل إعلام تنقل أخبار الجهاد ومعاركه إلى العالم الخارجي الذي أصبح يستقي معلومات الحرب الليبية ـ الإيطالية من المصادر الإيطالية وحدها والتي تشوّه الوقائع لصالحها.

كما أن الدعم الخارجي الذي يعتبر شريان الحياة لكل حركة تحرير تقاتل عدواً متفوقاً عليها، لم ينتظم ولم يتمكن الليبيون من الحصول عليه.

كما أن قفل الأسواق المجاورة في وجه الليبيين سواء بالأسلاك الشائكة التي وضعها الطليان على الحدود الشرقية وسواء بالاتفاقيات التي أبرمها الإيطاليون مع الفرنسيين في الحدود الغربية ساهمت في تضييق الخناق على المواطنين الليبيين وساعدت على انكسارهم في وجه العدو.

كما أن تعدد القيادات المتمثلة في مشايخ القبائل ساهمت في إجهاض حركة الجهاد، لأن هؤلاء المشايخ أخضعوا حركة الجهاد لأمزجتهم الشخصية. فلقد كان بعضهم ينظر إلى العدو وهو يتقدم لسحق منطقة من المناطق واحتلالها دون أن يحرك ساكناً لأن القبيلة التي تسيطر على ذلك الموقع أو الشيخ الذي يقودها يخبّىء عداوة قديمة يسره أن يراه يسحق.

وأن بعض المشايخ تعلقت قبائله به لدرجة أنها تجاهد إذا جاهد وتستسلم إذا استسلم. وهؤلاء المشايخ لهم القدرة العجيبة على تفسير المواقف وإيجاد المبررات لها.

حتى إننا نجد من يدافع عن الذين انضموا إلى العدو حتى هذا الوقت مورداً الأسباب التي امتنع بها الشيخ اتباعه في ذلك الزمن وكأنها آيات منزلة.

إن هذه الأسباب متفرقة أو مجتمعة ساهمت في إجهاض حركة الجهاد، وساعدت الإيطاليين على احتلال ليبيا كما ساعدت الفرنسيين على احتلال الجزائر وتونس وتشاد والنيجر وغرب أفريقيا.

إن السكان الأصليين لهذه المناطق هم الذين احتلوا الصحراء لصالح العدوّ، ولولاهم لما وصل الأوروبيون إلى مجاهل الصحراء الكبرى.

وبالنسبة إلى الجهاد في منطقة (فزان) فإلى جانب النقاط التي ذكرتها آنفاً وسببت في

ضعضعة الجهاد والدفاع عن الوطن هناك نقطة أخرى خاصة وهي القاتلة.

فلقد كانت في منطقة فزان حكومة وإدارة يديرانهما خليفة الزاوي، وهو ممثل من قبل (الجمهورية الطرابلسية) كما هو معلوم، وقد عين موظفين وقضاة وشرطة يديرون أمور المناطق والقرى.

وعندما وصل سكان المناطق الغربية إلى (فزان) استقبلهم وعين القادرين منهم في وظائف، وأجرى على عائلات المهاجرين التموين اللازم من التمر لإعاشتهم.

غير أن قدوم أسرة سيف النصر، وعبد النبي بالخير إلى المنطقة مهاجرين لم يرضوا بحكومة لم يكونوا هم على رأسها فهاجموا الحكومة والإدارة السابقتين. ونشبت معارك ضارية لا لزوم لها سقط فيها مئات القتلى، ودفعت بمجموعات كبيرة من القبائل التي تواجدت في فزان ثم هاجرت، كما فعلت قبائل الغرب التي تجمعت في الخور والطابونية من (الزاوية، الريانية، الصيعان، القواليش، يفرن، المهاجرون من تونس، رحيبات، أولاد محمود، حرابة، وغيرهم) حيث توجهوا إلى تونس، أو توجهوا للاحتماء بالطليان أمثال (المقارحة، الحطمان، الحساونة وغيرهم).

إنّ المتصرين الجدد اعتبروا أنفسهم قد احتلوا أرضاً معادية فاقتسموها فيئاً وصادروا ممتلكات المواطنين ومواشيهم ونخيلهم وزراعتهم وحتى بيوتهم.

وكان تبرير من لقيته منهم أن الزاوي يكاتب الإيطاليين؟! ونسوا أن أسرة سيف النصر كاتبت الإيطاليين وأخذت منهم الأموال ثم تراجعت في ما بعد.

وصالح الأطيوش كاتب الإيطاليين وأخذ منهم الأموال ثم تراجع في ما بعد.
وعبد النبيي بالخير كاتب الإيطالين وأخذ منهم الأموال ثم تراجع في ما بعد.

وأن مكاتبة .(الزاوي) للطليان سنة 1919 بعد صلح سواني بن يادم كان أغلب الزعماء هادنوا الطليان وتقاضوا رواتب من الطليان.

إن أسرة سيف النصر وعبد النبي بالخير وصالح الأطيوش لو أنهم بمن معهم من القبائل التحموا مع القبائل المتواجدة في الجنوب قبلهم، وتركوا الإدارة للذين قبلهم من المواطنين وطعموها بمن معهم، وكونوا جبهة جهادية مشتركة لصد الإيطاليين ومقاتلتهم، لكانوا استطاعوا صد العدو ومنعه من الوصول إلى القبلة عدة سنوات أخرى ربما إلى قيام الحرب العالمية الثانية ولأصبحت تلك القبائل التي أرغمت على التوجه إلى الطليان إحدى دعامات الجهاد غير أن الله إذا أراد شيئاً مهد له السبل. فحركة الصفوف السابقة كانت تكمن في أعماق القيادات وكانوا يتصرفون على هذا الأساس، وبالتالي نشبت تلك المعارك الطاحنة بين الأخوة في الجنوب، والتي استطاع العدو أن يستغلها بأفضل ما يعود عليه بالنفع. وتمكن من احتلال فزان بأيدي مواطنيه

الذين استنجدوا به من الممارسات الخاطئة لقيادات غاب عنها تقدير ما اقترفته وما اقترفه أتباعها.

كما أن تذبذب بعض السنوسيين في علاقتهم بالعدو ومهادنته في بعض الأحيان وسقوط البعض في أحضانه أثرفي حركة الجهاد، وفي تحرك عابد السنوسي المشبوه في القبلة (فزان) ومراسلاته للطليان، والفرنسيين واستيلائه على غنائم الجنوب إذ اعتبرها ملكه الخاص فلم يوظفها في حركة الجهاد.

كما أن بعض الزعامات آثرت على حساب مآسي المواطنين واستولت على كثير من أملاك المواطنين على أساس أنها غنائم حرب، ولم تصرف هذه الأموال على حركة الجهاد، الأمر الذي ترك المجاهدين يأكلون الأعشاب وأوراق الأشجار وهم يقاتلون العدو، مما جعلهم يلجأون إلى سلب المواطنين مواشيهم وأمتعتهم ليسدوا رمقهم من الجوع فنتج عن هذا التصرف معاداة الليبيين لليبيين.

فلقد يذكر الإيطاليون أنهم في واو استولوا على حمولة أربعة عشر جملاًذهباً وفضّة لو أنفقت على الجهاد لتأخر زحف العدو عدة سنوات. ويذكر المجاهدون أن بعض القيادات أصر على أن يؤجر مدفعاً للمجاهدين لمحاربة طلائع الإيطاليين في الشاطىء، بحيث دفعوا (ناقة) مقابل كل طلقة، مع العلم أن هذا المدفع غنمه المجاهدون من الإيطاليين في إحدى المعارك.

إن قصر نظر بعض الزعامات وجشعهم وانعدام الضبط والربط بين صفوف المجاهدين والاتصالات السرية لبعض الزعامات مع الطليان وانضمام بعض القبائل والأفراد وبعض المشايخ إلى الإيطاليين، كل هذه الأسباب مجتمعة أو متفرقة ساهمت في إحلال النتيجة التي وقعت في (فزان).

وكما حصل في فزان حصل قبله في تشاد والنيجر حيث اتصل الزعماء الذين عزلوا من مواقعهم بالعدو وتعاونوا معه وساهموا في احتلال بلادهم من قبل الفرنسيين.

كما ساهمت العداوات القبلية القديمة كالتي بين (الهقار) وواليمدن في استقطاب الهقار من قبل الفرنسيين ومساهمتهم الفعالة في كسر المجاهدين في بلاد الآيير الصعبة وإنهاء ثورة السلطان فهرون بن الأنصار في غرب النيجر.

«ذلك أن الخيانة من شأنها أن تفسد خطط العباقرة وتنسف كل الجهود التي تبذل في وضع هذه الخطط».

«كما أن الحروب إذا خلت من الخيانة والخونة تصبح نوعاً من المعادلات الحسابية

التي يتسم حاصلها بالوضوح التام إذ بكون النصر محققاً لتفوق الأسلحة الاستراتيجية وشجاعة الجند»[1].

إننا عندما ندرس التاريخ ونسلط الأضواء على الإيجابيات والسلبيات لا نعني بذلك كيل المديح لأحد ولا السعي لانتقاص أحد، وإنما نعني بذلك استخلاص العبرة من كل هذا وذاك، لتستفيد الأجيال اللاحقة من الأخطاء التي قد يكون وقع فيها أجدادهم حتى لا يقعوا فيها ثانية، بالرغم من أن وسائل الخطأ ومكوناته ما زالت قائمة. والنفس البشرية ما زالت هي هي، يكمن في أعماقها الخوف والطمع والجشع والجبن والأنانية، كما يكمن فيها أيضاً الشهامة والشجاعة والإخلاص والكرم والنبل والأثرة.

إن مهمة المثقفين والمؤرخين هي تحريك جوانب الخير في المواطنين واكتشاف مكامن الوطنية في نفوس الناشئة لمساعدتهم على وضع أقدامهم على طريق المجد الذي لا يُعلى عليه، وإيضاح ظوالم الأعماق السحيقة للخيانة والانكفاء حتى لا يقعوا فيها، وأن البقاء لله وحده ولذكرى الأبطال العظام والمجاهدين الشجعان.

ولنا في التاريخ عبرة، فأولئك الضباط والمارشالات الإيطاليون بنوا مجدهم على قتل الأطفال والنساء ومطاردة الحيوانات وقصفها بالطائرات ومهاجمة النجوع وإمطارها بوابل من قنابل الغازات السامة، معتبرين ذلك نصراً مجيداً يخلدهم في التاريخ الاستعماري.

إن ما فعله هؤلاء وعلى رأسهم قراتسياني ذلك السفاح الشرير الذي يتباهى بأنه يقتل الرجال بدون محاكمات ويصب نيران أسلحته مجتمعة على المقيدين منهم بعد أن أمنهم واستسلموا له لَعملٌ مشين. لقد انتقمت العناية الإلهية من هذا القاتل، فلقد ظن أنه أصبح من القادة العسكريين العظام ووضعته دولته على رأس القوات الإيطالية الزاحفة على الإنكليز في مصر في بداية الحرب العالمية الثانية.

ربع مليون جندي زحف بهم قراتسياني نحو مصر مقابل ثلاثين ألف جندي بريطاني. وفي معركة (سيدي البراني) تم سحق قوات قراتسياني واستطاع الثلاثون ألفاً من الإنكليز أن يأسروا (130,000) مائة وثلاثين ألفاً من الطليان جنود قراتسياني العبقري!! ولم يكن ذلك فقط بل استولى الإنكليز على 400 دبابة و1290 مدفعاً. ويستمر العميد ديسمبونج،يانج في سرد ما استولى عليه الإنكليز من قراتسياني وقواته فيقول: «بجانب كميات هائلة من مواد أخرى ومن هذه الأشياء الأخرى مفروشات

(1) ثعالب الصحراء، بول كارل، دار القلم، بيروت ـ لبنان 1980، ص 84.

أسِرّة مريحة وقمصان حريرية وأطقم حمام متقنة من الجلد الفلورنسي وزيوت معطرة للشعر ومعاطف فرسان من جميع المقاسات وماء عطر وفير مع قافلة من الفتيات وضباط لاستعمالهم كـ (. . .) فقد كان الإيطاليون يذهبون إلى الحرب وهم في حالة استرخاء تام»[1].

وتم طرد فلول الإيطاليين من (البراني) إلى العقيلة، ولو لم تصل فرقة البانزر الألمانية بقيادة رومل وثبتت الإيطاليين في مواقعهم وهاجمت الإنكليز حتى أخرجتهم من ليبيا، لو لم يتم ذلك لخرج الإيطاليون من ليبيا عام 1940.

إن الحرب العالمية الثانية وضعت جنرالات إيطاليا على المحك، وتساقطوا كأوراق الخريف في جبن مخجل ترويه قصص التاريخ لهذه الحرب التي كان أول المتساقطين فيها قراتسياني وآخر المتساقطين فيها من الإيطاليين موسوليني الذي تم شنقه من رجليه من قبل مواطنيه.

وهكذا فإن الله يمهل ولا يهمل. وسبحانه جل شأنه.

* * *

(1) رومل ثعلب الصحراء، العميد ديسمبونج يانج، ترجمة المهندس سعيد الأبيض، الناشر، الكتاب للتوزيع والمطابع، ص 32.

المصادر والمراجع

1 ـ د. (أبو القاسم) ابراهيم أحمد، المهاجرون الليبيون بالبلاد التونسية (1911ـ 1957)، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس 1992.

2 ـ (انسياتو) انديكو، كارلو فوتي بولر شينادي، ترجمة عمر الباروني، مراجعة عبد الرحمن سالم العجيلي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ـ سلسلة الدراسات المترجمة ـ العلاقات العربية ـ الإيطالية، 1980.

3 ـ إيطاليا الجديدة على الشاطىء الثالث.

4 ـ إيطاليا ما وراء البحار ـ الجزء المتعلق بليبيا: الجانب الاقتصادي، التنمية الزراعية، تأليف انجلو بتشولي، ترجمة شمس الدين عمراني، مراجعة د. صلاح الدين السوري، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ـ سلسلة الدراسات المترجمة 21، دار الكتب ـ طرابلس 1993.

5 ـ إيطاليا ما وراء البحار ـ الجزء المتعلق بليبيا: الجانب العسكري، تأليف أنجلو بتشولي، ترجمة عبد الرحمن العجيلي، مراجعة صلاح الدين السوري، منشورات مركز الجهاد للدراسات التاريخية ـ سلسلة الدراسات المترجمة 19، دار الكتب، 1993.

6 ـ (الباروني) زعيمة سليمان، صفحات خالدة من الجهاد، المجاهد الليبي سليمان الباروني، الجزء الأول، عن الكتاب الثاني 1962.

7 ـ (بترانياني) الصحراء الطرابلسية.

8 ـ د. (البربار) عقيل محمد، عمر المختار نشأته وجهاده من 1863 إلى 1931، منشورات جامعة الفاتح، مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ـ سلسلة الدراسات التاريخية، 1983.

9 ـ (بريزي) جيوفاني Conto giorni di prigiaria NeM'o asi di capra.

10 ـ (بروسين) ن. إ. تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969، ترجمة

د. عماد حاتم، مراجعة د. ميلاد المقرحي، منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ـ سلسلة الدراسات المترجمة 11، إصدار دار (ناووكا) العلم، الإدارة العليا لتحرير الآداب الشرقية، موسكو 1970.

11 ـ (بوكا) انجيل ديل، الإيطاليون في ليبيا، ترجمة الدكتور محمود علي التائب، مراجعة عمر محمد الباروني، الجزء الثاني، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ـ سلسلة الدراسات المترجمة 31، 1995.

12 ـ (تروتسي) انيلو، برقة الخضراء، ترجمة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب 1991.

13 ـ تشاد بين التحديات والآفاق، نورين مناوي برشم.

14 ـ (تشايجي) عبد الرحمن، الصراع التركي ـ الفرنسي في الصحراء الكبرى، ترجمة د. علي اعزازي، مراجعة محمد الأسطى، تقديم د. محمد الطاهر الجراري، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ـ سلسلة الدراسات المترجمة، 1993.

15 ـ (التليسي) خليفة محمد، معجم معارك الجهاد في ليبيا 1911ـ 1913، دار الثقافة بيروت ـ لبنان 1973.

16 ـ (التليسي) خليفة محمد، معارك الجهاد الليبي من خلال الخطط الحربية الإيطالية، منشورات المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى 1980.

17 ـ (التونسي) محمد بن عثمان الحشائشي، رحلة الحشائشي إلى ليبيا (جلاء الكرب عن طرابلس الغرب) تقديم وتحقيق علي مصطفى المصراتي، دار لبنان، ط. الأولى، بيروت 1965.

18 ـ د. (حميدة) علي عبد اللطيف، المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا، مركز دراسات الوحدة العربية ـ سلسلة أطروحات الدكتوراه (27)، 1995.

19 ـ جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، الطاهر أحمد الزاوي والسيد محمد الرماح بشينة، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت 1970.

20 ـ (الرويبي) خليفة محمد، موسوعة روايات الجهاد، منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ـ سلسلة الروايات الشفوية، 1985.

21 ـ (الساعدي) المبروك علي، موسوعة روايات الجهاد، منشورات جامعة الفاتح، مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ـ سلسلة الروايات الشفوية، 1983.

22 ـ (الساعدي) المبروك علي، مقاومة الليبيين للاحتلال الإيطالي 1928ـ 1929، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ـ سلسلة الروايات التاريخية 18، دار الكتب، 1996.

23 ـ (ساليفو) أندري، كاوصن أو الثورة السنوسية، ترجمه عن الفرنسية عبد اللطيف محمد، مخطوط.

24 ـ صالح الأطيوش، حياته وجهاده، محمد عبد الرزاق مناع، مطابع دار الشعب بالقاهرة.

25 ـ العلاقات الليبية ـ التشادية، سعيد عبد الرحمن الحنديري، منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ـ سلسلة دراسات معاصرة، دار الكتب، 1983.

26 ـ (غراسياني) رودلفو، نحو فزان، ترجمة طه فوزي، منشورات دار الفرجاني، طرابلس ـ ليبيا 1970م.

27 ـ (غراسياني) رودلفو، إعادة احتلال فزان، ترجمة عبد السلام باس أمام، مراجعة د. صلاح الدين حسين السوري، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ـ سلسلة الدراسات المترجمة (29)، دار الكتب، 1993.

28 ـ (غراسياني) رودلفو، برقة الهادئة، ترجمة ابراهيم سالم بن عامر، منشورات دار المكتبة الأندلس، بنغازي ـ ليبيا، الطبعة الأولى، 1974ـ 1975.

29 ـ (غرسو) ماريو، التسلسل الزمني لأحداث المستعمرات الإيطالية، ترجمة شمس الدين حرابي بن عمران، منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ـ سلسلة الدراسات المترجمة (24)، دار الكتب، 1989.

30 ـ (غانم) عماد الدين، الطبيب الألماني، أرڤين فون باري ورحلته إلى غات وبلاد الآيير، منشورات مركز جهاد الليبيين، سلسلة نصوص ووثائق 24، الجماهيرية 1995.

31 ـ (فايس)، سر الجنوب، مترجم عن الفرنسية، علي الصادق حسنين، محاضرة في مركز جهاد الليبيين.

32 ـ (فولايان) كولا، ليبيا أثناء حكم يوسف باشا القرمانلي، ترجمة د. عبد القادر المحيشي، مراجعة د. صلاح الدين السورالي، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ـ سلسلة الكتب المترجمة 5، الطبعة الأولى، 1988.

33 ـ (قاسم) يوشع بشير، غدامس ملامح وصور، الطبعة الأولى، دار لبنان للطباعة

والنشر، بيروت 1398ـ 1978.

34 ـ (قاييبي) اغوسطينو ميجر من المشاة، التاريخ السياسي والعسكري للمستعمرات الإيطالية، روما 1928.

35 ـ (القشاط) محمد سعيد، أعلام من الصحراء.

36 ـ (القشاط) محمد سعيد، (التوارق عرب الصحراء الكبرى).

37 ـ (القشاط) محمد سعيد، جهاد الليبيين ضد فرنسا في الصحراء الكبرى.

38 ـ (القشاط) محمد سعيد، خليفة من عسكر الثورة والاستسلام.

39 ـ (القشاط) محمد سعيد، صحراء العرب الكبرى.

40 ـ (القشاط) محمد سعيد، القرضابية.

41 ـ (القشاط) محمد سعيد، من قيادات الجهاد الليبي، الشيخ علي كلة والشيخ المبروك الغدي.

42 ـ قصائد الجهاد، إعداد خليفة محمد الدويبي، عبد الرحمن البريكي، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ـ سلسلة الروايات الشفوية، دار الكتب 1995.

43 ـ قصائد الجهاد، سعيد عبد الرحمن الحنديري، سالم حسين الكبتي، الجزء الأول، الطبعة الثانية، منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ـ سلسلة الروايات الشفوية، 1987.

44 ـ (الكيب) نجم الدين غالب، قصة اكتشاف ليبيا في العصر الحديث، منشورات الشركة العامة للنشر والتوزيع، العدد 3، الطبعة الثانية، 1979.

45 ـ (ماكولا) فرانسيس، حرب إيطاليا من أجل الصحراء، مسامرات المراسل العربي البريطاني مع الإيطاليين في طرابلس، ترجمة د. عبد المولى صالح الحرير، مراجعة د. محمود حسين صالح منسى، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ـ سلسلة الدراسات المترجمة، 1991.

46 ـ (المرزوقي) محمد، عبد النبي بلخير داهية السياسة وفارس الجهاد، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس 1398ـ 1978.

47 ـ المسألة التونسية والسياسة العثمانية 1881ـ 1913، نقلها عن الفرنسية وعلق عليها د. عبد الجليل التميمي، د. عبد الرحمن تشايجي، 1993.

48 ـ معركة تاقرفت، عمرو سعيد بغني، علي البوصيري علي، محمد علي أبو شارب،

منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ـ موسوعة الجهاد الليبي، 1979.

49 ـ المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالي وتأثيرات الأوضاع الدولية عليها، تأليف أحمد ـ عطية مدلل، مراجعة د. عقيل محمد البربار، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ـ سلسلة الدراسات التاريخية 11، دار الكتب، 1989.

50 ـ موسوعة روايات الجهاد، بغيمه الهادي ماشينة، نادية العارف مانة، بدرية محمد الرياني، سعاد درمان، أسماء الشامس، منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ـ سلسلة الروايات الشفوية، 1991.

51 ـ موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، د. أحمد شلبي، الطبعة السابعة، 1984، القاهرة.

52 ـ (نبيلو) وليام، هـ. (العميد البحري)، بحرية الولايات المتحدة الأميركية تاريخ الحرب التركية ـ الإيطالية 29 سبتمبر 1911ـ 18 أكتوبر 1912، ترجمة د. عبد القادر مصطفى الميرشي، د. عبد المولى صالح الحرير، مراجعة محمد الطاهر الجراري، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ـ سلسلة الدراسات المترجمة، 1990.

53 ـ (نبيللي) بيلارد، القبلة، مترجم عن الإيطالية، مخطوط، مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي.

54 ـ (هويدي) مصطفى علي، الحركة الوطنية في شرق ليبيا من خلال الحرب العالمية الأولى، مراجعة د. صلاح الدين حسنين السوري، منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، سلسلة الدراسات المترجمة، 1988.

55 ـ الوثائق الإيطالية، المجموعة السابعة، عدد خاص بالمنفيين الليبيين، إعداد الفرجاني سالم الشريف، محمد عبد النبي الدقالي، ترجمة، المهدي التريكي، شمس الدين عرابي بن عمران، منشورات مركز دراسات جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي ـ سلسلة الوثائق التاريخية، 1990.

فهرس



الصحراء تشتعل

حـاولت أيضـاً أن أتحـدث عن الجـهـاد المنسي وهوجهاد الليبين ضد فرنسا في ما يسـمى اليـوم تشـاد والنيـجـر، وسلطت الضوء على معاركه المهمَّة، والرائعة هناك وراء جبال (تيبستي) وجبال (الآير) حيث تنضب المياه وتشح المعيشة.

لقد سطر الليـبيون بدمـائهم تاريخ تلك المنطقة بالجـهاد عندما كانت الحـدود غير مـرسومـة بين هذا الشعب العـربي المسلم وشمـال الصحراء وجنوبها. وعندمـا كان الناس أمـة واحدة وأسـرة واحدة، شـتت الاسـتـعمـار لحمـتهـا وسداها عنـدما أراد السيطرة على مقدراتها ومواردها.

لقد حـاولت أن أبرز أدوار أولئك الرجال الذين قـارعوا الاسـتـعمـار نداً لند، وجـهاً لوجـه أكـثـر من ثلاثين سـنة. كل هذا في إطار توضـيح دور الليـبين وإخـوتهم في الصحراء الكبرى الذين قارعـوا الاستعمار الفـرنسـي قـرابة ربع قـرن من الجـهـاد المتواصل، والإستعـمار الإيطالي مثل هذه المدة من الزمن متلاحمين تجمعهم العروبة والإسلام.

دار المُلتَقى للطباعة والنشر